جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الاسلامية
الدراسات العليا الشرعية
فرع العقيدة



عصمة الأنبياء بين المسلمين وأهل الكتاب

بحث مقدم لنيل درجة التخصص الاولى (الماجستير)

إعداد الطالب

احمد عبد اللطيف بن عبد الله العبد اللطيف

إشراف الأستاذ

الدكتور محي الدين الصافي





١٤٠٢هـ - ١٤٠٣هـ

١٩٨٢م

فهرس الموضوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين

واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا

واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا

واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــه

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شـــرور أنفسنا ومن سيئات اعمالنــا من يهده اللـه فلا مضل له ومن يضلل فـــلا هادى لـه ، واشهد أن لا الـه الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

" يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاتـه ولا تموتن الا وأنتم مسلمون" (١)

" يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحده وخلق منها زوجهـا وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان اللـــه كان عليكم رقيبـا " (٢) " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديـــدا يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقـد فاز فوزا عظيما" (٣)

---

(١) آل عمران ايه ١٠٢

(٢) النساء ايه ١٠

(٣) الاحزاب ايه ٧٠

اما بعــد :ـ

فالانبياء هــم صفوة الخلــق وزبــدة البشريــة جمعــاء ، وهم المشاعــل التى تضئ للناس الطريق . فالثنــاء عليهم عبادة واظهار مزاياهــم قربــــة الى اللــه عــز وجــل .

يقول تبارك وتعالى (الله يصطفى من الملائكــه رسلا ومن الناس) (١)
ويقول : " ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالميــن .
ذرية بعضها من بعض والله سميــع عليم) (٢)

اصطفاهم الله عــز وجل لهداية الناس فكانوا اهلا لذلك (وجعلنـــاهم منهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات) (٣)

فلذلك امرنا بالاقتداء بهم والاهتداء بهديهم (اولئك الذيــــن هدى الله فبهداهــم اقتــده) (٤)

(لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليــــوم الآخــر وذكر الله كثيرا) (٥)

---

(١) الحـج ٧٥
(٢) آل عمران ٣٣
(٣) الأنبياء ٧٣
(٤) الانعام ٩٠
(٥) الاحزاب ٢١

كما ان القرآن ذكر عنهم كثيرا من الصفات الحميده فقال عن نـــــوح (ونوحا هدينا من قبل) (١) فوصفه بالهداية وقال (ذرية من حملنا مـــع نوح انه كان عبدا شكورا) (٢) فوصفه بالشكر، وفى موضع آخـــر وصفه ولوط عليهما السلام بالصلاح فقال (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتــــا تحت عبدين من عبادنا صالحين) (٣) وقال عن ابراهيم (ان ابراهيم الحليـــم اواه منيـــب) (٤) فوصفه بالحلم كما وصفه بالرشد قال تعالى (ولقد آتينـــا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالميـــن) (٥)

وقال عنه ايضا (وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم) (٦) فوصفه بسلامة القلب وهى سلامة عامه من جميع الآفـــات القلبيـــه . وفى آيـــــة اخرى وصف سبحانه لوطا بالحكمه والعلم والصلاح فقال (ولوطا آتيناه حكمـــــا وعلما ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث انهم كانوا قوم سوء فاسقيـــن وادخلناه فى رحمتنا انه من الصالحين) (٧) .

---

(١) الانعام ٨٤
(٢) الاسراء ٣
(٣) التحريم ١٠
(٤) هـــود ٧٥
(٥) الأنبياء ٥١
(٦) الصافات ٨٤
(٧) الأنبياء ٧٤

واثنى سبحانه على موسى عليه السلام فقال (واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا) (١)

وكان له عليه السلام عند ربه قدر ووجاهه (وكان عند الله وجيها) (٢) ولقد وصف سبحانه داود وسليمان عليهما السلام بالحكمه والعلم (وكلا آتينا حكما وعلما) (٣) وقال عن داود (اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد انه اواب انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق والطير محشوره كل له اواب وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) (٤)

واما محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ فهو سيد الأولين والآخرين حاز الفضائل كلها فهو البشير النذير والسراج المنير (يا أيها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا) (٥)

بل هو صاحب الخلق العظيم بشهادة رب العالمين (وانك لعلى خلق عظيم) (٦) .

---

(١) مريم آيه ٥١
(٢) الاحزاب آيه ٦٩
(٣) الأنبياء ٧٩
(٤) ص آيه ٢٠
(٥) الاحزاب آيه ٤٥
(٦) القلم آيه ٤

تلك هي الصفحة البيضاء الصحيحة عن الأنبياء كما قررها القرآن وبالعكس تماما ترى التوراة المحرفة شوهت صورتهم فجعلتها صورة سوداء مظلمة قاتمة فهم في هذه التوراة المحرفة ـ سفاحون مجرمون لا يتورعون عن ارتكاب المحرمات كالعهر بالبنات واغتصاب النبوات بالمكر والخديعة وغير ذلك من الموبقات كما سيأتي ذكره بالتفصيل خلال هذه الرسالة .

ولقد سرت لوثة اليهود الى النصرانيه وأعدت جراثيمهم الفكريه علماء النصارى . وسنرى ـ على صفحات هذا البحث ـ كيف يتهم كتابهم الأنبياء بالمعاصي كما فعل اليهود ويكفيهم جرما انهم آمنوا بالعهد القديم المحرف الملئ بتلك الخرافات .

حتى ان هذه الرواسب بقيت عالقة في اذهان النصارى الذين حاولوا الخروج من النصرانيه ونحن سنعرض كلام مالكوم ايكس الذى التحق بجماعة اليجا محمد (١)

يقول مالكوم : انه ذهب الى اليجا محمد ليستوضح منه حقيقة ما اذيع في الراديو والتلفزيون في طول البلاد وعرضها من انه اى اليجا محمد زعيم السود .

---

(١) مؤسس جماعة الزنوج المسلمين وهى جماعة منحرفة عن تعاليم الاسلام الصحيحة .

قد اتهم من قبل اثنتين من سكرتيراته الفد بيما تبأنه أب لأولاد هما الأربعــــه وقد أقامت هاتان الفتاتان اللتان يتراوح سنهما ما بين العشرين والثلاثيـــن عاما الدعوى ضده وكان جواب اليجا محمد لمالكوم (.... هذا لايدهشنـــي منك يا بني . لقد كنت دائما مؤهلا لفهم النبوءات والامور الروحيـــه . تعترف بها بالحاله التي تكون عليها ي نبوءات تتم . انما انا داود . فعندمـــا تقرأ ان داود قد استأثر بزوجـــة رجل آخـــر اعلم انني انا داود هذا . وقـــد تقرأ ان نوحا قد ثمل فاعلم انني نوح هذا . وتقرأ ان لوطا قد فجر ببنتيـــه فيجب على ان انجز كل هذا) (١)

فانظر الى هذا الزعيم كيف تأثر بالتوراة المنحرفه فبقيت رواسبها عالقـــة في ذهنه يبرر بها سلوكه المشين . والواقع أن هذه النتيجة هي هدف اليهـــود من تشويه صورة الأنبياء ونعتهم بتلك النعوت ذلك الهدف هو افساد البشريـــه فعندما يرى الناس هؤلاء الصفوه أهل عربده وسكـــر اهل مكر وخديعه ينساقـــون وراء شهواتهم كالبهيمه التي لا تعقل . كما فعل اليجا محمـــد .

---

(١) مذكرات مالكوم ... ، زعيم الزنوج المسلمين في امريكا
ترجمه ذوقان قرقوط - منشورات دار الاداب - بيروت .
ص : ٢٥٩

اقول عند ما يرى الناس ذلك لا يتورعون عن ارتكاب المحرمات فيكـــون القتل عباده وارتكاب الفواحش طهرا وأكل الربا قربى وهكذا دواليك (واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون) (١)

هذا ولم يسلم الفكر الاسلامى من تسلل بعض مفتريات اليهود حـــول انبيائهم عبر الاسرائيليات التى اولع بعض المفسرين بذكرها ولكن الله سبحانـــه وتعالى نافح عن انبيائه بأوليائه من العلماء المحققين كابن تيميه وتلميذه ابـــن القيم وابن كثيـــر وغيرهم .

هذا وفى حاضرنا المعاصر لا زلنا نرى عطيه تشويه الأنبياء ديدن تلامذة اليهود وافراخهم ممن يحملون اسماء اسلاميه . فهذا شخص من افراخ اليهود اسمه توفيق الحكيم والذى ما كان موفقا ولا حكيما الف كتابا اسمه سليمان الحكيم صور سليمان عليه السلام بصورة العاشق الولهان ببلقيس ومن يقرأ الكتـــاب يحس أن الطهر والصفاء ليس من صفات الأنبياء فلاهم لسليمان الا النساء وتدبير المؤمرات.

---

(١) البقره آيه ١١

ولعل ما قدمته هنا من سوء عقيدة اليهود في الأنبياء عليهم السلام ومـــا الحقوه بسيرتهم الظاهره من الوان البهتـان • وما يهدفون الى تحقيقه ــ من ذلك كله ــ من اشاعـه الفاحشـه وافساد الاخلاق في المجتمعات البشريـه •

لعلي ما قدمته من ذلك يكشف لنا عن خطورة هذا الموضوع واهميته وضرورة ــ الدفاع عن أنبياء الله عليهم السلام والكشف عن الصورة الحقيقيه لشخصياتهـــم الكريمه وبيان زيف ما افتراه عليهم اهل الكتاب تصحيحا لما زيفـو به تاريـخ هـــؤلاء الأنبياء الكرام وعملا على صيانه المعتقدات والاخلاق التي افسدها اهل الكتـــاب بتزيفهـم لتاريخ الأنبياء والحاق الشناعات الاخلاقيه بسلوكهـم •

ولقد كانت تلك دوافـعي لكتابة هذا البحث واهدافي منه هذا ومع التزامـي بالدفاع عن الأنبياء ضد شبهات اهل الكتاب فقد كنت موضوعيا في منهجي في بحـــث هذا الموضوع فلم اغفـل بشرية الانبياء بل قررت ما قرره القرآن عنهم فاللـــــه عز وجل أعلم بانبيائـه منا وهو أغير عليهم منا • فلم اهمل ما ذكره القرآن من وقـــوع بعض المخالفات بل درستها وبينت كيف أنها لا تتعارض مع مفهوم العصمه الصحيـــح فنحن لن نؤمن ببعض الكتاب ونكفـر ببعض ولن نقبل بعضها ونرد البعض الآخـــر بالتأويل والتحريف هذا ولقد سميت بحثي (عصمة الأنبياء بين المسلمين واهـــل الكتاب) •

وكانت خطتي في دراستـــه أن قسمته الى مقدمة وأربعة أبواب وخاتمـــه

أما المقدمـــه :

وهي التي بين أيدينا فتشتمل على بيان اهمية البحث ودوافعي لدراستـــه وأهدافي منه ومنهجي فيه مع بيان خطة الرسالة •

الباب الأول : مفهوم العصمه والنبوه :

ويشتمل على فصليـن :

الفصل الاول : وتحدثت فيه عن مفهوم العصمه في اللغه واشتقاقها ثـم بينت مفهومها اصطلاحا منتهيا الى ما رأيته صحيحـا في تعريفها •

الفصل الثاني : تحدثت فيه عن مفهوم النبوه وبينت الفرق بين النبـي والرسول ورجحت قول الجمهور الذين يقولون بالتفريـق بينهما ثم تتبعت اقوال العلماء الذين ذكروا وجـه الفرق بين النبي والرسول فرجحت رأي السلف فـي القضيه وبحثي في الفرق بين النبي والرسول يثبـت العصمة للرسول من باب اولـى ••

الباب الثانـــــى : عصمة الأنبياء عند مفكرى الاسلام :

ويشتمل على ثلاثة فصـــول :ـــ

الفصل الاول : وبحثت فيه اراء المتكلمين فى عصمة الأنبياء فذكرت رأى ــ الخوارج والمرجيئه والشيعه والمعتزله والاشاعره

الفصل الثانى : وفيه عرضت ادلة القائلين بعصمة الأنبياء من صغائــــــر الذنوب وناقشت هذه الادله وبينت ان دلالتها فـــــى محل النزاع ليست صحيحـــه .

الفصل الثالث: وفيه عرضت لرأى السلف فى موضوع العصمة وبينت ان ــ رأيهم هو الذى يتفق مع نصوص القرآن .

الباب الثالـــث : تحقيق القول فى الآيات الموهمه لعدم عصمة الأنبياء

وهو الباب التطبيقى وفيه ذكرت بعض الآيات التى يتوهم فيهـــــــا عدم عصمة الأنبياء وبينت كيف أنها لا تتعارض مع مفهوم العصمه عنــد السلف وقسمت الباب الى تسعة فصول كل فصل يتناول بعـــــــض الآيات التى جاءت عن نبى من الأنبياء وقد تناولت هذه الفصـــــول التسعه الدفاع عن عصمة كل من آدم ونوح وابراهيم ويوسف وموســــى وداود وسليمان ويونس ومحمد عليهم السلام .

الباب الرابـع : موقف اهل الكتاب من عصمة الأنبيـــاء :

ويشتمل على فصليـن :

الفصل الاول : موقف اليهود من عصمة الانبياء ودحض اباطيلهم

" الثانى : موقف النصارى من عصمة الانبياء ودحض اباطيلهم

الخاتمـــه :

وبينت فيها اهم نتائج البحث كما اشتمل البحث على فهرس للمراجـــــع

وآخـــر للموضوعــــات ..

وأخيرا فانني احمد الله سبحانه وتعالى على تسهيله وتيسيره فما كـــان من صواب فمن الله وحده وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان ثم أتقدم بجزيـــل الشكر الى استاذى الفاضل الدكتور/ صلاح عبد العليم المشرف السابق والـــذى كان له دور كبير فى اختيار الموضوع وفى توجيهى ورعايتى .

كما اشكر استاذى الفاضل محى الدين الصافى المشرف الحالى الذى فتح لى قلبه وبيته فجزاه الله عنى خيرا .

كما اشكر الدكتور محمد الرشيد عميد كلية الشريعه السابق على تشجيعـــه وتوجيهه والدكتور طيان الحازمى والدكتور على عباس الحكمـــــى عميدها الحالى .

واشكر كل من ساهم فى هذه الرسالة المتواضعه بجهد أو نصيحه واســـأل الله عز وجل ان يجزيهم عنى خيــرا .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين . وصلى الله وسلم وبارك علـــى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . .

الطالب

احمد عبد اللطيـــف

الباب الأول

العصمة والنبوّة

ويشتمل على فصلين

الفصل الأول : معنى العصمة

الفصل الثاني : مفهوم النبوة

الفصـــل الاول

مفهـــوم العصمـة

المبحث الاول : العصمـــة فـي اللغـــة

المبحث الثانى : العصمة فـى الاصطـــلاح

وفيـــه : ١ ـ التعريف الاول

٢ ـ التعريف الثانى

٣ ـ التعريف الثالث

٤ ـ التعريف الرابع

٥ ـ التعريف الخامس ((تعريف الحكماء))

٦ ـ التعريف السادس

٧ ـ التعريف السابع

٨ ـ التعريف الثامن

٩ ـ التعريف التاسع

١٠ ـ التعريف العاشر

١١ ـ التعريف الحادى عشر (تعريف الخفاجى)

١٢ ـ التعريف المقتـــرح

المبحـــث الاول

العصمه فـــي اللـغـــه

جـاء في اللسان (العصمة في كلام العرب المنع . وعصمـة اللــــــه عبده : أن يعصمه ممـا يوبقـــــه .

عصمه يعصمه عصمـا : منعـه ووقـــاه .

واعتصم فلان بالله اذا امتنع بـه . والعصمة : الحفــظ

يقـال : عصمته فانعصم . واعتصمت بالله اذا امتنعت بلطفـه من المعصية . وعصمه الطعام : منعـه من الجوع .

وهذا طعام يعصم اى يمنع من الجوع . واعتصم به واستعصم : امتنـــــع وأبـى) . (١)

وجاء في كتاب المفردات في غريب القرآن (العصم : الامساك والاعتصـام الاستمساك .

والاعتصام : التمسك بالشئ . واستعصم : استمسك كأنه طلب ما يعتصم بـه من ركـــوب الفاحشة . قال تعالى (فاستعصم) اى تحرى ما يعصمه .

والعصام : ما يعصم بـه اى يشـد .) (٢)

وجاء في الصحاح للجوهرى : (العصمة بقية كل شئ واثره من القطـــــران والخضاب ونحوه والعصمة بالضم مثلـه .

---

(١) اللسان مادة عصم ج : ١٢ ص : ٤٠٤

(٢) المصدر المذكور ص ٣٣٧

تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى الطبعة الاخيرة .

والعصمة المنع : يقال عصمه الطعام اى منعه الجوع

وابو عاصم : كنيه السويـــق

والعصمة الحفظ يقال عصمته فانعصم • واعتصمت بالله اذ امتنعت بلطفـــــــه من المعصيـــة •

وعصم يعصم عصما اكتسب •) (١)

قال صاحب القاموس (عصم : اكتسب وضع ووقى واليه اعتصم به والقربـــــه جعل لها عصاما كاعصمها •

وعصمه الطعام منعه من الجوع

والعصمه بالكسر المنع والقــــلاده) (٢)

وبعد هذا العرض نرى أن المدلول الاصلى لكلمة العصمه عند العـــــرب هو الحفظ والامساك والوقايه والمنع••

---

(١) الصحاح تاج اللغه وصحاح العربية اسماعيل بن حماد الجوهرى ح : ٥ ص : ١٩٨٦ •

(٢) القاموس المحيط ماده عصـــــم ح : ٤ ص : ١٥١ •

المبحث الثانـــى

العصمة فى الاصطلاح

عرف العلماء العصمة فى الاصطلاح تعريفات مختلفه وسأورد هذه التعاريف وسأبين المآخذ الوارده على كل تعريف . وبعد الانتهاء من ايراد تلـــك التعاريف ومناقشتها ساقترح تعريفا أرى ـ بحسب ظنى ـ انه سالم مـــن المآخذ فإن يكن صوابا فمن الله وان يكن خطأً فمنى ومن الشيطان .

التعريف الاول :ـ

قال قوم : تكون خاصية فى نفس الشخص او فى بدنه يمتنع بسببهـــا صدور الذنب عنه (١) .

التعريف الثانى :ـ

وقال قائل : هى فعل يوقعه الله تعالى فيهم يمنعهم عن المعاصى (٢) .

التعريف الثالث : ـ

وقيل هى ــاى العصمه ــ سلب قدرة المعصوم على المعصيه فلا يمكنه) (٣) فعلهــــا .

التعريف الرابــع :ـ (هى عدم قدرة المعصيه) (٤)

ونسبه بعض الروافض الى الشيخ ابى الحسن الاشعرى

وقد انتقدت هذه التعاريف لان فيها معنى الجبر ويكون الانبياء مجبوريــن على ترك المعصيه قال الراغب الاصفهانى : (فاما من قال هم ممنوعون عـــن الذنوب حتى لا يقدروا عليها بخطأً فان الله تعالى خلق الانسان حيـــا ناطقا مميزا مختارا فقال (انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفـــورا) (٥)

(١) المواقف ص ٣٦٦ .

(٢) كتاب الاعتقاد لابى القاسم الحسن بن محمد الراغب الاصفهانى تحقيـــق الطالب اختر جمال لقمان ـ رسالة ماجستير اشراف د . محى الديـــن الصافى ص ١٥٣ .

(٣) شرح الكوكب المنير ح : ٢ ص : ١٦٧ .

(٤) فواتح الرحموت ح : ٢ ص : ٩٧ .

(٥) الانسان (٣) .

وقال : الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين) (١) واخراج الانسان عن هذه لنبيه المخصوصة اخراج له عن الانسانية فان ذلك من خصائص الانسان ولذلك قال تعالى (قل انما انا بشر مثلكم) (٢) ومن لا يمكن المعصيه منه فليس بواجب وقوع الطاعه منه لا نهما متقابلان ومن فعل فعلا انطباعا لم يوصف بكونه مطيعا ولا استحق عليه ثوابا ولو لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم قادرا على المعصيه لم يقل (لئن اشركت ليحبطن عملك) (٣) الى غير ذلك من الوعيد وذلك لا يصح ان يقال انه كان مصروفا عن الشر قهرا فان ذلك يخرجه من كونه مستحقا للثواب)(٤)

كما انتقد صاحب المواقف التعريف الاول فقال : (ويكذبه انه لو كان كذلك لما استحق المدح بذلك وايضا فالاجماع على انهم مكلفون بترك الذنوب مثابون به ولو كان الذنب ممتنعا عنهم لما كان كذلك وايضا فقوله (قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي) (٥) يدل على مماثلتهم لسائر الناس فيما يرجع الى البشريه والامتياز بالوحي لا غير) (٦) .

---

(١) البلد (٩)
(٢) الكهف (١١٠) .
(٣) الزمر (٦٥) .
(٤) كتاب الاعتقاد ص ١٥٤ .
(٥) الكهف (١١٠) .
(٦) المواقف (ص) ٣٦٦ .

التعريف الخامس : تعريف الحكماء :

وعرفها الحكماء بقولهم : (ملكة تمنع من الفجور وتحصل بالعلم بمثالب المعاصي ومناقب الطاعات وتتأكد بتتابع الوحي بالاوامر والنواهي والاعتراض على ما يصدر عنهم من الصغائر وترك الاولى) (١) .

اقول : قولهم ملكة وتحصيلها بالاسباب المذكورة يعني ان العصمة امر مكتسب وما ذكروه من اسباب لتحصيلها يمكن لغير الأنبياء من عملها . فالعلم بمثالب المعاصي ومناقب الطاعات ليس خاصا بالأنبياء وتتابع الوحي يستفيد منه الأنبياء وغيرهم. واما الاعتراض على ما صدر منهم من صغائر فليس خاص بالانبياء بل قد اعترض على الصحابه (اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم) النور ١٥

ومثل : (الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم وأقيموا الصلاه وءاتوا الزكاه فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشيه الله أو اشد خشيه وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والأخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا . (٢)

ومثل قوله تعالى : (وعلى الثلاثه الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم) (٣) .

والحاصل ان هذا التعريف يجعل العصمه امر مكتسب ويؤدي الى ان العصمه جائزه لغير الانبياء وهذا باطل بالاتفاق (٤)

---

(١) المواقف ٣٦٦

(٢) النساء ايه (٧٧) .

(٣) التوبة ايه (١١٨) .

(٤) انظر المواقف ٣٩٩ .. لقد بين صاحب المواقف في هذه الصفحه أن جواز العصمه لغير الأنبياء باطل بالاتفاق

التعريف السادس :ـ

(الا يخلق الله فيهم ذنبا) (١)

التعريف السابع :ـ

وقيل (خلق مانع عن ارتكاب المعصيه غير ملجئ) (٢)

التعريف الثامن :ـ

وقيل (حفظ ظواهرهم وبواطنهم من التلبس بمنهى عنه ولو نهى كراهه او خلاف الاولى) (٣)

مناقشة هذه التعاريف :ـ

(١) فى التعريف السادس اغفال لوقت العصمه ويفهم منه أنهم عصموا منذ ولادتهم ولا قائل بذلك الا الشيعه .

(٢) قوله ذنبا يشمل جميع الذنوب صغيرها وكبيرها عمدها وخطأها وعصمتهم من الصغائر عمدا موضع خلاف واما سهوا او خطأ فجائز بالاتفاق .

ويرد ايضا على التعريف السابع ما اوردناه على السادس من اغفال لوقت العصمه وكذلك اغفال تحديد المعصيه الممتنع على الانبياء ارتكابها . ولا يمتنع عليهم ارتكاب المعصيه سهوا بالاتفاق .

والتعريف الثامن يرد عليه ما اوردته على سابقيه من اغفال لزمن الحفظ وقوله من (التلبس بمنهى عنه) مردود بالاجماع على انهم تلبسوا بمنهى عنه والخلاف فى كيفيه تلبسهم هل كان عن عمد او سهو او نسيان .

فآدم عليه السلام اكل من الشجرة بالاجماع . والشجرة التى اكل منها كان منهيا عنها بالاجماع والخلاف فى كيف اكل ؟ .

---

(١) المواقف ص ٣٦٦ .

(٢) فواتح الرحموت جـ : ٢ ص : ٩٧ .

(٣) حاشية الشيخ ابراهيم البيجورى على جوهرة التوحيد ص : ٦٥ .

التعريف التاسع :

وقيل (حفظ الله للمكلف من الذنب مع استحالة وقوعه)

والتعريف التاسع يرد عليه ما اوردته على التعاريف السابقه من اغفال لوقت العصمه وعدم تفريقه بين الذنـــوب ثم ان دعواه استحاله صدور الذنب عنهم دعوى باطلـــه بالاجماع بعضها الوقوع المتفق عليه وانما الخلاف فى الكيفيـــه .

كما يرد عليه جعله الحفظ للمكلف وهو يشمل الانبيـــاء وغيرهم والعصمه خاصـــه بالانبياء بالاتفاق (٢) .

---

(١) حاشية البيجورى ص ٧٣

قال : (وقد يقال ان عصمة الانبياء قد تضمنت فى قوله (واجب فى حقهـــم الامانه اذا الامانه هى العصمه . .) ثم ذكر التعريف الاخر كما ذكر وقال (ولا يجوز لنا سؤال العصمه بهذا المعنى كان يقال اللهم انا نسألك العصمه فان اريد المعنى اللغوى وجاز لنا سؤالها . .)

(٢) انظر المواقف ص ٣٩٩

قال ذاكرا شروط الامامه (الخامسه ان يكون معصوما شرطها الاماميـــه الاسماعيليـــه ويبطله ان أبا بكر لا تجب عصمته اتفاقا .

التعريف العاشر :

(وقيل : عصمة الانبياء : حفظ الله تعالى اياهم بما خصهم به من صفاء الجوهر ثم بما اولاهم من الفضائل النفسيه والجسميه ثم بالنصرة وتثبيت اقدامهم ، ثم بانزال السكينة عليهم ، وحفظ قلوبهم ، وبالتوفيق .) (١)

انشغل صاحب هذا التعريف بتعديد الاسباب التى يحصل بها الحفظ في حين اغفل ما هو اهم وهو بيان ما حفظوا منه هل حفظوا من الناس ؟ ام حفظوا من الذنوب واذا كان مراده الحفظ من الذنوب فاى ذنب ذلك الذى حفظوا منه هل هو صغيره ام كبيرة وهل حفظوا من تعمد الذنب ام من عمده وسهوه ؟ ثم متى حفظوا اقبل النبوه ام بعدها ؟ .

---

(١) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروز ابادى ت ٨١٧ هـ ج : ٤ ص : ٧٣ (مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادى) طبعة المجلس للشئون الاسلاميه القاهره ١٣٨٩ ، ١٩٦٩

التعريف الحادى عشر : ((تعريف الخفاجى))

لقد رجح الدكتور محمد ابو النور الحديدى تعريف الخفاجى فقال : (وعرفت العصمة فى اصطلاح اهل الشرع بتعريفات متعددة اوضحها واسلمها من الاعتراضات وانسبها للمعنى اللغوى ما ذكره الشهاب الخفاجى من انها : لطف من الله تعالى يحمل النبى على فعل الخير ويزجره عن الشر مع بقاء الاختيار تحقيقا للابتلاء) (١)

قلت : هنالك امور كثيره تحمل على فعل الخير وتزجر عن الشر كالقرآن والوازع الدينى والضمير اليقظ الحى • ولطف الله يحمل النبى وغيره على ذلك فمن فعل خيرا فبفضل الله ولطفه ومن ترك حراما فبنعمة الله فلم يبين فى هذا التعريف هل اللطف على الاستمرار فلم تقع منه مخالفه قط ام لا ؟

لذا فهذا التعريف ينتابه كثير من القصور .

---

(١) عصمه الانبياء ص : ٦٣

الدكتور محمد ابو النور الحديدى •

التعريف المقترح :

وبعد ان عرفنا جمله من التعاريف ورأينا ما ينتابها من القصور رأيت ان اقترح تعريفا ارى انه جامع مانع فان يكن صوابا فمن الله وان يكن خطأ فمنى ومن الشيطان •

فالعصمة هى : حفظ الله ظواهر الرسل وبواطنهم مما تستقبحه الفطر السليمه قبل النبوة وحفظهم من الكبيرة وصغائر الخسه بعدها وتوفيقهم للتوبة والاستغفار من الصغائر وعدم اقرارهم عليها) ••

الفصـــل الثانى

مفهـــوم النبـــوه

المبحث الاول : الاشتقاق اللفظى لكلمه نبى

المبحث الثانى : الفرق بين النبى والرسول .

١ ـ رأى المعتزله

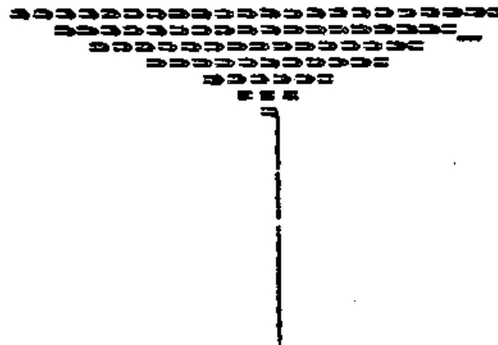
٢ ـ رأى الاشاعره

٣ ـ رأى السلف

المبحث الثالث: وجه الفرق بين النبى والرسول

١ ـ عند الاشاعره

٢ ـ عند السلف



الفصل الثانى

سنناقش فى هذا الفصل مدلول كلمه النبى فى اللغه فنبين الاصل اللغوى الذى اخذت عنه هذه اللفظه كما سنناقش الفرق بين النبى والرسول عند بعض الفرق الاسلاميه مرجحين ما نراه صحيحا .. وبالله التوفيق ..

المدلول اللغوى للنبى :

جاء فى اللسان : النبأ : الخبر ....

قال تعالى : (عما يتساءلون • عن النبإ العظيم) (١) قيل عن القرآن وقيل عن البعث وقيل عن أمر النبى (ص)

الجوهرى : والنبى المخبر عن الله ... وهو فعيل بمعنى فاعل •

قال ابن برى : صوابه أن يقول فعيل بمعنى مفعل مثل نذير منذر واليم بمعنى مؤلم •

وفى النهاية : فعيل بمعنى فاعل للمبالغه من النبأ الخبر لانه انبأ عن الله أى اخبر •

وقال سيبويه : انهم تركوا الهمز فى النبى ... والهمز فى النبىء لغه رديئه •

قال الفراء : النبى هو من انبأ عن الله فترك همزه وان اخذ من النبوه والنباوه وهى الارتفاع عن الارض اى انه اشرف على سائر الخلق ..

---

(١) سوره النبأ ايه (١ ـ ٢)

وقيل النبى مشتق من النباوه وهى الشئ المرتفع (١) .

ويقال : نبأت من الارض الى ارض اخرى اذا اخرجت منها اليها .

والنبئ الطريق الواضح (٢)

ولقد ذكر القاضى عياض ان النبى مشتق من المعنى الاول وهو الخبر اى النبأ او الثانى وهو النبوه وهو ما ارتفع .

لكنه ذكر اضافه عما جاء فى اللسان وهو انه فعيل بمعنى مفعول اى منبأ اى ان الله تعالى أطلعه على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون نبى او يكون فعيل بمعنى فاعل (٣) .

اما شيخ الاسلام فقد ذكر المعنيين السابقين الا أنه رجح أنه فعيل بمعنى مفعول قال : (فكذلك نبى الله هو بمعنى مفعول اى منبأ الله الذى نبأه الله وهذا اجود من ان يقال انه بمعنى فاعل اى منبئ فانه اذا انبأه الله فهو نبى الله سواء انبأ بذلك غيره او لم ينبئه فالذى صار به النبى نبيا ان يؤ.. وهذا مما يبين ما امتاز به عن غيره) (٤) .

وبين ايضا ان الانباء فى عامه موارد استعماله اخص من مطلق الاخبار فهو يستعمل فى الاخبار بالامور الغائبه دون المشاهده واستدل بقوله

---

(١) لسان العرب ج : ١ ص ١٦٢ ـ ١٦٣ .

(٢) اللسان ج : ١ ص : ١٦٤ .

(٣) وانظر القاموس المحيط للفيروز ابادى ج / ٤ ص : ١٥١ فصل النون باب الهمزه .

(٤) الشفا ج : ١ ص : ٤٨٧ .

(٥) النبوات ص : ١٦٦ ..

(وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم) (١) (٢) .

وبين ان المعنى اللغوى الثانى وهو الرفعه والعلو . داخل فى الاول فمن انبأه الله وجعله منبئا عنه فلا يكون الا رفيع القدر عليا اما لفظ العلو والرفعه فلا يدل على خصوص النبوه اذ كان هذا يوصف به من ليس نبى . (٣)

أما شمس الدين الاصفهانى فيرى أنه بمعنى مفعول اذا كان من النبوه وهو ما ارتفع من الارض . ويكون فعيل بمعنى فاعل اذا كان من النبأ وهو الخبر . ثم ذكر المعنين الاخرين وهو بمعنى الخروج أو بمعنى الطريق كما نقلناه من اللسان (٤) .

وذكر صاحب المواقف للنبى ثلاثه معانى نقل منها وهى الاخبار ، الارتفاع ، الطريق (٥) .

واما عبد القاهر البغدادى فذكر ان النبى مأخوذ من النبأ وهو الخبر او النباوه وهو ما ارتفع من الارض (٦) .

والذى يظهر لى ، والله اعلم ان النبى مشتق من النبأ وهو الخبر وهو فعيل بمعنى مفعول اى منبأ ولا يمنع ايضا أن يكون مأخوذ من الرفعه فالمعنيان فى حقه مؤتلفان كما قال القاضى عياض (٧) .

---

(١) النبوات ص ٢٢٢ .

(٢) آل عمران ٤٩ .

(٣) النبوات ص : ٢٢٣ .

(٤) شرح مطالع الانظار لشمس الدين الاصفهانى ت ٧٤٩ على متن طوالع الانوار للقاضى عبد اللهالبيضاوى ت ٦٨٥ ص ١٩٨ .

(٥) المواقف ص : ٣٣٧ .

(٦) اصول الدين للاستاذ عبد القاهر البغدادى ٤٢٩ .

(٧) انظر الشفا جـ : ١ ص ٤٨٧ .

ونحن اذا قلنا ان النبـــى فعيل بمعنى مفعول سيظهر لنا الفـــرق بين النبى والرســـول •

اذ قد ثبت بالادله القويه وجود فرق بينهما وهو رأى الجمهور كما سيأتى •
ولكننا اذ قلنا أنه فعيل بمعنى فاعل فلن يكون هنالك ثمة فرق بينهما اذ كـــل منهما مخبر عن الله مبلغ لرسالته وسنتكلف فى اظهار فروق لا دليل عليهـــا لا من كتاب ولا سنه ولا لغه كما سنرى من اقوال المتبنيـــن لهذا الرأى •

ولكن اذا قلنا أنه فعيل بمعنى مفعول اى مخبر من الله سواء اخبـــر بذلك غيره ام لا فلن نتكلف فى اظهار الفرق بينهما •• والله اعلم ••

المبحث الثالث

الفرق بين النبي والرسول

رأي المعتزلـــه :

قال القاضي عبد الجبار (اعلم انه لافرق في الاصطلاح بين الرسول والنبـــي وقد خالف في ذلك بعضهم واستدل) بقوله تعالى (وما ارسلنا من قبلك من رســـول ولا نبي الا اذا تمنـى ٠٠٠) (١)

قالوا فصل القديم بين الرسول والنبي فيجب ان يكون احدهما غير الاخـر. والذي يدل على اتفاق الكلمتين في المعنى هو انهما يثبتان ويزولان معا في الاستعمال حتى لو اثبت احدهما ونفى الآخر لتناقض الكلام .

وأما قوله (وما ارسلنا من قبلك من رسول ٠٠٠٠٠٠٠) (١)

فانه لايدل على ما ذكروه لان مجرد الفصل لا يدل على اختلاف الجنسين الا ترى انـه تعالى فصل بين نبينا وغيره من الانبياء ثم لا يدل على ان نبينا ليس من الانبيـــاء وكذلك فانه تعالى فصل بين الفاكهه وبين النخل والرمان ولم يدل على ان النخـــل والرمان ليسا من الفاكهه كذلك ههنا) (٢)

قلت ليست هذه فقط هي ادله الجمهور بل ستأتي ادلتهم ان شاء اللـــه .

أما اعتراضه بان الله عز وجـــل فصل بين نبينـا وغيـــره من الانبيـــــــاء ٠٠ وكذلك قوله ان الله تعالى فصل بين الفاكهه وبين النخيل . قلت هذا الاعتراض حجه عليه لا له لان هذا الفصل او العطف من باب عطف الخاص على العام . فـــاذا قلنا مثلا انبياء الله دخل نبينا (صلى الله عليه وسلم) في هذا المفهوم .

---

(١) سوره الحج ٥٢

(٢) شرح الاصول الخمسه للقاضي عبد الجبار

تحقيق عبد الكريم عثمان ـ مكتبه وهبه ـ الطبعه ١٣٨٤

ص ٥٦٧ = ٥٦٨ ـ ٥٦٧

وأما اذا قلنا نبينا لم يدخل باقي الانبياء وكذلك اذا قلت فاكهه شملت جميع انواع الفواكه واما اذا قلت نخل ورمان فلا تدخل بقيه الفاكهه وهكذا في هذه الايه فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول كما قال الجمهور ـ والله اعلم ـ •

كما ذكر الرازي عن المعتزله أنهم لا يفرقون بين مفهوم النبي والرسول قال :

(وقالت المعتزله كل رسول نبي وكل نبي رسول ولا فرق بينهما واحتجوا على فساد القول الاول ـ وهو القول بالتفريق ـ بوجوه : ـ

١ ـ هذه الاية ـ وهي قوله تعالى (وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ••) سوره (١) ـ فانها آية دالة على أن النبي قد يكون مرسلا وكذا بقوله (وما ارسلنا في قرية من نبي) سوره (٢)

٢ ـ أن الله تعالى خاطب محمدا مره بالنبي ومره بالرسول فدل على انه لا منافاه بين الامرين وعلى القول وهو التفريق ـ المنافاه حاصله •

٣ ـ انه تعالى نص على انه خاتم النبيين •

٤ ـ ان اشتقاق لفظ النبي اما من النبأ وهو الخبر او من قولهم نبأ اذا ارتفع والمعنيان لا يحصلان الا بقبول الرساله) (٣) وقد خالف الزمخشري جمهور المعتزله فقال بالتفريق يقول عند تفسير قوله تعالى (وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي •••) (٤) دليل بين على تغاير الرسول والنبي •

والفرق بينهما ان الرسول من الانبياء من جمع الى المعجزه الكتاب المنزل عليه والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وانما امران يدعوا الناس الى شريعه من قبله) (٥) •

---

(١) سورة الحج ايه ٥٢ •   (٢) سورة الاعراف ايه ٩٥ •
(٣) التفسير الكبير ج : ٢٣ ص : ٤٨ ـ ٤٩ •
(٤) سورة الحج ايه ٥٢ •   (٥) الكشاف ج : ٣ ص : ١٨ •

رأي الاشاعـــــره

قال القاضي عياض (والصحيح والذى عليه الجماء الغفير أن كل رسول نبـــى وليس كل نبى رسولا وأول الرسل آدم وآخرهم محمد) (١)

والرازى يرجح القول بالتفريق بين النبى والرسول ولا يرى ان ادله المعتزلـه والتى سبق ان بيناها تبطل القول بالتفريق ثم استدل بهذه الايه على التفريق بيـن النبى والرسول وهى قوله تعالى (وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى ٠٠٠) (٢) فالنبى عطف على الرسول والعطف يقتضى المغايره وهو من باب عطف العام علـــى الخاص ٠

واستدل ايضا بقوله تعالى (وكم ارسلنا من نبى فى الاولين) (٣) وذلــــك يدل على انه كان نبياً فجعله الله مرسلا واستدل ايضا بالحديث وانه قيـل لرسول الله كم المرسلون ؟ فقال ثلثمائه وثلاثه عشر فقيل كم الانبياء؟ قال مائه الف واربعه وعشرون الفا الجم الغفير ٠٠٠) (٤) ٠

---

(١) الشفا حـ : ١ ص : ٤٨٨ ـ ٤٨٩

(٢) الحج ايه ٥٢

(٣) سوره الزخرف ايه (٦)

(٤) التفسير الكبير حـ : ٢٣ ص : ٤٩ : الحديث رواه احمد فى المسند عن ابى امامه الباهلى وهو حديث طويل (٠٠٠ قلت يا نبى الله فاى الانبياء كان او لا قال آدم عليه السلام قال ه قلت يانبى الله او نبى كان آدم قال نعم نبى مكلم خلقه الله بيده ثم نفخ فيه من روحه ثم قال له يا آدم قبلاه قال قلت يارسول الله كم وفى عده الانبياء قال مائه الف واربعه وعشرون الفا المرسل من ذلك ثلاثمائـه وخمسه عشر جما غفيرا) ٠

الفتح الربانى لترتيب مسند الامام احمد الشيبانى جـ : ٢٢ ص : ٢٧٢

قال الشيخ حمود بن عبد الله التويجرى بعد ان ذكر شواهد لهذا الحديـث (قلت وهذا الحديث قد تعددت طرقه وصححه ابن حبان وصحح الحاكم ما رواه منه من طريق المسعودى ووافقه الذهبى على تصحيحه وقال الشوكانى فى =

وممن يرى التفريق ايضا من الاشاعره عبد القاهر البغدادى فى كتابه اصول الدين قال (وكل رسول لله عز وجل نبى وليس كل نبى رسول له) (١)

وكذلك الراغب الاصفهانى فى كتابه العقائد لكنه قال (الرسالة اخص من النبوه فكل رسول نبى وليس كل نبى رسولا) (٢)

قلت : الرسالة اعم من النبوة وليست اخص من جهة نفسها وهى اخص من جهة اهلها فالرسول اخص من النبى ... كما سيأتى قول شيخ الاسلام ابن تيميه .

= ا رشاد الثقات اخرجه ابن حبان والبيهقى بسند ين حسنين انتهى وقد اعتضد بما يأتى من حديث ابى امامه وعوف بن مالك رضى الله عنهما ، وعلى هذا فاقل الاحوال فيه ان يكون صالحا للاستشهاد) فتح المعبود ص ١٣٠ ـ ١٣١

(١) اصول الدين ص : ١٥٤

(٢) كتاب العقائد ص ١٢٨

تحقيق اختر جمال

رأى السلـــف

يرى السلف التفريق بين النبى والرســـول قال ابن جرير مفسر أقوله تعالى (وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى ...) (١) فتاويل الكلام ولم يرسل يا محمد من قبلك من رسول ألي أحد من الامم ولا نبي محد ثليس بمرســـل الا اذ تمنى)(١)

وقال شيخ الاسلام (كما يقال في الرسالة والنبوة فالنبوة داخلة في الرسالـــة والرسالة اعم من جهة نفسها واخص من جهة اهلهـــا فكل رسول نبي وليس كل نبـــي رسولا فالانبياء اعم والنبوة نفسها جزء من الرسالة فالرسالة تتناول النبوة وغيرها بخلاف النبوة فانها لا تتناول الرسالة) (٢) .

وقال صاحب الطحاوية (فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا ولكن الرسالة اعـــم من جهة نفسها فالنبوة جزء من الرسالة اذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها بخلاف الرسل فانهم لا يتناولون الانبياء وغيرهم بل الامر بالعكس فالرسالة اعم من جهة نفسهـــا واخص من جهة اهلها) (٣) .

وقال ابن القيم (وكذلك اختيار سبحانة للانبياء من ولد آدم عليه الصلاة والسلام وهم مائة الف واربعة وعشرون الفا واختيارة الرسل منهم وهم ثلاثمائة وثلاثة عشـــر علي ما في حديث ابي ذر الذى رواه احمد وابن حبان وصححة واختيارة اولي العـــزم

---

(١) الحج اية (٥٢) .

(١) تفسير الطبرى جـ = ١٧ ص = ١٨٩ .

(٢) الايمان ص : ١١ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص : ١٦٧ .

منهم وهم خمسة ...) (١) .

فمن هذا النص نرى ان ابن القيم كشيخة يرى التفريق وقال ابن كثير : عند تفسير قولة تعالي (ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) (٢) وهذه الاية نص في أنه لا نبي بعده واذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعدة بالطريق الاولي والاحرى لان مقام الرسالة اخص من مقام النبوة فان كل رسول نبي ولا ينعكس)(٣)

قلت : والذى ارجحة هو رأي الاشاعرة والسلف وهو التفريق بين مفهوم النبي والرسول وذلك لما يأتي :ـ

١ ـ لقولة تعالي (وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ...) (٤) فالعطف يقتضى المغايره فلا يصح ان يعطف الشئ على نفسه فى الكلام الفصيح .

٢ ـ حديث ابى امامه وفيه سأل ابو ذر النبي (ص) عن عدد الانبياء وعدد المرسلين فالحديث نص على الفرق بينهما والحديث يصلح للاستشهاد كما قرر ذلك الشيخ حمود التويجرى .(٥)

٣ ـ حديث البراء بن عازب رضى الله عنهما قال قال لى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (اذا اخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاه ثم اضطجع على شقك الايمن ثم قل اللهم انى اسلمت وجهى اليك وفوضت امرى اليك والجأت ظهرى اليك رغبة ورهبة اليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك آمنت بكتابك الذى انزلت ونبيك الذى ارسلت واجعلهن من آخر كلامك فان مت من ليلتك مت وأنت على الفطره قال فرددتهن لا ستذكرهن فقلت آمنت برسولك الذى ارسلت قال قل آمنت بنبيك الذى ارسلت) (٦) .

---

(١) زاد المعاد جـ : ١ ص ٦ ـ ٧

(٢) سوره الاحزاب ٤٠

(٣) تفسير ابن كثير جـ : ٣ ص ٤٩٣

(٤) سوره الحج ايه ٥٢ (٥) انظر فتح المعبود ص ١٣٠

(٦) صحيح مسلم بشرح النووى جـ : ١٧ ص ٣٢

فوجه الدلالة من هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم صحح للبراء بن عازب خطأه عندما قال آمنت برسولك الذي ارسلت فأمره أن يقول بنبيك الذي ارسلت فلو لم يكن هنالك ثمة فرق بين النبي والرسول لما صحح النبي له ذلك ولأقره على قوله ولكن تصحيح النبي له يدل على وجود فرق بين مفهوم النبي والرسول .

المبحث الثالث

وجه الفرق بين النبى والرسول

وبعد ان ثبت بالادله القويه وجود فرق بين النبى والرسول كما اثبت ذلك الاشاعره والسلف •

اقول بعد ذلك سننتقل الى مبحث جديد نبين وجه الفرق بين النبى والرسول عند كل من الاشاعره والسلف مرجحين ما نراه اقرب للصواب •

وجه الفرق بين النبى والرسول عند الاشاعره :

ولكن ما ألفرق بين النبى والرسول ؟

ذكر الاشاعره اقوالا فى الفرق بينهما قال الرازى : (اذا ثبت هذا اى التفريق فنقول ذكروا فى الفرق بين الرسول والنبى امورا :ـ

(١) ان الرسول من الانبياء من جمع الى المعجزه الكتاب المنزل عليه والنبى غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وانما امران يدعو الى كتاب من قبله •

(٢) ان من كان صاحب المعجزه وصاحب الكتاب ونسخ شرع من قبله فهو الرسول ومن لم يكن مستجمعا لهذه الخصال فهو النبى غير الرسول وهؤلاء يلزمهم ان لا يجعلوا اسحق ويعقوب وايوب ويونس وهارون وسليمان رسلا لانهم ما جاؤا بكتاب ناسخ •

(٣) أن من جاءه الملك ظاهرا وامره بدعوه الخلق فهو الرسول ومن لم يكن كذلك بل رأى فى النوم كونه رسولا أو اخبره احد من الرسل بانه رسول الله فهو النبى الذى لا يكون رسولا وهذا هو الاولى) (١)

---

(١) التفسير الكبير للامام فخر الرازى
جـ : ٢٣ ص : ٤٩

فانت ترى ان الرازى يرجح الرأى الاخير اقول لماذا لا يرى أنه نبيا فى منامه؟ ولماذا لا يقول له الرسول انت نبى ابتداء ؟ فاما انه لا فرق بين معنى النبـى والرسول ولا يقول بذلك الرازى • او يكون هنالك فرق بين معنى النبى والرسول ويكـون ما رآه فى المنام اضغاث احلام اذ لم تطابق رؤياه الواقع اذ رأى انه رسولا فاصبح نبيا •

ويلزم من ذلك ايضا ان الرسول قد كذب على النبى اذا اخبره انه رســـول وهو فى الحقيقه نبى لا رسول •

أو ان الرسول كان جاهلا عندما اخبره وكان يظنه رسولا وهو فى الحقيقـــة نبى عرف ذلك الرازى وجهله الرسول ••

وقال الراغب : وقال البعض فى الفرق بينهما ان الرسول هو من يأتيه الوحـــى من الوجوه كلها والنبى من له الوحى المنامى والالهامى دون غيرها) •

وقال ايضا (ومن خاصيه الرسول ان يكون له شريعه مخصوصه والنبى قــــد لا يختص بشريعه بل يكون مجددا لشريعه من تقدمه ولهذا قال (يحكم بها النبيـــون الذين اسلموا) (١) (٢)

وذكر صاحب اصول الدين ان الفرق بينهما ان النبى من اتاه الوحى من الله عز وجل ونزل عليه الملك بالوحى والرسول من يأتى بشرع على الابتـــداء أو بنسخ بعض احكام شريعه قبله (٣)

---

(١) المائده ٤٤

(٢) كتاب العقائد للراغب ص ١٣٠ ــ ١٣١

(٣) اصول الدين ابى منصور البغدادى ت ٤٢٩ ص ١٥٤

وقيل (الرسول من بعثه الله الى قوم بشرع جديد بالنسبه اليهم وان لم يكن جديدا فى نفسه كاسماعيل عليه السلام اذ بعث لجرهم اولا •

والنبى يعمه ومن بعث بشرع غير جديد كذلك) (١) اقول وهذه الاقوال جميعا جاءت عن اجتهاد بلا دليل والله اعلم بالصواب ••

---

(١) روح المعانى للالوسى : ١٧ ص ١٧٢

وجه الفرق بين النبي والرسول عند السلف

قال ابن تيميه فى مجموع الفتاوى (فان اول ما انزل من القرآن (اقرأ باسم ربك) (١) عند جماهير العلماء وقد قيل يا ايها المدثر روى ذلك عن جابر والاول اصح فان (ما) فى حديث عائشه الذى فى الصحيحين يبين ان اول ما انزل (اقرأ باسم ربك نزلت عليه وهو فى غار حراء وان المدثر نزلت بعد .

وهذا هو الذى ينبغى فان قوله (اقرأ امر بالقراءه لا تبليغ الرسالة وبذلك صار نبيا وقوله (قم فانذر) (٢) امر بالانذار وبذلك صار رسولا منذرا) (٣)

ترى ان الشيخ يرى ان الفرق بين النبى والرسول ان النبى لم يؤمر بالتبليغ انما انبئ بالغيب والرسول انبى وامر بالتبليغ وقد تكون النبوه فتره قبل الرساله .

وقال صاحب الطحاويه (وقد ذكروا فروقا بين النبى والرسول واحسنها ان من نبأه الله بخبر السماء ان امره ان يبلغ غيره فهو نبى رسول وان لم يأمره ان يبلغ غيره فهو نبى وليس برسول) (٤)

وقال ابن كثير مفسرا قوله تعالى (قم فانذر) قال (اى شمر عن ساق العزم وانذر الناس وبهذا حصل الارسال)

كما حصل بالاول النبوه) (٥) ويقصد بالاول قوله تعالى (اقرأ ....)

وما قاله السلف فى الفرق بين النبى والرسول هو الذى اميل اليه لان له سندا من اللغه ؟

وما قاله الاخرون فى الفرق بين النبى والرسول لادليل عليه ومثل هذا لايقال بالاجتهاد او الرأى ..

---

(١) سوره العلق (١)
(٢) سوره المدثر (٢)
(٣) مجموع الفتاوى جـ : ١٦ ص ٢٥٧
(٤) المدثر ايه ٢
(٥) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٤٤٠

الباب الثاني

عصمة الأنبياء عند مفكري الإسلام

الفصل الأول : آراء المتكلمين في عصمة الأنبياء

الفصل الثاني : أدلة القائلين بالعصمة من الصغائر ومناقشتها

الفصل الثالث : عرض مذهب السلف في عصمة الأنبياء



الفصـــل الأول

آراء المتكلميـن فى عصمـــة الانبيـــاء

:وفيه عدة مباحـــث :

المبحث الاول : رأى الخـــوارج

المبحث الثانى : رأى المرجئـــه

المبحث الثالث: رأى الشيعـــه

وفيه مسائل

المسأله الاولى : العصمة قبل النبوه

المسألة الثانيه : بعد النبـوه

المبحث الرابع : رأى المعتزلـــه

وفيه مسائل

المسأله الاولى : العصمه قبل النبوه

المسأله الثانيه : العصمه بعد النبوه

المبحث الخامس : رأى الاشاعره

وفيه مسائل

المسألة الاولى : العصمه قبل النبوه

المسألة الثانيه : " بعد النبوه

==========

المبحث الاول

رأى الخـــوارج :ـ

حكى بعض العلماء عن بعض فرق الخـوارج تجويزهم وقوع الكفر من الأنبيـاء .

فحكى الرازى عن الفضيليه ذلك فقال (وقالت الفضيليه من الخوارج انهم قـــد وقعت منهم الذنوب والذنب عندهم كفر وشرك فلا جـــرم قالـوا بوقوع الكفر منهم) (١)

كما حكاه عنهم الاصفهانى فى كتابه شرح مطالع الانظـــار . (٢)

وحكى صاحب المواقف عن الازارقه ذلك فقال : (اما الكفر فاجمعت الامــــه على عصمتهم منه غير أن الازارقه ـ من الخوارج ـ جوزوا عليهم الذنب وكل ذنـــب عندهم كفـــر) (٣) .

وقال صاحب التيسير : (........ وهم الازارقه حتى جوزوا عليه الكفـــــر فقالوا :

يجوز أن يبعث الله نبيا علم أنه يكفر بعد نبوتــه) (٤)

وحكى عن الفرقتين جميعا الآمـــدى فقال : (... فما كان منها كفـــرا

---

(١) التفسير الكبير جـ : ٣ ص : ٧ ، وانظر العصمه للرازى ص ٢ ، و المحصول ص ٣٤٠ جـ ١
وانظر شرح البدخشى جـ : ٢ ص ١٩٦

(٢) شرح مطالع الانظار شمس الدين الاصفهانى ص : ٢٠٩

(٣) المواقف ص ٣٥٨ ـ ٣٥٩

(٤) تيسير التحرير جـ / ٣ ص : ٢١

فلا نعرف خلافا بين أرباب الشرائع فى عصمتهم عنه الا مانقل عن الازارقه من الخوارج أنهم قالوا بجواز بعثه نبى علم الله أنه يكفر بعد نبوته وما نقل عن الفضيليه من الخوارج أنهم قضوا بأن كل ذنب يوجد فهو كفر مع تجويزهم صدور الذنوب عن الانبياء) (١) .

وحكى ابن حزم عن الخوارج مطلقا أنهم يرون العصمه مطلقا قال : (وذهبت جميع أهل الاسلام من أهل السنه والمعتزله والنجاريه والخوارج والشيعه الى أنه لا يجوز البته أن يقع من نبى أصلا معصيه بعمد لا صغيره ولا كبيره) (٢) .

قلت : اطلاقه غير صحيح ففى المسأله تفصيل وخلاف بين جميع الفرق من خوارج ومعتزله وشيعه وسيأتى .

وسبق بيان رأى بعض الفرق من الخوارج ..

---

(١) الاحكام للامدى ج : ١ ص : ٢٤٣

(٢) وانظر الفصل فى الملل والاهواء والنحل ح : ٤ ص : ٢

المبحث الثانـــي

رأى المرجئـــــه :

المرجئـه مختلفـون فى معاص الأنبياء هل هى كبائـر أم صغائـــر؟ علـــى مقالتين :ــ

قال ابو الحسن الاشعـرى :

(١) فقالت الفرقه الاُولى منهم : معاصيهم كبائر وجوزوا على الأنبياء فعل الكبائـــر من القتل والزنا وغيـر ذلك .

(٢) وقالت الفرقه الثانيه : معاصيهم صغائر ليست بكبائـــر) (١) .

والظاهر أن الفرقه الأولـى هى فرقة الكراميه حيث نص على ذلك صاحب اصـــول الدين فقال : (وأجاز ابن كرام فى كتابه الذنوب من الأنبياء من غير تفصيل منه) .

والفرقه الثانيه أصحابه قال صاحب أصول الدين : (ولأصحابه اليوم فى ذلـــك تفصيل ويقولون يجوز عليهم من الذنوب مالا يوجب حدا ولا تفسيقـا . وفيهم مـــن يجيز الخطأ فى التبليـغ ويزعم أنه اخطأ عند تبليغ قوله : ومناه الثالثه الاخـــــرى ، حتى قال : تلك الغرانيق العلى و شفاعتها ترتجـــى .) (٢) .

---

(١) المقالات حـ : ١ ص: ٢٣١

(٢) اصول الدين ص : ١٦٧ ــ ١٦٨

ومن حكى هذا عن الكراميه ابن حزم ايضا فقال :

(فذهبت طائفه الى أن رسل الله يعصون في جميع الكبائر والصغائر عمدا حاشا الكذب في التبليغ وهذا قول الكراميه من المرجئه ....) (١) .

كما حكى عن بعضهم جواز الكذب في التبليغ ولم يحدد ابن حزم هل هو عن عمد أم عن خطأ فقال : (وسمعت عن بعض الكراميه انهم يجوزون على الرسل عليهم السلام الكذب في التبليغ ايضا) (٢)

والظاهر ان من يجيز ذلك منهم يجيزه خطأ كما ذكر ذلك صاحب أصول الدين وسبق أن ذكرته .

وكلام بن حزم عن الكراميه ليس على اطلاقه فالقوم مختلفون كما ذكر ذلك الاشعري في المقالات والله اعلم

---

(١) الفصل في الملل والاهواء والنحل

ج : ٤ ص : ٢

المبحث الثالث

مذهب الشيعه

المسأله الاولى : العصمة قبل النبوه :

يرى الشيعه عصمه الأنبياء قبل النبوه

قال الرازى : (فقال بعضهم انها من أول الولاده الى آخر العمر) (١)

والظاهر أن الضمير فى بعضهم يعود الى الشيعه لأنه نص فى التفسير عليهم فقال : (٠٠ احدها قول من ذهب الى انهم معصومون من وقت مولدهم وهو قول الرافضه) (٢) ٠

وذكر النيسابورى ذلك نصا فقال : (وفى وقت عصمتهم ثلاثه اقوال : فمذهب الشيعه انهم معصومون من وقت مولدهم والمعتزله من وقت بلوغهم ٠٠٠٠) (٣)

وقال صاحب المواقف (٠٠٠٠ وقالت الروافض : لا يجوز عليهم صغيرة ولا كبيرة فكيف بعد الوحى ؟) وكان يتحدث عن العصمه قبل النبوه ٠ كما ذكره الآمدى (٥)

---

(١) عصمه الأنبياء للرازى ص : ٣

(٢) التفسير الكبير للرازى ج : ٣ ص : ٧

(٣) من غرائب القرآن ورغائب الفرقان نظام الدين الحسن النيسابورى ج : ١ ص : ٢٧٨
وانظر تفسير الخازن ج : ٣ ص : ٢٥

(٤) المواقف ص : ٣٥٩

(٥) الاحكام للامدى ج : ١ ص : ٢٤٢

وذكر ذلك ايضا البدخشي فقال : (الأكثر من المتخصصين على أن لا يمتنع عقلا على الأنبياء قبل النبوه ذنب من كبيره او صغيره خلافا للروافض مطلقا .. (١)
وذكره الامدى ايضا .

اذن فالشيعه يرون عصمه الأنبياء من حين مولدهم ويرون أنهم معصومون من جميع الذنوب كبيرها وصغيرها .

---

(١) شرح البدخشي ج : ٢ ص : ١٩٥
وانظر تيسير التحرير ج : ٣ ص : ٢٠
وانظر التفتازاني على ابن الحجاب ج : ٢ ص : ٢٢
" شرح الكوكب المنير ج : ٢ ص : ١٦٩

المسألة الثانيه : العصمة بعد النبوة :ــ

فاذا كان الشيعه يرون عصمة الأنبياء مطلقا قبل النبوة فمن باب اولى بعدها (١) والواقع أن هنالك خلافا فى مذهب الرافضه فيما يتعلق بالعصمة وقد ذكر ذلك أبــو الحسن الاشعرى فقال : (اختلف الروافض فى الرسول عليه الصلاة والسلام هــل يجوز عليه أن يعص ام لا ؟) (٢)

ثم بين أنهم فرقتان :ــ

(١) الفرقه الاولى يزعمون أن الرسول (ص) جائز عليه أن يعص وأن النبى قــد عصى فى أخذ الفداء يوم بدر .

(٢) والفرقه الثانيه فهم يزعمون انه لا يجوز على الرسول أن يعص .

ولذلك رد شيخ الاسلام ابن تيميه فى منهاج السنه على صاحب منهاج الكرامــه ما نقله عن الشيعه من أنهم يرون عصمه الأنبياء من الخطأ والسهو والمعصيه صغيرهــا وكبيرها فقال : (أولا ان الاماميه متنازعون فى عصمه الانبياء قال الاشعرى فــى المقالات واختلف الروافــض .....) (٣)

---

(١) انظر فواتح الرحموت ج : ١ ص : ٩٧

(٢) مقالات الاسلاميين ص ١٢١

(٣) منهاج السنه ج : ١ ص : ٢٢٦

ومما يؤيد اختلاف الشيعة ايضا ما نسبه صاحب أصول الدين لهشام بن الحكم فقال (وكان هشام بن الحكم الرافضي يشترط العصمة في الامام ويجيز الخطأ على النبي (ص) . ويزعم انه عصى ربه في أخذ الفداء من اساري بدر غير أن الله تعالى غفر له ذلك) (١) .

وما ذكره الرازي في التفسير قائلا (أنه لا يقع منهم الذنب لا الكبيرة ولا الصغيرة لا على سبيل القصد ولا على سبيل السهو ولا على سبيل التأويل والخطأ وهو مذهب الرافضة) (٢) .

اقول ما ذكره ليس على اطلاقه لان القوم مختلفون .

وحق ان أقول إن الروافض يجيزون على الانبياء اظهار كلمة الكفر على سبيل التقيه (٣) .

ولقد رد عليهم صاحب فواتح الرحموت فقال بعد ان ذكر مذهبهم وهو اجازة اظهار الكفر تقية قال : (.... وهذا من غاية حماقتهم فانه لو جوز هذا الأمر العظيم عليهم لما بقي الأمان في أمر التبليغ وهو ظاهر كيف وما من نبي الا بعث بين

---

(١) اصول الدين لعبد القاهر البغدادي ٢٩ ص ١٦٧

(٢) التفسير الكبير ج : ٣ ص : ٧ والمحصول في علم اصول الفقه للرازي ص ٢٢٩ ج
عصمة الانبياء ص : ٣
وانظر غرائب القرآن ج : ١ ص : ٢٧٨

(٣) عصمة الانبياء للرازي ص : ٢
وغرائب القرآن ج: ١ ص : ٢٧٧
والمواقف ص : ٣٥٩ وفواتح الرحموت ج: ٢ ص : ٩٧

اظهر أعدائه فلعله كتم شيئا من الوحي خوفا منهم وخصوصا على مذهبهم الباطل وحماقتهم الكاملة أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما عاش من وقت البعثه الى وقت الموت الا في أعدائه .....)(١).

ثم قال (...... والحق انهم بمثل هذه الاقاويل خرجوا عن ربقه الاسلام (١)

---

(١) فواتح الرحموت ج: ٢ ص: ٩٧

المبحث الرابع

مذهب المعتزلة

المسألة الاولى : العصمة قبل النبوة :

اختلف المعتزلة فى عصمة الانبياء قبل النبوة

قال القاضى عبد الجبار (... فقد ثبت أنه لا يجوز على الانبياء الكبيره لا قبل البعثة ولا بعدها ...

ويجرى فى كلام أبى على فى مواضع فان كلامه فى مواضع يقتضى أنه يجوز على الأنبياء الكبيره قبل البعثة وان كان لا يجوزها بعدها ...) (١) .

كما أنه ذكر ذلك فى كتابه المغنى ولم يذكر الخلاف . (٢)

فمن كلامه السابق نرى أن هناك خلافا بينهم فى موضوع العصمه من الكبيره قبل النبوه .

لذا فقد ذكر الآمدى أن كثيرا منهم لا يرى العصمه قبل النبوه من الكبيره قال : (أما قبل النبوه فقد ذهب القاضى أبوبكر واكثر أصحابنا وكثير من المعتزله الى انه لا يمتنع عليهم ، المعصيه كبيره كانت أو صغيره بل ولا يمتنع عقلا ارسال

(١) شرح الاصول الخمسه للقاضى عبد الجبار ص ٥٧٣
تحقيق عبد الكريم عثمان ــ الناشر مكتبه وهبه

(٢) المغنى فى ابواب التوحيد والعدل ج : ١٥ ص: ٣٠٤

من أسلم وآمن بعد كفــــره ٠٠٠٠) (١)

ولكن الأكثرون على أنهم معصومون من ارتكاب الكبيــره قبل النبوه كما ذكـــر ذلك أيضا الآمدى فقال بعد أن تحدث عن مذهب الرافضه وأنهم يرون العصمه قبـــل النبوه قال :

(٠٠٠ ووافقهم على ذلك أكثر المعتزله الا في الصغائـــر ٠٠٠) (١)

وذكر ذلك عنهم أيضا الرازى فقال : (٠٠٠ قول من ذهب الى أن وقـــت عصمتهم وقت بلوغهم ولم يجوز منهم ارتكاب الكفر والكبيره قبل النبوه وهو قول كثيــــر من المعتزله) (٢) ٠

كما حكاه عنهم صاحب المواقـــف وأضاف انهم يرون ان ذلك يمتنع وان تـــاب منها ٠ قال : (وقال أكثر المعتزله : يمتنع الكبيره وان تاب منها لأنه يوجـــب النفـره وهى تمنع عن اتباعه فتفـوت مصلحه البعثه) ومنهم من منع عما ينفر مطلقـــا كعهر الامهات والفجور في الاباء والصغائـــر الخسيه دون غيرها) (٣) ٠

---

(١) الاحكام للامدى ص ٢٤٢ جـ : ١ وانظر الروض الباسم في الذب عن سنه ابى القاسم ابى عبدان السيد محمد بن ابراهيم الوزير ص ١١٥

(٢) التفسير الكبير للرازى جـ : ٣ ص : ٧

وانظر تفسير الخازن جـ : ٣ ص : ٢٥٠

(٣) المواقـف ص ٣٥٩

وانظر شرح البدخشى جـ : ٢ ص : ١٩٥

المسأله الثانيه : العصمه بعد النبوه :

اتفق المعتزله على عصمة الانبياء بعد النبوه من الكبائر ومن الكذب والكتمان ٠ ويرون أن ذلك يمتنع عقلا لأن ارتكاب الكبيره ينفر عن قبول دعوتهم فالله عز وجل يقول (ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك) ٠

فوجب أن يعصموا من كل منفر ٠ (١)

اقول هذا فيما يتعلق بالكبائر والكذب والكتمان فهم على اتفاق قال ابو الحسن الاشعرى : (واجمعت ـ اى المعتزله ـ ان معاص الانبياء لا تكون الا صغارا) (٢) ٠

اما الصغائر : فقد جوزه اكثر المعتزله ٠ وممن حكى خلافهم فى مسأله الصغائر أبو الحسن الاشعرى وذكر أن بعضهم منع من تعمد الصغيره وبعضهم جوز تعمد الصغيره (٣) ٠

وقال القاضى عبد الجبار (فاما الصغائر التى لاحظ لها الا فى تقليل الثواب دون التنفير فانها مجوزه مع الانبياء ولا مانع يمنع منه لان قلة الثواب مما لا يقدح فى صدق الرسل ولا فى القبول منهم) (٤) ٠

---

(١) انظر شرح الاصول للقاضى عبد الجبار ٠ص
وانظر التفسير الكبير للرازى ج : ٣ ص : ٧
وانظر المغنى فى ابواب التوحيد ج : ١٥ ص : ٢٧٩
وانظر العصمه للرازى ص : ٣
وانظر الاحكام للامدى ج : ١ ص : ٢٤٣ ـ ٢٤٤
وانظر غرائب القرآن ج : ١ ص : ٢٧٨
وانظر المواقف ص ٣٥٩

(٢) مقالات الاسلامين واختلاف المصلين ج : ١ ص : ٢٩٧

(٣) مقالات الاسلامين ج : ١ ص : ٢٩٧

(٤) شرح الاصول ص ٥٧٣

وذكر ذلك ايضا في المغني واضاف انه لا دليل يمنع من ذلك ولان بعضهم أفضل من بعض فلو لم يتفاضلوا لصحت عصمتهم من الصغائر . (١)

وهذا القول هو مذهب أكثر المعتزله خلافا للجبائي والنظام (٢) وجعفر بن بشر في العمد (٢) .

وقال صاحب اصول الدين (قال النظام وجعفر بن بشر ان ذنوبهم على السهو والخطأ .....) (٣)

وقال صاحب المواقف (واما الصغائر عمدا فجوزه الجمهور الا الجبائي) (٤) كما حكاه عنهم الرازي في التفسير الكبير وذكر في العصمة عن النظام أنه لا يجوز الصغيره بالعمد ولا بالتأويل ولا بالخطأ أما السهو والنسيان فجائز (٥)

قلت : فما الفرق بين السهو والنسيان والخطأ ؟ ليجيز السهو والنسيان ويمنع الخطأ والظاهر ان ما نقله صاحب اصول الدين اكثر ضبطا .

---

(١) المغني في ابواب التوحيد ج: ١٥ ص: ٢٨٠
قلت : ادعاؤهم ان عصمه الانبياء من الصغائر مؤديه الى عدم تفاضلهم غير صحيح اذ التفاضل سيظل موجودا حتى مع العصمه من الصغائر وذلك بتفاوتهم في الطاعات .

(٢) انظر الاحكام للامدي ج: ١ ص: ٢٤٤

(٣) اصول الدين ص: ١٦٨

(٤) المواقف ص ٣٥٩

(٥) التفسير الكبير ج: ٣ ص: ٧
عصمة الانبياء للرازي ص: ٣

والزمخشري يسير على رأي اكثـر المعتزله من ان الانبياء غير معصومين مـــــن الصغيرة .

قال في الكشاف (فان قلت : الخطيئه التي أهبط بها آدم ان كانت كبيرة فالكبيـرة لا تجوز على الانبياء وان كانت صغيرة ، فلم جرى عليهما جـرى بسببها من نزع اللبـاس والاخراج من الجنـه ....

قلت : ما كانت الا صغيرة مغموره باعمال قلبه من الاخلاص والأفكار الصالحـــــه التي هي أجل الاعمال وأعظم الطاعات وانما جـرى عليه ما جـرى تعظيما للخطيئة) (١)

هذا والجميع متفقون على عصمتهم من الصغائر المنفـرة، كسرقة لقمـــــــه والتطفيـف بما دون حبـــه (٢) .

---

(١) الكشاف ج : ١ ص : ٢٧٥

(٢) انظر العصمه للرازي ص ٣

المبحث الخامس

مذهب الاشاعره

المسألة الاولى : العصمة قبل النبوه :

لا يرى الاشاعره العصمة للأنبياء قبل النبوة وقد سبق أن ذكرنا قول الآمدى حيث قال (أما قبل النبوه فقد ذهب القاضى ابو بكر وأكثر اصحابنا .... الى أنه لا يمتنع عليهم المعصيه كبيره كانت أو صغيره بل ولا يمتنع عقلا ارسال من اسلم وآمن بعد كفره) (١) . كما حكاه صاحب الروض الباسم (٢) .

ثم رجح الآمدى قول القاضى أبو بكر فقال : (والحق ما ذكره القاضى لأنه لا سمع قبل البعثه يدل على عصمتهم عن ذلك والعقل دلالته مبينه على التحسين والتقبيح العقلى ووجوب رعايه الحكمة فى أفعال الله تعالى وذلك كله مما أبطلناه فى كتبنا الكلامية) (٣) .

---

(١) الاحكام ج: ١ ص: ٢٤٢
وانظر نهايه السول شرح الاسنوى ج : ٢ ص: ١٩٦
وانظر شرح الكوكب المنير ج: ٢ ص: ١٦٩

(٢) الروض الباسم فى الذب عن سنة ابى القاسم ص ١١٥

(٣) الاحكام ج: ١ ص: ٢٤٢ ـ ٢٤٣

وقال صاحب المواقف : (وأما قبله ـ ومراده قبل النبوة ـ فقال الجمهور ـ لا يمتنع ان يصدر عنهم كبيرة اذ لا دلالة للمعجز عليه ولا حكم للعقل .) (١)

وقال الرازى (وقال الاكثرون هذه العصمه انما تجب فى زمان النبوة . فأما قبلها فهى غير واجبه وهو قول أكثر أصحابنا رحمهم الله) (٢) .

وقال الاستاذ عبد القاهر البغدادى (واجازوا عليهم الذنوب قبل النبوه) (٣) ومراده بقوله اجازوا اصحابه من الاشاعره لانه قال فى البدايه (اجمع اصحابنا ثم عطف وقال (واجازوا) وقوله الذنوب يشمل الصغائر وغيرها .

وما سبق ان قررناه هو مذهب جمهور الاشاعره وخالفهم القاضى عياض فقال : (وقد اختلف فى عصمتهم من المعاصى قبل النبوه فمنعها قوم وجوزها آخرون والصحيح ان شاء الله تنزيههم من كل عيب وعصمتهم من كل ما يوجب الريب فكيف والمسأله تصورها كالممتنع فان المعاصى والنواهى انما تكون بعد تقرر الشرع) (٤) .

---

(١) المواقف ص ٣٥٩

(٢) عصمه الانبياء ص ٣

(٣) اصول الدين ص : ١٦٨

(٤) الشفا ج : ٢ ص : ٢٣٥

المسألة الثانيه : العصمة بعد النبوه :

لقد اجمع علماء الاشاعرة على عصمة الأنبياء من الكبائر بل حكى القاضي عياض اجماع المسلمين على ذلك فقال : (فأجمع المسلمون على عصمة الأنبياء من الفواحش والكبائر الموبقات ومستند الجمهور فى ذلك الاجماع الذى ذكرناه وهو مذهب القاضي ابى بكر . (١) (٢) .

وممن حكى الاجماع ايضا ابن الحاجب . (١)

والظاهر ان اجماعهم على ما كان عمدا لا مطلقا قال صاحب المواقف (٣)

(اما الكبائر عمدا فمنعه الجمهور واما سهوا فجوزه الاكثرون) (٣)

كما يفهم من كلام الرازى ونص عليه الآمدى فقال (فان كان من الكبائر فقد اتفقت الأمه سوى الحشوية .. على عصمتهم عن تعمده من غير نسيان ولا تأويل (٤) .

---

(١) محمد بن الطيب الباقلاني امام اهل السنه توفى سنه٤٠٣ . وهو غير أبى بكر ابن العربى شيخ المنفر رحمهم الله .

(٢) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ج: ٢ ص: ٣٣٧
وانظر ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الاصول .
محمد بن على الشوكانى سنه ١٢٥٥ ص: ٣٣
وانظر شرح الكوكب المنير : ج: ٢ ص: ١٧٢
وانظر التفتزانى على ابن الحاجب ج: ٢ ص: ٢٢

(٣) المواقف ص ٣٥٩

(٤) الاحكام فى اصول الاحكام للآمدى ج: ١ ص: ٢٤٤
وانظر عصمه الانبياء للرازى ص ٣
والتفسير الكبير ج: ٣ ص: ٧

وقال صاحب أصول الدين (اجمع أصحابنا على وجوب كون الأنبياء معصومين عن الذنوب كلها . وأما السهو والخطأ فليسا من الذنوب فلذلك ساغا عليهم .) (١)

كما اجمعوا على عصمة الانبياء عن الكذب والتحريف فيما يتعلق بالتبليغ عمدا واختلفوا فى كونه سهوا فمنعه ابو اسحاق والجمهور وجوزه القاضى ابو بكر (٢) .

---

(١) اصول الدين ص١٦٨

(٢) الاحكام للآمدى ج: ١ ص: ٣٤٣
التفسير الكبير جـ: ٣ ص: ٧
ارشاد الفحول ص: ٣٣
المواقف ٣٥٨

أما صغائر الخسه فمتفقون على عصمة الأنبياء منها وذلك كسرقة لقمه والتطفيف بحبه وذلك ما كان منها عمدا وهي حكمها حكم الكبيره عندهم (١) .

وممن حكى الاجماع القاضي عياض قال : (وقال بعض ائمتنا لا يجب على القولين ان يختلفا انهم معصومون عن تكرار الصغائر وكثرتها اذ تلحقها بالكبائر ولا في صغيرة أدت الى ازالة الحشمه واسقطت المروءه واوجبت الازراء والخساسه فهذا مما يعصم عنه الانبياء اجماعا) (٢) .

وأما ماليس كذلك فتجوز عليهم عمدا عند اكثرهم قال صاحب المواقف : (وأما الصغائر عمدا فجوزه الجمهور .. واما سهوا فهو جائز اتفاقا) (٣) .

وقال الآمدي (واما ماليس بكبيره فاما ان يكون من قبيل ما يوجب الحكم على فاعله بالخسه ودناءه الهمه وسقوط المروءه كسرقه حبه او كسره فالحكم فيه كالحكم في الكبيره واما مالا يكون من هذا القبيل كنظره او كلمة سفه صادرة في حاله غضب فقد اتفق اكثر اصحابنا واكثر المعتزله على جوازه عمدا وسهوا ....) (٤)

---

(١) الاحكام للآمدي ج: ١ ص: ٢٤٤
ارشاد الفحول : ص ٣٣
نهايه السول ج: ٢ ص ١٩٧

(٢) الشفاء ج: ٢ ص: ٣٣٠

(٣) المواقف ص ٣٥٩

(٤) الاحكام للآمدي ج: ١ ص ٢٤٤

وقال صاحب اصول الدين (اجمع اصحابنا على وجوب كون الانبياء معصومين بعد النبوه عن الذنوب كلها واما السهو والخطأ فليسا من الذنوب فلذلك ساغا) (١) .

قلت : دعواه الاجماع على العصمه من الصغائر عمدا غير صحيح وقد ذكرت كلام الآمدى وصاحب المواقف بما يخالف هذا الاجماع ـ وذكر بن حزم عن ابن فورك فقال : (.... وذهبت طائفه الى ان الرسل عليهم الصلاه والسلام لا تجوز عليهم كبيره من الكبائر اصلا وجوزوا عليهم الصغائر بالعمد وهو قول بن فورك الأشعرى) (٢) فهذا يدل على أن الاشاعره مختلفون فدعوى صاحب اصول الدين الاجماع غير صحيح .

هذا وبقى ان اقول ان ابن حزم نسب الى ابى بكر الباقلانى من الأشاعره تجويزه وقوع الكبيره عمدا من الانبياء قال : (... فذهبت طائفه الى ان رسل الله (ص) يعصون الله فى جميع الكبائر والصغائر عمدا حاشى الكذب فى التبليغ فقط وهذا قول الكراميه من المرجئه وقول ابن الطيب الباقلانى من الاشعريه) (٢) .

وما ذكره ابن حزم مناقض لما نقله القاضى عياض وما اثبته القرطبى عن الباقلانى من قوله بالعصمه من الكبيره (٣) .

والذى ارجحه هو ما قاله القاضى عياض عنه والقرطبى اذ من المستبعد ان ينحو الباقلانى منحى المرجئه ثم لا نجد انتقادا له فى كتب الاشاعره او ذكرا لرأيه المخالف لما عليه جمهورهم . (٤)

---

(١) اصول الدين ص ١٦٨

(٢) الفصل فى الملل والاهواء والنحل جـ : ٤ ص ٢

(٣) انظر ص من البحث

انظر تفسير القرطبى حـ : ١ ص : ٣٠٨

(٤) قال الدكتور طه العلوانى : (ولقد اساء ابن حزم فهم قول القاضى هذا فزعم انه ممن ذهبوا الى القول بأن رسل الله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ يعصون الله فى جميع الكبائر والصغائر عمدا ؟ .. بل لقد اغرب اكثر فزعم أن القاضى يجوز على الأنبياء الكفر) .

المحصول فى علم اصول الفقه حـ ١ ص ٣٤٢

الفصـــل الثانـــى

أدله القائليـــن بالعصمه من الصغائـــر

المبحث الاول : ادله الرازى ومن تابعـــه :

الحجـه الاولـى ومناقشتهـــــا
" الثانيـه "
" الثالثـه "
" الرابعه "
" الخامسه "
" السادسه "
" السابعه "
" الثامنـه "
" التاسعـه "
" العاشره "
" الحاديه عشر "
" الثانيه عشر "
" الثالثه عشر "
" الرابعه عشر "
" الخامسه عشر "

المبحث الثاني : ادله ابن حـــزم

الدليل الاول ومناقشتـــــه
" الثانى "
" الثالث "
" الرابع "
" الخامس "

الفصل الثانـــــى

ادله القائلين بالعصمـــه من الصغائـــــر

ذهب الرازى الى ترجيح أن الأنبياء معصومون عن تعمد الصغائـر والكبائـــر ويجيز السهو واستدل على رأيه بخمسه عشر وجها سنذكرها لنرى مدى دلالتها علـــى القضيه التى رجحهـا (١) .

ومن ذكر هذه الادله أو بعضا منها صاحب المواقف ولكنه قال (ان دلالتهـــا فى محل النزاع وهى عصمتهم عن الكبيره سهوا وعن الصغيره عمدا ـ ليست قويه) وقـال (ومن قال ان الانبياء تصدر عنهم الصغائر عمدا فله مزيد من الفسحه) (٢)

وممن ذكرها ايضا النيسابورى (٣) وكذلك البيضاوى فى متن طوالع الانوار (٤) وكذلك الدكتور محمد ابو النور الحديدى (٥) ود . احمد السيد الكومى ود . محمد احمد القاسم (٦)

كماتبنى هذا الرأى ابن حزم وذكر ادله اخرى جعلناها فى مبحث مستقـــــل وسنتناولها بالمناقشـه ايضا لنرى مدى دلالتها فى محل النزاع وهو العصمه مـــن الصغائـــر . (٦) .

---

(١) انظر عصمه الانبياء للرازى من ص ٤ ـ ١٠

(٢) المواقف ٣٥٩ ـ ٣٦٠

(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان جـ : ١ ص: ٢٧٨

(٤) المصدر السابق ص : ٢٠٩

(٥) عصمه الانبياء ص : ١٣٢ ـ ١٤٠ (٦) التفسير الموضوعى للقرآن الكريم ص: ١٢٨

(٧) انظر الفصل فى الملل والاهواء والنحل جـ : ٤ ص : ٢٦ ـ ٣٠

المبحث الاول

أدلة الرازى ومن تابعه

الحجة الاولى :

لو صدر الذنب عنهم لكان لحالهم فى استحقاق الذم عاجلا والعقاب آجلا أشد من اوساط الأمه وهذا باطل فصدور الذنب باطل •

وقد أبان الامام الرازى الملازمه فقال ان اعظم نعم الله على العباد هى نعمة الرساله والنبوه وكل من كانت نعم الله تعالى عليه اكثر كان صدور الذنب عنه افحش وصريح العقل يدل عليه ثم يؤكده من النقل ثلاثة وجوه :ـ

الأول : قوله تعالى (يأنساء النبى لستن كأحد من النساء) (١) وقال تعالى (يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينه يضاعف لها العذاب ضعفين) (٢)

الثاني : أن المحصن يرجم وغيره يجلد •

الثالث: أن العبد يحد نصف حد الحر •

فثبت بما ذكرنا أنه لو صدر الذنب عنهم لكان حالهم فى استحقاق الذم العاجل والعقاب الآجل فوق حال جميع عصاة الأمه • الا أن هذا باطل بالاجماع فان احدا لا يجوز أن يقول ان الرسول أحسن حالا عند الله وأقل منزله من كل أحد وهذا يدل على عدم صدور الذنب عنهم (٣) •

---

(١) سورة الاحزاب ايه (٣٢)

(٢) سورة الاحزاب ايه (٣٠)

(٣) عصمة الانبياء للرازى ص : ٤

مناقشة الحجـة الاولــى :

وهذا الذى اورده الرازى كدليل يمكن نقضه من وجـوه :

أولا ان الذم العاجل والعقاب الآجل انما يكون على ذنب لم يتب منه صاحبـــه وليس كذلك ان تاب .

ثانيا قوله يلزم عنه القول بعصمه العشره المبشرين بالجنه وكذلك نساء النبى اذ لاعقاب عليهم فى الآجـل ولاذم فى العاجل ولا يقول احد بعصمتهـم حتى الشيعـة لا يقولون بعصمه العشره المبشرين بالجنه بل يقولون بعصمه الائمه وهـــذا باطـل .(١)

(١) قال صاحب اصول الدين (قال اصحابنا : اكثر الامه ان العصمه من شـروط النبوه والرساله وليست من شروط الامامـه ...) ص ٢٧٨

وقال صاحب المواقف ذاكراً شروط الامامه : (الخامسه أن يكون معصوما شرطهـا الاماميه والاسماعيليه ويبطله ان ابا بكر لا تجب عصمته اتفاقا) المواقف ص : ٢٧٨ .

الحجـة الثانيــــه :

لو صدر الذنب عنهم لما كانوا مقبولى الشهاده لقوله تعالى (يا يها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) (١) امر بالتثبت والتوقـــف فى قبول شهاده الفاســـــق الا أن هذا باطل فان من لم تقبل شهادته فى حال الدنيا فكيف تقبل شهادته فى الأديان الباقيه الى يوم القيامه ، وأيضا فانه تعالى شهد بأن محمدا عليه الصلاه والسلام شهيـد على الكل يوم القيامه قال (وكذلك جعلناكم امه وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكـون الرسول عليكم شهيدا) (٢) ومن كان شهيدا لجميع الرسل يوم القيامه كيف يكون بحـال لا تقبل شهادته فى الجنه (٣) .

مناقشة الحجة الثانيــه :

كلام الامام الرازى مشعر بالتلازم بين العصمه وقبول الشهاده وعلى هذا فيلـــزم من قوله عصمه كل من تقبل شهادته أو رد شهاده من ليس معصوم ولا عصمه الا للانبيــــاء وهذا باطل باتفـــاق .

---

(١) سوره الحجرات ايه (٦)

(٢) سورة البقره ايه (١٤٣)

(٣) عصمه الانبياء ص ٤ ــ ٥

الحجــة الثالثــــه :

ان صدرعنهم ـ اى الذنب ـ وجب زجرهم لعموم وجوب الأمــر بالمعــروف والنهى عن المنكر وأذاهم حرام اجماعا لقوله (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخــره) (١) (٢) .

مناقشة الحجة الثالثــه :

أولا : لا نسلم بان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فيه ايذاء للمأمور اذ لو كان كذلك لما جــاز أمر بمعروف ولا نهى عن منكر اذ لا يحل ايذاء المؤمن بحال .

ثانيا : أن النبى اذا أتى فعلا لم يكن لأحد من المؤمنين أن يغضب عليه أو يزجره اذ فعله لذلك الشىء دليل على اباحته فى اقل الدرجات ان لم يكـــن دليلا على سنيته او وجوبه والذى يعقب على النبى هو الله والله لا يقر الانبياء ان عصوا بل ينكر عليهم فيسارعون الى التوبه فيزدادون رفعه وعلوا .

وعلى هذا فلا يتصور ما ذكره صاحب المواقف من زجر المؤمنين للانبيـــاء ومــا رتبــه عليـــه .

---

(١) سورة الاحزاب : ٥٧

(٢) عصمه الانبياء ٥

الحجــة الرابعـــه :

لو صدر الفســق عن محمد (صلى الله عليه وسلم) لكنا اما أن نكون مأموريـــن بالاقتداء به وهذا لا يجوز أو لا نكون مأمورين بالاقتداء به وهذا ايضا باطل لقولـــه تعالى : (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) (١) ٠

ولما كان صدور الفسق يقتضى الى هذين القسمين الباطلين كان صدور الفســق عنه محالا ٠ (٢) ٠

مناقشة الحجــة الرابعــه :

هذا لا يصح دليلا للعصمه على مفهوم الرازى للعصمه وهى التى تشمل العصمــه من صغائر الذنوب والتى اخبر الله بوقوعها من أنبيائه كما سيأتى وليس هنالك ثمه تنافى بين الاقتداء بالنبى (صلى الله عليه وسلم) والتأسى به وبين صدور هذه الصغائـــر لأن القائلين بوقوعها يقولون ان الله لا يقرهم على الخطأ بل يوفقهم للتوبه والاستغفار ٠ فلا يكون هنالك ثمه تنــاقى ومثال ذلك الايه التى تأمر بامر ثم تأتى آيه اخرى فتنسخهـــا فلا محذور من ذلك ٠

---

(١) سوره آل عمران ٣١

(٢) عصمه الانبياء للرازى ص : ٥

الحجـة الخامسـه :

لو صدرت المعصيه عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لوجب أن يكونوا موعودين بعذاب اللهوبعذاب جهنم لقوله تعالى (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) (١) •

ولكانوا ملعونين لقوله تعالى (ألا لعنة الله على الظالمين) (٢) وباجماع الأمه هذا باطل فكان صدور الذنب عنهم باطل •

مناقشة الحجـة الخامسه :

هذه الآيات وعيد شديد لمن عصى ولم يتب أما من تاب عن الذنب فهو كمن لاذنب له لقوله تعالى (الا من تاب وامن ٠٠٠٠٠٠) (٣) ثم ان كلامه يدل على أن هنالك تلازم بين اللعنه والعصمه فالمعصوم ليس بملعون وكل من ليس بملعون معصوم وهذا التلازم باطل بالاجماع اذ هنالك من ليس بمعصوم وهو ايضا ليس بملعون •

---

(١) سوره النساء ايه ١٤

(٢) سوره الاعراف ايه ٤٤

(٣) سوره مريم ايه (٦٠) •

الحجـــة السادســه : (عصمة الانبياء ص / ٦) :

أنهم كانوا يأمرون بالطاعات وترك المعاصي ولو تركوا الطاعه وفعلوا المعصيــــه لدخلو تحت قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا لم تقولون مالاتفعلون كبر مقتــا عنــــد الله أن تقولوا مالا تفعلون) (١) وتحت قوله تعالى (اتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم (٢)) ومعلوم أن هذا فى غايه القبح وايضا أخبرالله تعالى عن رسوله شعيب عليه السلام أنــه برأ نفسه من ذلك فقال (وما أريد أن اخالفكم الى ما انهاكم عنه) (٣)

مناقشة الحجــة السادسه :

قلت : الذى يدخل تحت هذه الآيات من كان ينافق فظاهره النصح وباطنــــه الاصرار على المعاصى أما الانسان الذى لا يصر وهو صادق المظهر والمـخبــر فلا يدخل تحت هذه الآيات وان وقع منه خطأ ما سيما والدخول تحتها فى غايه القبح • اذا فهــم هذا فليس فى الآيات دليل على العصمه من الذنوب مطلقا •

والا لادخلنا تحت هذه الايات كل من ليس بمعصوم فيدخل كبار الصحابه ونســاء النبى (ص) ولا قائل بذلك اذا فليس فى الآيات تلازم بين العصمة والدخول تحتها

---

(١) سوره الصف ايه : ٢

(٢) سورة البقره ايه : ٤٤

(٣) سورة هـــود ايه : ٨٨

وأزيد ذلك ايضاحا أن ابا بكر الصديق لا تنطبق عليه الايات فليس هو ممن يقول ما لا يفعل ولا هو ممن يأمر بالمعروف وينسى نفسه فهل ابو بكر (رضى) مـــن المعصومين ولا قائل بذلك .

فاذن هذه الايات تصلح دليلا للقائلين ان الانبيــاء معصومون من الاقـــرار على الخطأ .

ويظهر الفرق بين النبي وبين غيره من كبار الصحابه والاولياء والمتقين أن الأول يصوب من عند الله لأنـــه قدوه وأما غيره فلا يصوب فليس بقدوه .

والاول ينزل عليه الوحي والثانى لا ينزل عليه وحي لذا فمن شهد له النبي (ص) بالجنـــه ومن كان ظاهره التقى لا يلزم من ذلك أنه لم يقتـــرف خطأ بل يجوز عليهـــم الخطأ وقد لا يتوبون منه ولكن يكفر لهم اما بالمصائب فى الدنيا وأنواع الابتلاءات أ و الحسنات الكثيره والاعمال الصالحه وأما الانبياء فلابد أن يتوبوا بعد تنبيــه الله لهـم كما سيأتى .

الحجـة السابعـه (١) :

قال الله تعالى فى صفة ابراهيم واسحاق ويعقوب (أنهم كانوا يسارعـــون فى الخيرات) (٢) والالف واللام فى صيغة الجمع تفيد العموم فدخل تحت لفظ (الخيرات) فعل كل ما ينبغى وترك كل ما لا ينبغى وذلك يدل على أنهم كانوا فاعلين لكـــل الطاعات وتاركين لكل المعاصى •

مناقشة الحجـه السابعه :

قلت : ليس فى الايه دليل على العصمه من الذنوب مطلقا ومن المسارعه الى الخيرات المسارعه الى التوبه والاستغفار (وسارعوا الى مغفرة من ربكم) (٣) (ان الله يحـب التوابين ويحب المتطهرين) (٤) فالتوبه من اجل القربات • والتائب من الذنـب كمن لا ذنب له ••

---

(١) عصمه الانبياء ص : ٦

(٢) سورة الانبياء : ٩٠

(٣) سورة آل عمران : ١٣٣

(٤) سورة البقره : ٢٢٢

الحجـة الثامنـــه (١)

، قوله تعالى (وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار)(٢) وهو ان اللفظيـــن اعنى قوله تعالى (المصطفين) وقوله (الاخيار) يتناولان جمله الافعال والتروك بدليل جواز الاستثناء يقال فلان من المصطفين الاخيار الا فى كذا ، والاستثناء يخرج مـــن الكلام ما لولاه لدخل ، فدلت هذه الايه على انهم كانوا من المصطفين الاخيار فى كـل الامور وهذا ينافى صدور الذنب عنهم ونظيـــره قوله تعالى (الله يصطفى مـــن الملائكه رسلا ومن الناس) (٧٥ :الحج) وقوله تعالى (ان الله اصطفى آدم ونوحـــا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين) (٣٣: آل عمران) .

وقال فى حق ابراهيم (ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الاخره لمـــن الصالحين) (٣) وقال فى حق موسى (انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى)(٤) واذكرعبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب اولى الأيدى والأبصار . انا اخلصناهـم بخالصه ذكرى الدار) (٥) .

مناقشـة الحجـــه الثامنـــه :

قلت : هذه الايات امتنان من الله على انبيائه على انه اختارهم لحمل هذه الرساله فهل هذا الامتنان او الاختيار ينفى صدور ذنب ذكره الله عنهم فى كتابه؟! فقوله وهـذا ينافى صدور الذنب عنهم ليس بصحيح اذ لا منافاه .

(١) عصمه الانبياء ص :٦
(٢) ص : ٤٧
(٣) سوره البقره ايه ١٣٠
(٤) سوره الاعراف ايه ١٤٤
(٥) ص : ٤٥

الحجة التاسعة :

لو كانوا غير معصومين لكانوا غير مخلصين لأن الذنب باغواء الشيطان وهو لا يغوى المخلصين لقوله تعالى (فبعزتك لأغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين) (١)

واللازم باطل لقوله تعالى فى حق ابراهيم واسحق ويعقوب (انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار) (٢) .

وفى يوسف (انه من عبادنا المخلصين) (٣) (٤)

مناقشة الحجة التاسعة :

قلت : لا تلازم فليس كل غير معصوم غير مخلص والا لكان كبار الصحابه الذين ليسو بمعصومين غير مخلصين ولا قائل بذلك احد الا الشيعه الذين يدعون عصمة أئمه اهل البيت وهو قول باطل لا دليل عليه وعقيده اهل السنه انهم لا يعتقدون عصمه احد من الصحابه ولا من القرابه قال شيخ الاسلام بن تيمية : (والائمه الذين لا يعتقدون عصمة أحد من الصحابة ولا من القرابة بل يجوز عليهم وقوع الذنوب .....

(١) سوره ص ٨٣

(٢) سوره ص ٤٦

(٣) سوره يوسف ايه (٢٤)

(٤) العصمه للرازى ص : ٧

فأهل السنه لا يعصمون ولا يؤثمون بخلاف اهل البدع ٠) (١)

ثم بين ضلال من يزعم العصمه لأحد غير الأنبياء وذكر أن في كفره نزاع قال (ومن ادعى العصمة لأحد في كل ما يقوله بعد الرسول فهو ضال وفي تكفيره نزاع وتفضيل ٠٠٠) (٢)

وقال أيضا (٠٠٠٠ بخلاف غير الأنبياء فانهم ليسو معصومين كما عصم الأنبياء ولو كانوا اولياء الله ولهذا من سب نبيا من الأنبياء قتل باتفاق الفقهاء ومن سب غيرهم لم يقتل) (٣) ٠

---

(١) مختصر الفتاوى المصريه ص ٤٨٣

(٢) مختصر الفتاوى ص ٥٥٨

(٣) مجموع الفتاوى ج: ١٠ ص: ٢٩٠

الحجة العاشـــره (١)

قوله تعالى (ولقد صدق عليهم ابليس ظنـه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين) (٢)
فهؤلاء الذين لم يتبعوا ابليس اما أن يقال : انهم الأنبياء أو غيرهم فان كانوا غيرهـــم
لزم أن يكونوا افضل منهم ، لقوله تعالى (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) (٣) وتفضيــــل
غير النبى على النبى باطل بالاجماع (٤) .

مناقشة الحجـة العاشره :

أقول : هل هذا الفريق الذين لم يتبعوا ابليس هم الانبياء خاصه ؟
فمن قال ان هذا الفريق هم الانبياء كان خاطئـا بل يشمل ايضا غيرهم من كبـــار
الصحابه والتابعين وصالح المؤمنين الى يوم القيامه ، اذا لا تكون الايه دليل علـــى
عصمتهم والا لقلنا بعصمه الاولياء .

---

(١) العصمـــه ص : ٨
(٢) سورة سبأ ايه (٢٠)
(٣) سورة الحجرات أيه (١٣)
(٤)

الحجــة الحاديه عشره (١)

انه تعالى قسم المكلفين الى حزب الله وحزب الشيطان فلو اذنبــوا لكانــوا من حزب الشيطان فيكونون خاسرين لقوله تعالى (الا ان حزب الشيطان هــــــــم الخاسرون) (٢) .

مناقشة الحجــة الحاديه عشر :

قلت : ليس كل من أذنب من حزب الشيطان بل التائــب من الذنب كمــــــن لاذنب لـــــه .

ونحن نقول ان الصحابه ليسو بمعصومين وهم كذلك ليسوا من حزب الشيطــان فلا تلازم بين العصمه وحزب الرحمن .

---

(١) العصمــه ص : ٨

(٢) سوره المجادله ايه (١٩) .

الحجـة الثانيه عشـــره (١)

قال الرازى : ان أصحابنا ـ رحمهم الله تعالى بينوا أن الأنبياء أفضـــل من الملائكـه وثابت بالدلالـه أن الملائكه ما أقدموا على شـىء من الذنوب فلـــو صدرت عن الأنبيـاء لامتنع أن يكونوا زائدين فى الفضـل على الملائكه لقوله تعالـــى (أم نجعل الذين آمنـوا وعملوا الصـالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعـــل المتقين كالفجـار) .(٢)

مناقشه الحجـة الثانيه عشره :

لانسلم أن من لم يصـدر منه ذنب بأفضـــل من الذى صدر منه ثم تــــاب اذ لو كان كذلك لكان من مـات صغيـرا أفضـل من كبار الصحابه .

بل ان التائـب من الذنب كمن لا ذنب لـــه .

ولكان من ولد فى الاسلام أفضل ممن كان كافرا ثم أسلم ولا قائـل بذلك .

---

(١) العصمه ص : ٨

(٢) ص ٢٨

الحجة الثالثة عشره (١)

قال تعالى في حق ابراهيم عليه السلام (انى جاعلك للناس اماما) (٢) والامام هو الذى يقتدى به فلو صدر الذنب عن ابراهيم لكان اقتداء الخلق به في ذلك الذنب واجبا وانه باطل .

مناقشه الحجة الثالثة عشره :

قلت : وذلك صحيح لو لم يتب من الذنب أما اذا تاب فشاله كالحكم المنسوخ فنحن قد نؤمر بامر ما ثم ينسخ .

فهذا القول يصلح لمن يقول بالعصمه من الاقرار على الخطأ ولا يصلح لمن يقول بالعصمة مطلقا .

---

(١) العصمه ص : ٩

(٢) سوره البقره ايه (١٢٤)

الحجة الرابعة عشـــره

قوله تعالى : (لا ينـال عهدى الظالمين) (١) فكل من أقدم على الذنـب كان ظالما لنفسه لقوله تعالى (فمنهم ظالم لنفسه) (٢) .

اذا عرفت هذا فنقول : ذلك العهد الذى حكم الله تعالى بانه لا يصـل الى الظالمين اما أن يكون هو عهد النبوه أو عهد الامامه فان كان الأول فهـو المقصـود وان كان الثانى فالمقصود أظهر لأن عهد الامامه أقل درجه من عهـد النبوه فاذا لم يصل عهد الامامه الى المذنب العاصى فبأن لا يصل عهد النبوه اليـه أولى) . (٣)

مناقشة الحجة الرابعه عشره :

قلت : اطلاقه ان كل من أقدم على الذنب كان ظالما لنفسه غير صحيح لانه قد يتوب فيزول الظلم وهذا فى آحاد الناس أو قد يكفر باحد المكفرات الكثيره فاذا عرف هذا فنقول ان النبى اذا اخطأ لابد أن يوفق للتوبه فبذلك يزول الظلم ويبقى استحقاق العهد والله اعلم فيكون هذا دليلا لمـن يقول بالعصمه من الاقرار على الخطأ .

---

(١) سوره البقره ايه ١٢٤

(٢) سوره فاطر ايه (٣٢)

(٣) عصمه الانبياء للرازى ص: ٩

كما ساقه صاحب المواقف على اثبات العصمه للانبياء ص ٣٦٠ كما انه رد هذا الدليل لمن ساقه مثبتا العصمه للامام قال مبينا دليلهم ورادا عليه: (.... ومنها قولهم (لا ينال عهدى الظالمين) وغير المعصوم ظالم فلا يناله عهـد الامامه .

الجواب : لا نسلم ان الظالم من ليس بمعصوم بل من ارتكب معصيه مسقطه للعداله مع عدم التوبه والاصلاح) ... انظر ص ٣٩٨ من المواقـف ..

الحجة الخامسة عشر :

روى أن خزيمه بن ثابت الانصارى رضى الله عنه شهد على وفق دعوى النبـــى (صلى الله عليه وسلم) مع أنه ما كان عالما بتلك الواقعه فقال خزيمة " انى اصدقـــك فيما تخبر عنه من أحوال السماء افلا أصدقك فى هذا القدر) .

فلما ذكر ذلك صدقه النبى (صلى الله عليه وسلم) فيه ولقبه بذى الشهادتيـــن ولو كان الذنب جائزا على الأنبياء لكانت شهادة خزيمة غير جائزه . (١) .

مناقشة الحجة الخامسة عشر :

قلت : هذا القول يصلح دليلا للقائلين بالعصمه فى التبليغ ومن الكذب وأن النبى لا يقول الا حقا وهذا مذهب جمهور العلماء لقوله تعالى (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحــى) (٢) .

ولقوله تعالى (ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنـــا منه الوتين) (٣)

ووجه الدلاله من الحديث السابق اقرار النبى (صلى الله عليه وسلم) للصحابـى على شهادته بل واعتبارها تعدل شهادتين فلو لم يكن ما قاله الصحابى حقا لما أقــره رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . (٤)

---

(١) عصمة الانبياء ص : ١٠

(٢) سورة النجم ايه : (٣)

(٣) سورة الحاقه : الايات (٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦) .

(٤) اخرج الحديث الامام احمد فى مسنده عن ابن خزيمة الانصارى أن عمه حدثه وهو من أصحاب النبى (صلى الله عليه وسلم) ان النبى (صلى الله عليه وسلم) ابتاع فرسا من اعرابى فاستتبعه النبى (صلى الله عليه وسلم) ليقضيه ثمن فرسه فاسرع النبى (صلى الله عليه وسلم) المشى وابطأ الاعرابى فطفق رجال يعترضـــون الاعرابى فيساومون بالفرس لا يشعرون ان النبى (صلى الله عليه وسلم) ابتاعـــه حتى زاد بعضهم الأعرابى فى السوم على ثمن الفرس الذى ابتاعه به النبـــى =

....

= (صلى الله عليه وسلم) فنادى الاعرابى النبى (صلى الله عليه وسلم) فقال ان كنت مبتاعا هذا الفرس فابتعه والا بعته فقال النبى (صلى الله عليه وسلم) فقال أو ليس قد ابتعته منك قال الاعرابى لا والله ما بعتك فقال النبى (صلى الله عليه وسلم) بلى قد ابتعته منك فطفك الناس يلوذون بالنبى (صلى الله عليه وسلم) والاعرابى وهما يتراجعان فطفق الاعرابى يقول هلم شهيدا يشهد أنى بايعتك فمن جاء من المسلمين قال للاعرابى ويلك النبى (صلى الله عليه وسلم) لم يكن ليقول الا حقا حتى جاء خزيمة فاستمع لمراجعة النبى (صلى الله عليه وسلم) ومراجعة الاعرابى فطفق الاعرابى يقول هلم شهيدا يشهد أنى بايعتك قال خزيمة انا أشهد انك قد بايعته فاقبل النبى (صلى الله عليه وسلم) على خزيمة فقال بم تشهد فقال بتصديقك يارسول الله فجعل النبى (صلى الله عليه وسلم) شهادة خزيمة شهادة رجلين ..

المسند جـ ٥ = ص ٢١٥ - ٢١٦

المبحث الثاني

ادلة ابن حزم

قال ابن حزم (... قال تعالى (وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامه) (١) .

وقال تعالى (وما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوه ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله) . (٢) .

فوجدنا الله تعالى وهو اصدق القائلين قد نفى عن الأنبياء عليهم السلام الغلول والكفر والتجبر ولا خلاف بين أحد من الامه في أن حكم الغلول كحكم سائر الذنوب وقد صح الاجماع بذلك وان من جوز على الانبياء عليهم السلام شيئا من تعمد الذنوب جوز عليهم الغلول ومن نفى عنهم الغلول نفى عنهم سائر الذنوب وقد صح نفي الغلول عنهم بكلام الله تعالى فوجب انتفاء تعمد الذنوب عنهم بصحه الاجماع على انها سواء الغلول (٣) .

مناقشة الدليل الاول :

قلت : ان عقلية ابن حزم غريبه فهو المشهور عنه نفي القياس في الفقه فهو ظاهري المذهب ولكنه في هذا الباب يقيس . فهو يقيس سائر الذنوب على الغلول وهذا قياس مع الفارق . نعم فالاكل من الشجره ليس كالغلول .

---

(١) سوره آل عمران ايه : ١٦١

(٢) " " " ايه : ٧٩

(٣) الفصل ح: ٤ ص: ٢٦

ثم ان القائلين بان الأنبياء قد وقعت منهم بعض الذنوب فهم استندوا الى قصص القرآن ولم يقيسوا الذنوب على بعض فلا احد يقول بما ان النبي قد اذنب في الواقعه المعينه يلزم من ذلك انه اذنب في غيرها فهم اذنبوا في وقائع محدده وتابوا منها وقبل الله توبتهم فلا ينسحب ذلك في جميع حياتهم فتكون حياتهم واعمالهم يزال مليئه بالاخطاء والذنوب بل اذا اذنبوا تابوا فهم معصومون من الاقرار على الخطأ .

الدليل الثاني :

قال ابن حزم (١): وايضا فاننا مندوبون الى الاقتداء بالانبياء عليهم السلام والى الايتساء بهم في افعالهم كلها قال تعالى (لقد كان لكم في رسول الله اسوه حسنه لمن كان يرجو الله واليوم الآخر .)(٢) وقال تعالى (اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)(٣) فصح يقينا أنه لو جاز ان يقع من احد من الأنبياء عليهم السلام ذنب تعمد صغيرا وكبيرا كان الله عز وجل قد حضنا على المعاصي وندبنا الى الذنوب وهذا كفر مجرد ممن اجازه فقد صح يقينا ان جميع افعال الأنبياء التي يقصدونها خير وحق .

قال ابو محمد : ولو جاز من الأنبياء عليهم السلام شيء من المعاصي وقد ندبنا الى الايتساء بهم وبافعالهم لكنا قد ابيحت لنا المعاصي وكنا لا ندرى لعل جميع ديننا ضلال وكفر ولعل ما عمله عليه السلام معاصي ولقد قلت يوما لبعضهم ممن كان يجيز عليهم الصغائر بالعمد اليس من الصغائر تقبيل المرأة الاجنبيه وقرصها فقال نعم قلت تجوز انه يظن بالنبي (صلى الله عليه وسلم) انه يقبل امرأه فقال معاذ الله ..

---

(١) الفصل في الملل ج: ٤ ص: ٢٨

(٢) سورة الاحزاب ايه ٢١

(٣) سورة الانعام ايه ٩٠

مناقشة الدليل الثاني :

قلت : من قال بجواز وقوع الذنوب الصغائر يقولون ان الأنبياء لا يقرون عليها بل يأتي الوحي ينبههم فيوفقون للتوبه والاستغفار ومثال ذلك مثال الحكم المنسوخ وسيأتي كلام شيخ الاسلام :

قال شيخ الاسلام (فان القائلين بالعصمه احتجوا بان التأسي بهم مشروع وذلك لا يجوز الا مع تجويز كون الافعال ذنوبا ومعلوم ان التأسي بهم انما هو مشروع فيما اقروا عليه دون ما نهوا عنه ورجعوا عنه كما ان الامر والنهي انما تجب طاعتهم فيما لم ينسخ منه فاما ما نسخ من الامر والنهي فلا يجوز جعله مأمورا به ولا منهيا عنه فضلا عن وجوب اتباعه والطاعه فيه) (١)

وكذلك ما احتجوا به من ان الذنوب تنافي الكمال او انها ممن عظمت عليه النعمه اقبح ، او انها توجب التنفير ، او نحو ذلك من الحجج العقليه فهذا انما يكون مع البقاء على ذلك وعدم الرجوع والا فالتوبه النصوح التي يقبلها الله يرفع بها صاحبها الى اعظم مما كان عليه كما قال بعض السلف : كان داود عليه السلام بعد التوبه خيرا منه قبل الخطيئه .

وقال آخر : لو لم تكن التوبه احب الاشياء الى الله لما ابتلى بالذنب اكرم الخلق عليه ، وقد ثبت في الصحاح حديث التوبه لله افرح بتوبه عبده) (٢)

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ج: ١٠ ص: ٢٩٣

(٢) بلفظ (لله أشد فرحا بتوبه احدكم ..) صحيح مسلم بشرح النووي ج: ١٧ ص ٦٠

وقال تعالى (ان الله يحب التوابين ويحب المتطهريـــن) (١)

وقال طائفه من السلف منهم سعيد بن جبير : ان العبد ليعمل الحسنه فيدخـــــل بها النار وان العبد ليعمل السيئه فيدخل بها الجنه ، يعمل الحسنه فيعجـــــب بها يفتخـــــــر بها حتى تدخله النار ويعمل السيئه فلا يزال خوفه منها وتوبتــــه حتى تدخله الجنه) (٢) .

---

(١) سوره البقره ايه ٢٢٢

(٢) مجموع الفتاوى ج: ١٠ ص: ٢٩٣ـ٢٩٤

الدليل الثالث :

قال ابومحمد : قال تعالى (انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما) (١) .

ومن الباطل المحال ان يتم الله نعمته على عبد يعصى الله بما كبر وما صغر اذ لو كان ذلك لما كانت نعمة الله تعالى عليه تامه بل ناقصه اذ خذله فيما عصى فيه (٢)

مناقشة الدليل الثالث :

قلت : نعم الانبياء لا يعصون بما كبر وصغر من الذنوب ولكن الاستدلال بالايه بعيد ولم يغفل قوله تعالى (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ...) ؟

---

(١) سورة الفتح ١/٢

(٢) الفصل ج: ٤ ص: ٢٩

الدليل الرابع :

قال تعالى : (انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسولــه وتعزروه وتوقروه) (١)

وقال تعالى (قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم) (٢)

قال (ابو محمد) وما وقر رسول الله (ص) ولقد بلغ الغايه القصوى في الاستهزاء برسل الله (ص) من جوز أن يكونوا سراقا زناه ولاطه وبغائين . (٣)

مناقشة الدليل الرابع :

قلت : نعم من وصفهم بهذه الاوصاف كاليهود عليهم من الله ما يستحقون فهو لا يوقر ولا يحترم نبيا بل هو مستهزء بهم وهناك اناس تشبهوا باليهود ممن ينسب الى الاسلام ثم ألف كتابا يستهزء بسليمان عليه السلام (٤) .

---

(١) سورة الفتح ايه ٨ـ٩

(٢) سوره التوبه ايه ٦٥ ـ ٦٦

(٣) الفصل في الملل والاهواء والنحل حـ/ ٤ ص: ٢٩

(٤) انظر كتاب سليمان الحكيم تأليف توفيق الحكيم

الدليل الخامس :

ومن ادله ابن حزم ايضا قوله تعالى (ام حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) (١)

قال (ابو محمد) (٢) فلا يخلو مخالفنا الذى يجيز أن يكون الانبياء عليهم السلام قد اجترحوا السيئات من أحد وجهين لاثالث لهما اما أن يقول ان فى سائر الناس من لم يعص ولا اجترح سيئه قيل له فمن هوءلاء الذين نفى الله عنهم أن يكون الذين اجترحوا السيئآت مثلهم اذا كانوا غير موجودين فى العالم فلابد من ان يجعل كلام الله عز وجل فارغا لامعنى له وهذا كفر من قائله .

او يقول هم الملائكه فان قال ذلك رد قوله هذا قول الله تعالى فى الايه نفسها (سواء محياهم ومماتهم) ثم بين ابو محمد بالادله ان الملائكه لا تموت اذا فهم ليسوا المعنيين بهذه الايه .

ثم تابع توضيح الدليل فقال : (ويرد ايضا قوله ان قال بهذا قول رسول الله (ص) ما من احد الا وقد ألم أو كاد الا يحى بن زكريا) (٣)

---

(١) سوره الجاثيه ايه ٢١

(٢) الفصل ج: ٤ ص: ٢٦

(٣) رواه احمد فى مسنده عن ابن عباس بلفظ (ما من احد من ولد آدم الا قد اخطأ او هم بخطيئه ليس يحى بن زكريا)

قال احمد شاكر اسناده صحيح ـ المسند للامام احمد بن حنبل / ١٦١ ـ ٢٤١ ج: ٤ ص : ٨٠ ـ ٨١

أو يقول ان في الناس من لم يجترح سيئه قط وان من اجترح السيئات لا يساويهم كما قال عز وجل فان قال ذلك فان الانبياء عليهم السلام عنده يجترحون السيئات وفي سائر الناس من لا يجترحها فوجب ان يكون في الناس من هو افضل من الأنبياء عليهم السلام وهذا كفر ......

فاذا قد صح بالنص ان في الناس من لم يجترح السيئه وان من اجترح السيئات لا يساويهم عند الله عز وجل فالانبياء عليهم السلام احق بهذه الدرجه وبكل فضيله بلا خلاف من أحد من اهل الاسلام .....) .

ثم ذكر بعض شبه المخالفين له وايرادتهم ومنها :ـ

١ ـ من بلغ فآمن وذكر الله مرات ومات اثر ذلك فهذا لم يجترح سيئه بعد بلوغه .

٢ ـ كافر اسلم وقاتل مجاهدا وقتل فهذا لم يجترح سيئه بعد اسلامه .

فأجاب ان الصوره الاولى مستحيله شرعا جائزه عاقلا .

واما الثاني فقد اجترح من السيئات بكفره ما هو اعظم من السموات والارض ودلل على سبب استحالة الصورة الأولى شرعا .

١ ـ ان ذلك يقتضي ان يكون افضل من الصحابه لانهم قد اجترحوا وهو لم يجترح والصحابه افضل الخلق بعد الانبياء فقد اخبر (ص) أن احدنا لو اتفق مثل احد ذهبا لم يبلغ مد احدهم ولا نصيفه . (١)

٢ ـ ان النبي (ص) قال (ما من احد الا الم بذنب او كاد الا يحى بن زكريا) .

---

(١) رواه مسلم في صحيحه عن ابي هريره قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (لا تسبوا أصحابي فو الذي نفس بيده لو أن احدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه) . (صحيح مسلم بشرح النووي) جـ ١٥ ص ٩٢

مناقشة الدليل الخامس :

لقد اخطأ ابن حزم فى فهم هذه الآيه فهو يرى ان الناس فريقان فريق (اجترح السيئات) وفريق (لم يجترح السيئات) • والفريق الذى لم يجترح السيئات هو فريق الذين آمنوا وعملوا الصالحات •

كما انه جعل جميع الناس حتى الصحابه قد اجترحوا السيئات ولم يستثنى الا الانبياء وهو لهذا يستبعد صوره من بلغ فذكر مرات ثم مات لانه يلزم ان يكون افضل من الصحابه • ونحن نسأل (أبا محمد) هل كل من اجترح سيئه يخرج من مسمى الايمان ويصبح فى مقابلة من آمن وعمل صالحا • ؟!

فان قال نعم فهو بهذا يخرج الصحابه من فريق (الذين آمنوا وعملوا الصالحات بل يخرج كل مؤمن من هذا الفريق ولا يبقى من هذا الفريق الا الانبياء وهذا بين البطلان ولا قائل بذلك حتى غلاة الخوارج ••

وان قال لا لا يلزم فيبطل استدلاله بالايه ولا يكون اذا معناه كما توهم •

بل الايه تعقد مقارنه بين من كان ديدنه اجتراح السيئات وهم الكفار الذين همهم الشهوات وفعل المنكرات وبين من همه الايمان والاعمال الصالحه وهم المؤمنون •

وليس فى الايه دليل على أن فى الناس من لم يجترح سيئه •

والمعلوم من الدين بالضروره أن التائب من الذنب كمن لا ذنب له وأن الايمان يجب ما قبله لذا فليس بمستحيل شرعا أن يوجد من بلغ قذكر مرات ثم مات لانه لا يلزم بذلك أن يكون أفضل من الصحابه لان الله غفر لهم بالايمان والهجره والتوبه بل ان الله عز وجل يبدل سيئات التائبين حسنات (الا من تاب وءامن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنت وكان الله غفورا رحيما) (١)

ثم ان ما اورده (ابو محمد) من حديث يستدل به ويحتج به وهو قوله (ص) (ما من أحد ......) اقول هذا الحديث حجه عليه لا له اذ بين الحديث ان كل انسان قد الم بالذنب الا يحى بن زكريا فادخل جميع الانبياء ولم يستثنى الا يحى بن زكريا مع أن ابا محمد لا يرى ان الانبياء قد اجترحوا .. والله اعلم ..

---

(١) الفرقان ايه ٧٠

الفصـــل الثالـــث

عـرض مذهـــب السلـــف

المبحث الاول : العصمة قبـل النبـوه

المبحث الثانى : العصمة بعد النبوه

وفيه مسائـــــل :

١ ـ العصمة في التبليـــغ .

٢ ـ العصمة من الكبائر وما فحـــش من الذنوب

٣ ـ العصمة من الصغائـــــــر .



عرض مذهب السلــــف

المبحث الاول : العصمة قبل النبـــــوه :

لا يرى السلف عصمة الأنبياء قبل النبوه مطلقا كالشيعه وبين شيخ الاســـــلام منشأ خطأ من يقول بالعصمة قبل النبوة قال (وبهذا يظهر جواب من يقول ان اللـــــه لا يبعث نبيا الا من كان معصوما قبل النبوة كما يقول ذلك طائفة من الرافضة وغيرهـــم وكذلك من قال انه لا يبعث نبيا الا من كان مؤمنا قبل النبوة فان هؤلاء توهموا أن الذنوب تكون نقصا وان تاب التائب منها وهذا منشأ غلطهم فمن ظن أن صاحب الذنـــــوب مع التوبه النصوح يكون ناقصا فهو غالط غلطا عظيما فان الذم والعقاب الذى يلحـــق أهل الذنوب لا يلحق التائب منه شيء اصلا) (١) .

كما ذكر شيخ الاسلام الاتفاق على جواز بعثة رسول لا يعرف ما جاءت بـــه الرسل قبله من النبوة والشرائـــع .

مع أن من لم يقر بذلك بعد الرساله فهو كافـــر ..

والرسل قبل الوحي لا تعلمه فضلا عن أن تقربـــه .

---

(١) مجموع الفتاوى ج: ١٠ ص: ٣٠٩

ثم بين شيخ الاسلام أن تبغيض الأوثان للنبي (صلى الله عليه وسلم) خاص به قال :

(وما ذكر انه (صلى الله عليه وسلم) بغضت اليه الأوثان لا يجب أن يكون لكل نبي فانه سيد ولد آدم والرسول الذي ينشأ بين أهل الكفر الذين لا نبوة لهم يكون اكمل من غيره من جهة تأييد الله له بالعلم والهدى وبالنصر والقهر) .

ثم ذكر أن الله يصطفى الأنبياء من خيار أقوامهم حتى في النسب ثم بين أن من نشأ بين قوم مشركين جهال لم يكن عليه نقص اذا كان على مثل دينهم اذا كان معروفا بالصدق والأمانة وفعل ما يعرفون وجوبه وترك ما يعرفون قبحه ثم قال (قال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) (٢)

فلم يكن هؤلاء مستوجبين العذاب وليس في هذا ما ينفر عن القبول منهم ولهذا لم يذكره أحد من المشركين قادحا) (٣)

ومما سبق ونقلناه عن شيخ الاسلام ترى أن السلف يرون العصمة مما ينفر عن القبول ، لذا فالله يصطفي خيار القوم حتى في النسب وممن يتصف بالصدق والأمانه ولكن لي ملاحظه على ما قاله شيخ الاسلام .

---

(١) مجموع الفتاوى ج: ١٥ ص: ٣٠ـ٣١

(٢) سورة الاسراء ١٥

(٣) مجموع الفتاوى ج: ١٥ص: ٣٠

فأما اجازته الكفر عليهم فلا مانع من ذلك لأن الأصل عدم الاخبار بالغيب لذا فلا يقرون بما لا يعلمون مع أن عدم الاقرار بعد النبوة كفر قلت لا مانع من كونهم لا يقرون بالغيب لأن الاصل عدم الاخبار بالغيب .

أما عبادة الأوثان واجازته لها على الأنبياء قبل البعثة فلا أرى ذلك لأن الأصل عدم العبادة وذلك على مقتضى الفطرة ومن زعم غير ذلك فعليه بالدليل أنهم عبدوا . ثم لا مانع أن نقيسهم على النبي وكونه سيد ولد آدم لا يمنع القياس والله أعلم .

وأما ابن قتيبه فالذى يظهر أنه يرى عصمة النبي (صلى الله عليه وسلم) من الكفر قبل النبوه .

ولقد صرح بهذا عندما اجاب على ما اورده بعضهم من كيفية الجمع بين قول النبي (ص) (ماكفر بالله نبي قط) (١) وبين حديث آخر انه كان على دين قومه أربعين سنه .

فبين ابن قتيبه أولا أن العرب كان فيها بقيه من دين ابراهيم كالحج والطواف والختان والغسل من الجنابه .... الخ .

وكانوا يؤمنون بالله وبالملكين . وذكر أيضا أن بعضهم كان يؤمن بالجزاء .

---

(١) لم اقف على من خرج هذا الحديث ولقد سألت من يستحضر الاحاديث فلم يقف على من خرجه

ثم قال بعد ذلك (وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على دين قومه يراد على ما كانوا عليه من الايمان بالله والعمل بشرائعهم في الختان والحج والقيامه والجزاء وكان مع هذا لا يقرب الاوثان .

وقال بغضت الى غير أنه كان لا يعرف فرائض الله تعالى والشرائع التي شرعها للعباده على لسانه حتى أوحى اليه وكذلك قال الله تعالى (الم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى) (١) يريد ضالا عن تفاصيل الايمان والاسلام وشرائعه وكذلك قوله تعالى (ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان) (٢) .

يريد ما كنت تدرى ما القرآن ولا شرائع الايمان ولم يرد الايمان الذى هو الاقرار لأن اباءه الذين ماتوا على الكفر والشرك كانوا يعرفون الله ويؤمنون بـه ....

قال (ابو محمد) ومعنى هذا الحديث أنه كان على دين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وقومه هؤلاء لا ابو جهل وغيره من الكفار ....) (٣)

وأما ابن بطه فقد اشتد على من زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان على دين قومه فقال : (ومن زعم أنه ـ يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ـ كان على دين قومه قبل أن يبعث فقد أعظم الفريه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يكلم من قال بهذا ولا يجالس) (٤)

---

(١) سورة الضحى ايه ٦ ـ ٧

(٢) سورة الشورى ايه ٥٢

(٣) تأويل مختلف الحديث ص ٧٥ ، ٧٧

(٤) الشرح والابانه على اصول السنه والديانه ومجانبة المخالفين ومباينة أهل الاهواء المارقين . لابى عبد الله عبد الله بن بطه العكبرى ص٢٨٧ تحقيق وإعداد الطالب رضا بن نعسان معطى ص ١٤٢

المبحث الثانـــــى

العصمـــه بعـــد النبـــوه

المسألة الاولى : العصمة في التبليـــغ :

مذهب السلف ان الأنبياء عليهم السلام معصومون فيما يبلغونه عن اللــــــه بمعنى أنهم لا يكذبون على الله ولا يتقولون على الله ما لم يقلـه .

قال ابن تيمية (وهم أى ـ الأنبياء ـ معصومون فى تبليغ الرسالة باتفـاق المسلمين بحيث لا يجوز أن يستقر فى ذلك شىء من الخطأ) (١)

وقال : (والعصمة فيما يبلغونه عن الله ثابته فلا يستقر فى ذلك خطأ باتفاق المسلمين) (٢) .

والعصمة فى التبليـــغ ثابتة بدليل الشرع والعقل والاجماع .

قال الشيخ بن تيمية (ثم ان العصمة المعلومة بدليل الشرع والعقل والاجماع وهـــى (العصمة فى التبليـغ) لم ينتفعوا بها ....) (٣)

وممن حكى الاجماع في المسألة الشوكانى قال (وهكذا وقع الاجماع على عصمتهم بعد النبوة من تعمد الكذب فى الاحكام الشرعيه لدلالة المعجزة على صدقهم وأمـــا

---

(١) منهاج السنه ج: ١ ص : ١٣٠
(٢) مجموع الفتاوى ج: ١ ص : ٢٩٠
(٣) مجموع الفتاوى ج: ١٠ ص ٢٩٥

الكـذب خطأ فمنعه الجمهور وجوزه القاضى ابو بكر واستدل الجمهور بأن المعجـزة تدل على امتناعـه واستدل القاضى بأن المعجزة انما تدل على امتناعه عمدا لا خـطأ وقول الجمهور أولى) (١)

فالاجماع على ما كان عمدا واما ما كان خطأ فيرجح الشوكانى قول الجمهـــور القائلين بعصمتهم من ذلك ايضا .

ومن العصمة فى التبليغ عصمتهم من تناقض اقوالهم .

قال ابن تيمية (لكن النبى (ص) معصوم فلا يجوز أن يصدر عنه خبران متناقضان فى الحقيقه . ولا أمران متناقضان فى الحقيقة الا واحدهما ناسخ والاخر منسوخ) (٢)

وينتج عن هذا الكلام وجوب قبول قول الأنبياء والتسليم بأنها حق من عنــــد الله وذلك فيما ثبــت عنهم .

قال الشيخ (الأقوال نوعان : أقوال ثابتة عن الأنبياء فهى معصومة يجــب أن يكون معناها حقا عرفه من عرفه وجهله من جهله) (٣)

---

(١) ارشاد الفحول ص ٣٣

(٢) مجموع الفتاوى جـ: ٤ ص ١٦٨

(٣) " " جـ: ٤ ص ١٩١

المسألة الثانيـــــة

العصمة من الكبائـر وما فحش من الذنوب

السلف متفقون على عصمة الانبياء من الكبائـر وما فحش من الذنوب وقد ذكـــر شيخ الاسلام أن هذا هو قول أكثر علماء الاسلام فقال (فان القول بأن الأنبيـــاء معصومون من الكبائر دون الصغائـر هو قول أكثر علماء الاسلام وجميع الطوائف حتى أنه قـول أكثـر أهل الكلام كمـا ذكر ابو الحسن الآمـدى : أن هذا قول أكثر الاشعريه وهو أيضا قول اكثر أهل التفسيـر والحديـث والفقهاء بل هو لم ينقل عن السلف والأئمه والصحابه والتابعين وتابعيهم الا مايوافق (أ) هذا القول) (١)

وسبق أن ذكرت من حكى اجماع المسلمين على عصمتهم من الكبائـر كما حكـاه الشوكانى عن القاضى عياض وابن الحاجب ٠ (٢)

كما قال الشوكانى فى تفسيره لقوله سبحانه على لسان اخوة يوسف (اقتلـــوا يوسـف أو اطرحوه ارضا يخل لكم وجـه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين) (٣) ٠

قال : (وفى هذا دليل على أن اخوة يوسف ما كانوا أنبياء فان الانبياء لا يجوز عليهم التواطؤ على القتل لمسلم ظلما وبغيا وقيل كانوا أنبياء وكان ذلك منهم زلة قـدم أوقعهم فيها التهاب نار الحسد فى صدورهم واضطرام جمرات الغيظ فى قلوبهـــم ورد بأن الانبياء معصومون عن مثل هذه المعصية الكثيرة (أ) المتبالغه مع ما فى ذلك من قطع الرحم وعقوق الوالد وافتراء الكذب) (٤)

(أ) هكذا يواقف ولعل الصحه يوافق

(١) مجمـوع الفتاوى جـ: ٤ ص ٣١٩

(٢) ارشاد الفحول ص ٣٣

(٣) سورة يوسف ايه (٩)

(أ) هـكـذا جاءت بالثاء المثلثه ولعلها كبيره بالباء الموحده

(٤) فتح القدير جـ: ٣ ص : ٨

المسألـة الثالثـــة

العصمة من الصغائـــــر

يظهر لنا من النص الذى سبق ان نقلته من كلام شيخ الاسلام فى تقرير مذهب السلف فى عصمة الأنبياء من الكبائـر أقول يظهر لنا أن السلف لا يرون عصمة الأنبيـاء من الصغائـر بل يجيزونها عليهم ولكنهم يقولون أنهم يتوبون عنها ولا يقرون عليهـــا بل يتداركها الله عليهم قال شيخ الاسلام (وعامة ماينقل عن جمهور العلماء انهـــم غير معصومين عن الاقرار على الصغائـر ولا يقولون انها لا تقع بحال ...) (١) .

وقال القاضى عياض (وأما الصغائر .. فجوزها جماعة من السلف وغيرهم علـى الأنبياء وهو مذهب ابى جعفر الطبرى وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين) (٢) .

ثم بين شيخ الاسلام أنه لا يوجـد دليل للذين يثبتون العصمة من الصغائـــر والعصمة من التوبه من الذنوب قال : (والقائلون بعصمة الانبياء من التوبة من الذنـــوب ليس لهم حجة من كتاب الله وسنه رسوله ولا لهم امام من سلف الأمة وائمتها وانما مبـدأ قولهم من أهل الأهواء كالروافض والمعتزله وحجتهم أراء ضعيفه من جنس قول الذين فى قلوبهم مرض والقاسيـة قلوبهم) (٣) .

---

(١) مجموع الفتاوى جـ: ٤ ص: ٣٢٠

(٢) الشفـا جـ: ٢ ص: ٣٢٨

(٣) جامع الرسائل ص ٢٧٦

ثم بين شيخ الاسلام شبهة القائلين بالعصمة مطلقا ثم دحض شبهتهم فقال :

(وعمدة من وافقهم ـ اى القائليـــن بعصمة الانبياء من الذنوب مطلقات من الفقهـــاء أن الاقتداء بالنبي (صلى الله عليه وسلم) في أفعاله مشروع ولولا ذلك ما جـــــــاز الاقتداء به وهذا ضعيف فانه قد تقدم أنهم لايقرون بل لابد من التوبة والبيان والاقتداء انما يكون بما استقر عليه الأمر فاما المنسوخ والمتوب منه فلا قدوة فيه بالاتفاق فاذا كانت الأقوال المنسوخة لا قدوة فيها فالافعال التى لم يقر عليها أولى بذلك) (١) .

---

(١) جامع الرسائل ص ٢٧٦

الباب الثالث

دراسة بعض النصوص القرآنية التي قد يتوهم منها عدم العصمة

تمهيـــــد :

الفصل الاول : ماجاء عن آدم عليه السلام

الفصل الثاني : ماجاء عن نوح عليه السلام

الفصل الثالث : ماجاء عن إبراهيم عليه السلام

الفصل الرابع : ماجاء عن يوسف عليه السلام

الفصل الخامس : ماجاء عن موسى عليه السلام

الفصل السادس : ماجاء عن داود عليه السلام

الفصل السابع : ماجاء عن سليمان عليه السلام

الفصل الثامن : ماجاء عن يونس عليه السلام

الفصل التاسع : ماجاء عن محمد (صلى الله عليه وسلم)

تمهيـــد :

رأيت قبـل أن أعـــرض نماذج من الآيـات التى قد يتوهم منها البعـــض عدم العصمه موضحا توجيـه كل فريـــق من العلماء لهـــا رأيـــت أن أقـــدم المنهـــج الذى سارت عليه كل فرقة فى فهـــم تلك الآيـات ومن خـــلال العـرض سيتضح لنا بمشيئة الله المنهـــج الأصـوب الذى ينبغى لكل مسلـــم أن ينهجـــه ويسيـــر عليـــه ...

منهج المعتزلـه :

قال صاحب الامالـى (.. قلنا اذ اثبت بأدلـة العقول التى لا يدخلهـا الاحتمال والمجـاز ووجوه التأويلات ان المعاصـى لا تجوز على الأنبياء عليهـم السلام صرفنا كل ما ورد ظاهره بخلاف ذلك من كتاب أو سنـه الى ما يطابـق الأدله ويوافقها كما يفعل مثل ذلك فيما يـرد ظاهره مخالفـا لما تدل عليـه العقول من صفاته تعالى وما يجوز عليه أو لايجوز) (١) .

منهج الاشاعره:

قال صاحب المواقـف (واحتج المخالف بقصص الانبياء والجواب اجمالا : أن مـا كان منها منقولا بالآحـاد وجب ردها لان نسبه الخطأ الى الرواه اهون من نسبـه المعاصى الى الانبياء ، وما ثبت منها تواترا فما دام له محمل آخـر حملناه عليه ونصرفـه عن ظاهره ، لدلائل العصمه وما لم نجـد له محيصا حملناه على أنه كان قبل البعثـه او من قبيل ترك الأولى او صغائـر صدرت عنهم سهوا ولا ينفيه تسميته ذنبا ولا الاستغفار منه ولا الاعتراف بكونه ظلما منهم اذ لعل ذلك لعظمه عندهم أو أن قصدوا به هضمـا من النفسهـم) .

---

(١) الامالى للشريف المرتضى مجلس ٣٦ ص: ١٢٥

(٢) المواقف ص: ٣٦١

ملاحظه : اعتبرت الامالى من كتب المعتزله بناءً على ما قرره د. الذهبى فى كتابه التفسير والمفسرون انظر ص: ٤٠٢

منهج السلف

قال شيخ الاسلام (واعلم ان المنحرفين فى مسألة العصمة على طرفى نقيض كلاهما مخالف لكتاب الله من بعض الوجوه : قوم افرطوا فى دعوى امتناع الذنوب ، حتى حرفوا نصوص القرآن المختبره بما وقع منهم من التوبه من الذنوب ومغفرة الله لهم ورفع درجاتهم بذلك . وقوم افرطوا فى ان ذكروا عنهم ما دل القرآن على براءتهم منه ، واضافوا اليهم ذنوبا وعيوبا برأهم الله عنها . وهؤلاء مخالفون للقرآن ومن اتبع القرآن على ما هو عليه من غير تحريف كان من الأمة الوسط ، مهتديا الى الصراط المستقيم ، صراط الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) (١)

ثم قال (ولا ريب انه صار عند كثير من الناس من علم اهل الكتاب ومن فارس والروم ما ادخلوه فى علم المسلمين ودينهم وهم لا يشعرون كما دخل كثير من اقوال المشركين من اهل الهند واليونان وغيرهم والمجوس والفرس والصابئين من اليونان وغيرهم فى كثير من المتأخرين لا سيما فى جنس المتفلسفه والمتكلمه .

ودخل كثير من أقوال اهل الكتاب اليهود والنصارى فى طائفه هم امثل من هؤلاء اذ اهل الكتاب كانوا خيرا من غيرهم ..

ولما فتح المسلمون البلاد كانت الشام ومصر ونحوهما مملوءه من اهل الكتاب النصارى واليهود فكانوا يحدثونهم عن اهل الكتاب بما بعضه حق وبعضه باطل ، فكان

---

(١) مجموع الفتاوى ج : ١٥ ص : ١٥٠

من أكثرهم حديثا عن أهل الكتاب كعب الأحبار . وقد قال معاويه ـ رضي الله عنه ـ ما رأينا في هؤلاء الذين يحدثونا عن اهل الكتاب اصدق من كعب وأن كنا لنبلوا عليه الكذب احيانا .) (١)

وقال شيخ الاسلام ابن تيميه (والرادون لذلك يعني القائلين بالعصمه مطلقا ـ تأولوا ذلك بمثل تأويلات الجهميه والقدريه والدهريه لنصوص (الاسماء والصفات ، ونصوص (القدر) ونصوص (المعاد) وهي من جنس تأويلات القرامطه الباطنيه التي يعلم بالاضطرار انها باطلة وانها من باب تحريف الكلم عن مواضعه وهؤلاء يقصد أحدهم تعظيمهم فيقع في تكذيبهم ويريد الايمان بهم فيقع في الكفر بهم .

ثم ان العصمه المعلومة بدليل الشرع والعقل والاجماع وهي (العصمة في التبليغ) لم ينتفعوا بها اذ كانوا لا يقرون بموجب ما بلغته الانبياء وانما يقرون بلفظ حرفوا معناه او كانوا فيه كالاميين الذين لا يؤمنون بالكتب الا أماني والعصمه التي كانوا ادعوها لو كانت ثابته لم ينتفعوا بها ولا حاجه بهم اليها عندهم ، فانها متعلقه بغيرهم لا بما أمروا بالايمان به فيتكلم احدهم فيها على الأنبياء بغير سلطان من الله ويدع ما يجب عليه من تصديق الانبياء وطاعتهم وهو الذي تحصل به السعادة وبضده تحصل الشقاوة) (٢) .

---

(١) مجموع الفتاوى ح : ١٥ ص: ١٥٠ ـ ١٥١

(٢) مجموع الفتاوى ابن تيميه ج : ١٠ ص : ٢٩٥

ويقول ابن القيم مبينا منهج الفرق الباطله (ولم يزل أهل الكلام الباطل المذموم موكلين برد أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) التي تخالف قواعدهم الباطلة وعقائدهم الفاسده كما ردوا أحاديث الرؤية وحديث علو الله على خلقه واحاديث صفاته القائمه به واحاديث الشفاعه وأحاديث نزوله الى سمائه ونزوله الى الارض للفصل بين عباده وأحاديث تكلمه بالوحي كلاما يسمعه من شاء من خلقه حقيقة الى امثال ذلك وكما ردت الخوارج والمعتزله احاديث خروج اهل الكبائر من النار بالشفاعه وغيرها وكما ردت الرافضه أحاديث فضائل الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابه وكما ردت المعطلة احاديث الصفات والافعال الاختيارية وكما ردت القدرية المجوسيه احاديث القضاء والقدر السابق وكل من اصل اصلا لم يؤصله الله ورسوله قاده قسرا الى رد السنه وتحريفها عن مواضعها فلذلك لم يؤصل حزب الله ورسوله اصلا غير ما جاء به الرسول (صلى الله عليه وسلم) فهو أصلهم الذى عليه يقولون وجهتهم التى اليها يرجعون) (١)

وبعد هذا العرض نرى ان المنهج الصحيح هو منهج السلف الذين يقابلون كل ما جاء من الله عز وجل بالقبول والرضى والتسليم دون تكلف أو تمحل فلا يعارضون كلامه سبحانه بتأويلات بارده سببها وضع مقررات عقليه سابقه .

---

(١) شفاء العليل ص : ٢٩

الفصـــــل الأول
=======

ما جـاء عن آدم عليـــه الســـلام
========

وفيه عـدة مباحـــث
====

المبحث الاول : آدم وأكله من الشجره التي نهى عنها
======

الآيات التي تحدثت عن القصه

موقف المعتزلـــــــه .

موقف الاشاعـــره

موقف السلـــف

المبحث الثاني : شبهة وقوع الشرك من آدم عليه السلام ودحضها
======

الآيات التي يتوهم منها ذلك

موقف المعتزلـــــه

موقف الاشاعـــره

موقف السلـــف

==========

المبحـث الاول

====

آدم عليه السلام وأكله من الشجرة التى نهى عنها

الآيات التى تتحدث عن القصة :

جـاء فى القرآن العظيم ذكر لقصه آدم وأكله من الشجرة وخروجه من الجنـــه وقد تعددت مواضع ذكر هذه الحادثه كما هو شأن القرآن فى القصص اذ يعرض فى كـــل سوره جوانب جديده تتفـق مع ما جـاءت السورة لتقريره • والسور التى جاءت فيها قصة آدم موضحة مفصلة هى سورة البقـرة والاعـراف وطـه وسنذكر تلك النصوص لتكـــون لنا نبراسا يوضح لنا وجـه الحقيقـه •

(واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان مــــن الكافرين • وقلنا يادم أسكن أنت وزوجك الجنـــة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربـــا هذه الشجره فتكونا من الظالمين • فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين • فتلقى أدم من ربـــه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم • قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (١)

---

(١) سورة البقره آيه (٣٤ ــ ٣٨)

وجاء فى سورة الاعراف (ويـآدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين • فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ورى عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجره الآ أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين • وقاسمهما أنى لكما لمن الناصحين • فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنه وناداهما ربهما ألم أنـهكما عن تلكما الشجره وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين • قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين • قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين •) (١)

وجاء فى سورة طه قوله سبحانه (ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما • واذ قلنا للملائكه اسجدوا لأدم فسجدوا الا ابليس أبى • فقلنا يادم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنه فتشقى • ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى • وأنك لا تظمأوا فيها ولا تضحى • فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى • فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنه وعصى آدم ربه فغوى • ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى • قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا يضل ولا يشقى • (٢)

---

(١) سورة الاعراف ايه ١٩ ـ ٢٤

(٢) سورة طـه آيه ١١٥ ـ ١٢٤

وهذه الآيات تقرر ظواهرها ما يلي :ـ

(١) أن آدم خلق ليكون خليفة في الارض لا في الجنه اذ أعلن الله مشيئته تلك على ملائكته قبل أن يخلقه (واذ قال ربك للملائكه انى جاعل فى الارض خليفه) (١)

(٢) ان ابليس اظهر عداوته لآدم من حين شعر بتكريم الله له وأمر ملائكته بالسجود له فامتنع (... فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر ..) (٢) .

(٣) اسكن الله آدم وزوجه الجنه واباح لهما كل ما فيها الا شجرة عرفها لهم وأبان لهما أنهما ان اكلا منها كانا ظالمين (اسكن انت وزوجك الجنه فكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) (٣) .

(٤) حذر الله آدم وحواء من عدوهما ابليس وابان لهما ما يسعى ابليس الى تحقيقه وهو اخراجهما من الجنه ذلك الخروج الذى يعقبه الشقاء (فقلنا يادم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنه فتشقى) (٤)

---

(١) سورة البقره آيه (٣٠)
(٢) سورة البقره آيه (٣٤)
(٣) سورة البقره آيه (٣٥)
(٤) سورة طه آيه (١١٧) .

(٥) محاولة ابليس المتكرره فى اغواء آدم وحــواء عليهما السلام للاكل من الشجــره بالوسوسه والاغــراء بالخلــد وتأكيـــد قوله بالقسم على اخلاصه لهما وقصــد نفعهما (وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجــرة الا أن تكونا ملكين او تكونــا من الخالدين • وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين) (١)

(٦) نجاح مكيده ابليس واكل آدم وحــواء من الشجـــره (•••• فاكلا منها •) (٢)

(٧) الاحساس بالخطيئه وظلم النفس (قالا ربنــا ظلمنا انفسنا) (٣)

(٨) توبه الله على آدم (فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه) (٤)

(٩) اخراجهم من الجنه لأكلهم من الشجره الى مكان خلاقته التى قضى الله بـــه سابقا (وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين) (٥)

---

(١) سورة الاعراف ايه ٢٠ ــ ٢١
(٢) سورة طــه ايه ١٢١
(٣) سورة الاعراف ايه ٢٣
(٤) سورة البقرة ايه ٣٦
(٥) سورة البقرة ايه ٣٦

موقف المعتزلة :

يرى اكثر المعتزلة ان ما وقع من آدم كان صغيره من الصغائر وهكذا يوجهون الآيات التى تناولت قضيته وقال القاضى عبد الجبار (وربما قيل فى قوله تعالى (قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) كيف يصح ذلك على الأنبياء وجوابنا أن الذى وقع منهم من الصغائر وقع على وجه التأويل لكن الانبياء لما عظمه الله من محلهم تعظيم الصغائر عند انفسهم فعلى هذا الوجه (قالا ربنا ظلمنا انفسنا) وقد يكون المرء بالصغيره ظالما لنفسه من حيث حرمها الثواب الذى نقص لمكان الصغيره ومن حيث يجب عليه التأسف والندم ولذلك غم عظيم) (١)

يرى الزمخشرى ان ما صدر عن آدم انما كان صغيره توجب اجتنابه الكبائر مغفرتها .

قال الزمخشرى فى تفسيره (فان قلت : الخطيئه التى اهبط بها آدم ان كانت كبيره فالكبيره لا تجوز على الانبياء وان كانت صغيره فلم جرى عليه ما جرى بسببها من نزع اللباس والاخراج من الجنه والاهباط من السماء كما فعل بابليس ونسبته

---

(١) تنزيه القرآن عن المطاعن
للقاضى عماد الدين ابى الحسن عبد الجبار بن احمد ٤١٥هـ ـ ش دار النهضه الحديثه بيروت . ص ١٤٥

الى الغى والعصيان ونسيان العهد وعدم العزيمه والحاجه الى التوبـــــه ؟
قلت : ما كانت الا صغيره مغموره باعمال قلبه من الاخلاص والافكار الصالحه التـــي هي اجل الاعمال واعظم الطاعات وانما جرى عليه ما جرى تعظيما للخطيئه وتفظيعا لشأنها)(١)

وقال ايضا في تفسيره للايات الوارده في سورة الاعراف عن آدم : (وسميا آدم وحواء ـ ذنبهما وان كان صغيرا ومغفورا ظلما لانفسهما وقالا (لنكونن مـــن الخاسرين)(٢) على عادات الاولياء والصالحين في استعظامهم الصغيره من السيئات واستصغارهم العظيمه من الحسنات)(٣)

ومن كلام الزمخشري يتضح لنا ما يلي :ـ

أ ـ وقوع الخطيئه من آدم عليه السلام بلا سهو ولا نسيان ولا تأويل .

ب ـ ان هذه الخطيئه ما هي الا صغيره وان استعظام آدم وحواء لهـا انما كـان لعظم مقامهما .

جـ ـ ان هذه الخطيئه كغرهـا اجتناب آدم وحواء الكبائر وما لهما من رصيد الاعمال الصالحه .

---

(١) الكشاف جـ : ١ ص : ٢٧٥
(٢) " جـ : ٢ ص : ٧٣
(٣) سورة الاعراف : ٢٣

وزعم النظام (١) من المعتزله أن آدم فهم من قوله تعالى (ولا تقربا هـذه الشجره) (٢) الشخص وكان المراد النوع وكلمة هذا كما يكون اشارة الى الشخص قد يكون اشارة الى النوع كقوله (صلى الله عليه وسلم) (هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا بـه) (٣) ٠

ومراد النظام أن آدم عليه السلام فهم من الامر الالهى ان النهى منصب على شجرة بعينهـا ولا يتناول جنسها من الاشجار لذلك ظن آدم اكل من جنس الشجره التى نهى عنها لانهنا بعينها : ومثل هذا لايقال بالرأى بل يحتاج الى دليـل ٠

---

(١) حاشيه شرح الطوالع ص : ٢١٠ـ٢١١

(٢) سورة الاعراف ايه : ١٩

(٣) اخرجه بن ماجه باللفظ (هذا وضوء من لا يقبل الله صلاة الا به)
قال محمد فؤاد عبد الباقى ٠٠ وعبد الرحيم متروك بل كذاب ٠٠
انظر سنن الحافظ ابى عبد الله محمد ابن ماجه ـ ٢٠٧ ـ ٢٧٥ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى حـ : ١ ص : ١٤٥

موقـف الاشاعـــرة :

يرى كثير من الاشاعـــره أن اكل آدم من الشجره كان قبـل النبوه وأن آدم لم يكن نبيـا عند أكله من الشجره والقائلون بهذا هم الرازى (١) وكذلك صاحـــب المواقف (٢) وكذلك الشيخ ابو بكر بن فورك (٣) وكذلك الامام البيضاوى حيث قـال فى كتابه طوالع الانوار (وأما واقعه آدم فانها كانت قبل نبوته اذ لم يكن له حينئـــذ امـه ولقوله تعالى (ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهـدى) (٤)

كما ذكوصاحبا التفسير الموضوعى (٥)

وما استدل به البيضاوى ومن معه يمكن الرد عليه بمايلـــى :-

أولا أن النبى لا يحتاج الى امه فكل من كلمه الله واوحى اليه من البشر فهو نبـــى سواء ارسل او لم يرسل بعكس الرسول .

ثانيا ان الاجتباء لا يلزم منه أنه اختاره نبيا بدليل قوله تعالى (هو اجتباكـــم وما جعل عليكم فى الدين من حـــرج) (٦) فاجتباءه لهذه الامه مـــن المسلمين لا يعنى اختيارهم أنبيـــاء .

---

(١) عصمة الانبياء ص : ١٢

(٢) المواقـف ص : ٣٦١

(٣) الشفاء جـ: ٢ ص : ٣٦٨

(٤) سوره طه أيه : ١٢٢
انظر طوالع الانوار مع شرحه مطالع الانظار ص : ٢٠٩

(٥) التفسير الموضوعى ص ١٣٠

(٦) سورة الحج أيه : ٧٨

ثالثا قول النبى (صلى الله عليه وسلم) (وقد سئل من كان أولهم اى الانبياء قال آدم عليه السلام قلت يارسول الله أنبى مرسل قال نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وكلمه قبلا) (١)

فآدم نبى منذ كلمه الله قبلا ذلك التكليم الذى ابانت الآيات القرآنيه عنه ووضحت وقوعه قبل ارتكابه المعصيه قال تعالى : (قال يآدم أنبئهم باسمائهم) الايات (٢) .

وقال فريق من الاشاعره (٣) فى بيان قوله تعالى (وعصى آدم ربه فغوى) (٤) اراد به وعصى أولاد آدم ودليلهقوله تعالى (واسأل القريه) (٥) المراد واسأل أهل القريه وكذلك قوله تعالى (فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما) (٦) . وبالاتفاق لم يشرك آدم ولا حواء وانما أشرك اولادهما) (٧)

---

(١) انظر ص ( ) من البحث
(٢) سوره البقره ايه : ٣٣
(٣) انظر شرح مطالع الانظار ص : ٢١٠
(٤) سورة طه ايه : ١٢١
(٥) سورة يوسف : ٨٢
(٦) سورة الاعراف ايه : ١٩٠
(٧) المصدر السابق ص : ٢١٠

وأقول ان حمل قوله سبحانه (وعصى آدم ربه فغوى) على المجاز بعيد جدا ولا يصح قياسه على قوله تعالى (واسأل القريه)لانه من المعلوم بداهه ان الجمادات لا تسأل فينصرف المعني الى اهل القريه وهذا معلوم في لغة العرب . اما أن ينصرف المعنى في قوله تعالى (وعصى آدم) الى ابنائه فهو خطأ لأن الشخص لو قال ضرب محمد زيدا وقال انما أردت ضرب ابن محمد زيدا لكان مخطئا في التعبير ثم ان سياق الأيات يمنع هذا التأويل لأن الحديث كله عن آدم واكله من الشجره وقبل ان تكون له ذريه فليس ثمه أية قرينه تصرف المعنى عن ظاهره وحقيقته فالقول بالمجاز بين الفساد . ثم لماذا يتوب آدم من ذنب لم يرتكبه هو والله تعالى يقول : (ولا تزر وازرة وزر اخرى .

واما الاحتجاج بالايه (جعلا له شركاء) فسيأت الكلام عنها مفصلا ان شاء الله ..

ويقول النسفي في تفسيره (١) (وزلة آدم بالخطأ في التأويل اما بحمل النهي على التنزيه دون التحريم او بحمل اللام على تعريف العهد وكان الله اراد الجنس والاول اوجه.) .

والوجه الثاني الذي ذكره النسفي هو عين ما سبق ان ذكرناه عن النظام

---

(١) ج: ١ ص: ٤٣

واما الوجــه الاول وهو الذى رجحــه فيمكننا الرد عليه بما يلــى :ـ

(١) أن آدم عليه السلام لم تكثر عليه الأوامر والنواهى حتى يتعرف على المصطلحات الفقهيه هذه ويمايز بين ما كان للتحريم وما كان للتنزيه •

(٢) أن النهى الالهى كان مصحوبا بالوعيد قال تعالى (ولا تقربا هذه الشجــره فتكونا من الظالمين) فترتيب الظلم على الفعل دليل على عظم النهــى وقال تعالى (ولا يخرجنكما من الجنه فتشقــى) ولا شك ان ما يترتب عليــه الشقاء انما هو محــرم (١) •

وهناك موقف غريب من الشيخ ابراهيم البجورى صاحب حاشيه تحفــه المريــد على جوهره التوحيد اذ قال وهو يتحدث عن الامانه (٢) كصفه واجبه للمرســل :
(وما وقع من آدم فهو معصيــه لا كالمعاصى لانه تأول الامر لسر بينه وبين سيده وان لــم نعلمه حتى نقل فى اليواقيت عن أبى مدين لو كنت بدل آدم لأكلت الشجره بتمامهــا فهو وان كان منهيا ظاهرا مأمورا باطنا) (٣) •

قلت : وهذه عقيده فاسده بينــة البطلان وهى عقيده من يجعل للقرآن ظاهرا وباطنــا وبذلك يعطل جميع الشريعــه •

---

(١) انظر احكام القرآن لابى عربى جـ/١ ص/١٨

(٢) الامانه هى العصمه يرى هؤلاء ان الامانه هى العصمه انظر ص: ٧٣ الحاشيه المذكوره •

(٣) المصدر المذكور ص: ٦٥

ولقد فند شيخ الاسلام هذا القول فرد على من زعم ان الله قال لـــــه (لا تقـرب) ظاهرا وكان امره به (كـل) باطنا فقال ان اريد بكونه قال (كـل) باطنا انه أمره بذلك في الباطن أمر تشريع ودين فهذا كذب وكفر وان كان أراد أنـــه خلق ذلك وقدره وكونه فهذا قدر مشترك بين آدم وبين سائر المخلوقات) .

الى أن قال (وان قيل أن آدم شهـد الأمـر الكوني القدري وكان مطيعا لله بامتثاله لــه ... فهذا مع أنه معلوم بطلانه بالضروره من دين الاسلام فهو كفـــر باتفاق المسلميـــن) .

وقال ايضا : (فقول القائل أنه قال لادم : في الباطن : كل مثل قوله أنـه قال للكافر اكفـــر وللفاسق افسق والله لا يأمر بالفحشاء ولا يحب الفساد) (١)

ولقد فند ابن القيم في كتابه شفاء العليل رأي من يقول أن آدم شهد الحكم وجريانـــه على الخليقه وتفـرد الرب سبحانه بربوبيته وانه لا يتحرك ذره الا بمشيئتـــه وعلمه .... الخ ..

قال ابن القيم : وهذا المسلك أبطل مسلك سلك في الحديث وهو شر مـــن مسلك القدريه في رده .

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام بن تيميه
ج : ٢ ص : ٣٢١ ـ ٣٢٢

فان هذا المسلك لو صح لبطلت الديانات جملة وكان القدر حجة لكل مشرك وكافر وظالم ولم يبق للحدود معنى ولا يلام جان على جنايته ولا ظالم على ظلمه ولا ينكر منكر أبدا ولهذا قال ابن سينا فى اشاراته : العارف لا ينكر منكرا لاستبصاره بسر الله تعالى فى القدر وهذا كلام منسلخ من الملل ومتابعة الرسل)(١)

(١) شفاء العليل ص : ٣١ ـ ٣٢

موقف السلف :

روى ابن جرير الطبرى روايات متعدده عن كيفيه اغواء ابليس اللعين لادم عليه السلام فروى عن وهب بن منبه وعن ابن عباس رضى الله عنه وعن السدى روايات مختلفه ولكنها تتفق ان ابليس دخل عن طريق الحيه التى كان لهما اربع قوائم حتى وصل الى آدم وحواء واقسم لهما انه لمن الناصحين (١)

وهذه الحكايات لم تثبت عن المعصوم صلى الله عليه وسلم بل هى من الاسرائيليات التى تسربت الى كتب التفسير .

ولقد فسر ابن جرير قوله سبحانه (وعصى آدم ربه فغوى) بقوله : (يقول أى الله :- (وخالف أمر ربه فتعدى الى ما لم يكن له ان يتعدى اليه من الاكل من الشجره التى نهاه عن الاكل منها) وقوله (ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى) يقول : اصطفاه ربه من بعد معصيته اياه فرزقه الرجوع الى ما يرضى عنه والعمل بطاعته وذلك هو (٢) كانت توبته التى تابها عليه وقوله (وهدى) يقول : وهداه للتوبة فوفقه لها) (٣)

---

(١) تفسير الطبرى ح: ١٧ ص: ٢٢٤
(٢) هكذا فى الكتاب
(٣) تفسير الطبرى ح: ١٦ ص: ٢٢٤

فابن جرير يرى وقوع المخالفه لامر الله والتعدى من آدم ثم التوبه وقولـــه هـذا متفق مع ظاهر القرآن .

ولا[illegible] على ما قاله ابن جرير من تعدى آدم ما قد يفهم البعض من قوله تعالى (فنسى ولم نجد له عزما) (١) اذ حملوا النسيان فى الايه على الغفله عن الامـر الالهى (٢) فابن جرير (٣) رحمه الله قد اورد مقالات عن الصحابه والتابعين تبين فهمهم لنسيان آدم فهو يروى عن ابن عباس ان نسى بمعنى ترك وكذلك عن مجاهد رضى الله عنه قال (ترك أمر ربه) وتفسير الطبرى للنسيان بمعنى الترك قد ذكره ايضا ابن كثير فى تفسيره ونقل عن السلف ما يؤيده (٤) .

وكذلك ذكره ابن قتيبة فقال عند قوله تعالى (ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى) (٥) اى ترك العهد (ولم نجد له عزما) (٦) اى رأيا معزوما عليه) (٧)

---

(١) سورة طه ايه ١١٥

(٢) انظر احكام القرآن لابن العربى حـ: ١ ص: ١٨ والنبوة والأنبياء للصابونى ص: ٦٢

(٣) تفسير الطبرى حـ: ١٦ ص: ٢٢٠

(٤) تفسير ابن كثير حـ: ٣ ص: ١٦٧

(٥) سورة طه ايه ١١٥

(٦) سورة طه ايه ١١٥

(٧) كتاب مشكل القرآن وغريبه لابن قتيبه حـ: ٢٠ ص: ١٧

رأي بن قتيبه :-

وقال ايضا (وقد اكل آدم (صلى الله عليه وسلم) من الشجرة التى نهى عنها باستزلال ابليس وخدائعه اياه بالله والقسم به انه لمن الناصحين حتى دلاه بغرور ولم يكن ذنبه عن ارصاد وعداوه وارهاص كذنوب أعداء الله . فنحن نقول (عصى وغوى) كما قال الله تعالى ولا نقول : آدم عاصى ولا غاو ولأن ذلك لم يكن عن اعتقاد متقدم ولا بنيه صحيحه . كما تقول لرجل قطع ثوبا وخاطه قد قطعه ولا تقل خائط ولا خياط حتى يكون معاودا لذلك الفعل معروفا به) (١)به ومن هذا النص يتضح لنا أن ابن قتيبه وهو لسان السلف يقرر وقوع المعصيه والغوايه من آدم لكنه لا يقول أن آدم عاص أو لا غاو اذ لم يكن المعصيه ولا الغوايه شأنه ولا ديدنه وانما هى زلة لم تكن عن سبق تعمد ولا اصرار .

ويقول شيخ الاسلام (واما آدم عليه السلام فانه اعترف اولا بذنبه فقال : (ظلمنا انفسنا) (٢) ولم يكن عند آدم من ينازعه الاراده لما أمر الله به مما يزاحم الالهيه بل ظن صدق الشيطان الذى (قاسمهما انى لكما لمن الناصحين ، فدلاهما بغرور) (٣) فالشيطان غرهما واظهر نصحهما فكانا فى قبول غروره وما اظهر من نصحه حالهما مناسبا لقولهما (ربنا ظلمنا انفسنا) (٤) لما حصل من التفريط لا لاجل هوى

---

(١) تأويل مشكل القرآن ص : ٤٠٢

(٢) سورة الاعراف ايه (٢٣)

(٣) سورة الاعراف ايه (٢٢)

(٤) سورة الاعراف ايه (٢٣) .

وحظ يزاحم الالهيه) (١) .

ويزيد ما قاله شيخ الاسلام وضوحا ما ذكره الامام ابن القيم فى كتابه اغاثة اللهفان وهو يتحدث عن امر المعاصى فى تفويت المؤمل والمقصود (ولهذا عاقب - اى الله - ابا البشر آدم عليه السلام بأن أخرجه من الجنه لما عصاه بالأكل من الشجره ليخلد فيها فكانت عقوبته اخراجه منها ضد ما أمله) (٢) .

وقال فى موضع آخر من الكتاب المذكور وهو يتحدث عن كيد ابليس (وأول كيده أنه كاد الأبوين بالايمان الكاذبه أنه ناصح لهما وأنه انما يريد خلودهما فى الجنه ... ولم يكن آدم عليه السلام قد علم أنه يموت بعد واشتهى الخلود فى الجنه وحصلت الشبهه من قول العدو واقسامه بالله جهد أيمانه أنه ناصح لهم فاجتمعت الشبهه والشهوه وساعد القدر فاخذتهما سنه الغفله واستيقظ لهما العدو .... قال قتاده كان بعض اهل العلم يقول : (من خادعنا بالله خدعنا فالمؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم وفى الصحيح ان عيسى بن مريم عليه السلام رأى رجلا يسرق فقال سرقت فقال لا والله الذى لا اله الا هو فقال المسيح عليه السلام آمنت بالله وكذبت بصرى) (٣)

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام جـ : ١٠ ص : ٢٨٧

(٢) جـ : ١ ص : ٣٧٣

(٣) جـ : ١ ص : ١٢١ - ١٢٥

أخرجه البخارى عن ابى هريره عن النبى (صلى الله عليه وسلم) قال رأى عيسى بن مريم رجلا يسرق فقال له اسرقت قال كلا والذى لا اله الا هو فقال عيسى آمنت بالله وكذبت عينى) . صحيح البخارى - المكتبة الاسلامى محمد اوزدمير - استانبول - تركيا جـ ٤ ص ٦٠ باب ٤٨ كتاب الانبياء وفى رواية لمسلم (وكذبت نفسى) صحيح مسلم جـ ٧ ص ٩٧ مكتبة الجمهورية العربيه لصاحبها عبد الفتاح عبد المجيد مراد .

فابن القيم كشيخه ابن تيميه : يرى وقوع المعصيه من آدم عليه السلام بسبب الشبهه والشهوه وانما وقع آدم في مصيده عدوه لانه لم يتصور ان ثمة من يقسم بالله كاذبا .

هذا مجمل اعتقاد السلف في قصة آدم واكله من الشجره .

وهنالك اقوال شاذه كالذى حكاه ابن العربى من أن سعيد بن المسيب قال : ان آدم اكل من الشجره سكران (١) .

وهذا فاسد كما بينه ابن العربى لان الله وصف خمر الجنه بانها لا غول فيها (١) .

---

(١) احكام القرآن جـ: ١ ص: ١٨

وانظر البحر المحيط جـ = ١ ص = ١٦١

المبحث الثاني

شبهة وقوع الشرك من آدم عليه السلام ودحضها

الآيات التي يتوهم منها ذلك :ـ

قال تعالى : هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن أتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين . فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما أتاهما فتعالى الله عما يشركون .) (١)

توهم البعض أن هاتين الآيتين تثبت وقوع الشرك من آدم اذ اعتبروا النفس الواحده المذكوره فى الايه هى نفس آدم وأن زوجها مراد به حواء ثم اعادوا الضمير فى قوله (فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء) على آدم وحواء .

وانا بحول الله وقوته سأعرض اولا اقوال العلماء فى فهم الآيتين ثم ابين وجه الصواب انشاء الله .

---

(١) سورة الاعراف ايه ١٨٩ ـ ١٩٠

موقف المعتزلة :

اجاب القاضي عبد الجبار عن الايه بقوله ((وجوابنا أن معنى قوله فلما آتاهما صالحا البنيه الصحيحه في الاولاد ولا يمتنع في الصالح ان يكون كذلك ويقع منه الكفر والشرك وليس في الظاهر ان ذلك وقع من آدم وحواء وانما المراد وقوع ذلك من الذكر والانثى من الذريه فهو معنى قوله (جعلا له شركاء) (١)

وجعل الزمخشري الفاعل في قوله تعالى (جعلا له) ضميرا أي جعل اولادهما له شركاء على حذف المضاف واقامه المضاف اليه مقامه ، وكذلك : (أتاهما) اى اتى اولادهما ويقول (.... وقد دل على ذلك قوله (فتعالى الله عما يشركون) حيث جمع الضمير . وآدم وحواء بريئان من الشرك) (٢) .

كما يورد الزمخشري وجها آخر في فهم الايه وهو (أن يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهم آل قصي .... ويراد هو الذى خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن اليها) فلما أتاهما ما طلب من الولد الصالح السوى جعلا له شركاء فيما أتاه حيث سميا اولادهما الأربعه بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار وجعل الضمير في يشركون لهما ولا عقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك وهذا تفسير حسن لا اشكال فيه) (٣)

---

(١) تنزيه القرآن عن المطاعن ص: ١٥٤

(٢) الكشاف جـ: ٢ ص: ١٢٧

(٣) الكشاف جـ: ٢ ص: ١٢٧

موقف الاشاعره :

يؤيد الرازى الوجه الثانى من رأى المعتزله والذى سبق أن نقلته عن الزمخشرى أى أن الخطاب لقريش وهم آل قصى ثم ذكر أوجها اخرى لكنه يرى أن كل تلك الوجوه ضعيفة .(١) .

وقال صاحب المواقف : ان اكثر المفسرين على أن الخطاب لقريش والنفس الواحده قصى (وجعل منها زوجها) اى جعلها عربيه من جنسه واشراكهما تسميتهما ابناءهما بعبد مناف وعبد العزى وعبد الدار وعبد قصى . فليس الضمير فى جعلا لادم وحواء وان صح انه لادم فاين الدليل على الشرك فى الألوهيه ؟ ولعله هو الميل الى طاعه الشيطان وقبول وسوسته مع الرجوع عنه الى الله تعالى وذلك غير داخل تحت الاختيار او لعله قبل النبوه) (٢) .

فصاحب المواقف يورد أوجها ثلاثه فى فهم الايه هى كالتالى :ـ

(١) الخطاب لقريش ومرجع الضمير لقصى فالشرك منه ومن زوجه لا من آدم وحواء .

(٢) أنه اذا سلمنا أن الخطاب لآدم فليس هو الشرك المخرج عن المله وهو الشرك فى الألوهيه بل هو عباره عن الميل الى اطاعه الشيطان .

(٣) أن ذلك الأمر وقع قبل النبوه . (٣)

فصاحب المواقف يجعل للشرك فى الايه معنيين معنا حقيقيا وهو شرك فى

---

(١) انظر عصمه الانبياء ص : ١٧
والتفسير الكبير للرازى ج : ١٥ ص : ٨٥

(٢) المواقف ص : ٣٦٢

(٣) راجع ص (   ) من البحث لترى الرد على هذه الدعوى

الألوهيه وذلك اذا كان المراد قريــــش ومعنا غير حقيقى اى ميل لطاعه الشيطان وذلك اذ سلمنا ان الخطاب لادم .

وقال ابن العربى : (ان المراد بهذا ـ اى (فلما اتاهما صالحا جعلا له شركاء) جنس الادميــن) ثم يقول (وهذا القول اشبه بالحق واقرب الى الصدق وهو ظاهــــر الايه وعمومها الذى يشمل جميع متناولاتها ، ويسلم فيها الانبياء عن النقص الذى لايليق بجهال البشر فكيف بسادتهم وأنبيائهم) (١)

---

(١) احكام القرآن ج : ٢ ص : ٨٢٠

موقـف السلـــــف :

جاء عن السلف في هذه القضيه رأيـــان :

(١) رأى يقول أن المعنى بالايه آدم وحواء وانهما اشركا في الاسم عندما سميـــا ولدهما عبد الحارث فاطاعا الشيطان ولقد ورد حديث عن النبي (صلى اللـــه عليه وسلم) في هذا المعنى فلقد روى الحسن عن سمره عن النبي (صلى اللــه عليه وسلم) قال : لما حملت حواء طاف بها ابليس وكان لا يعيش لها ولـــد فقال سميه عبد الحارث فانه يعيش فسموه عبد الحارث فعاش وكان ذلك مـــن وحي الشيطان وأمره والحديث رواه احمد والترمذى وقال حديث حسن غريـب لا نعرفه الا من حديث عمرو بن ابراهيم عن قتاده ورواه بعضهم عن عبد الصمــد ولم يرفعه ٠ (١)

كما روى هذا القول عن ابن عباس وعكرمه وقتاده ومجاهد وسعيد بن جبير ٠

---

(١) تحفة الاحوذى شرح الترمذى وقال مؤلف تحفة الاحوذى : (عمرو بن ابراهيم المذكور وثقــه غيرواحد من ائمه الحديث لكنه ضعيف في روايه الحديث عن قتاده كما عرفت وهذا الحديث رواه عن قتاده وفي سماع الحسن من سمره كلام معروف) ٠ تحفة الاحوذى شرح الترمذى ج : ٨ ص ٤٤٠ ضبط ومراجعــه عبد الرحمن محمد عثمان ـ مطبعة الفجاله الجديده سنه ١٣٨٧ هـ ـ الناشر محمد عبد المحسن

الفتح الربانى ج: ٢٠ ص : ٣٤

هذا والجميع يقولون ان آدم لم يشرك فى العباده قال عكرمه : ما اشرك آدم ولا حـــواء •

قال قتاده : فاشركا فى الاسم ولم يشركا فى العباده •

(٢) رأى آخـــر مغاير للرأى الاول تماما فلقـــد روى قتاده عن الحسن انه كان يقول : هم اليهود والنصارى رزقهم الله اولادا فهودوا ونصروا • وروى سعيـــــــد ابن جبير عن ابن عباس قال : ما اشرك آدم ان أول الآيه لشكر وآخرها مثـــــل ضربه الله لمن يعبده وروى عن الحسن وقتاده قالا : الضمير فى قولـــــــه " جعلا له شركاء " عائد الى النفس وزوجـــه من ولد آدم لا الى آدم وحواء (١) أما ابن جرير الطبرى فلقد رجح القول الاول فقال (وأولى القولين بالصـــواب قول من قال : عنى بقوله فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء) فى الأسم لافـى العباده وان المعنى بذلك آدم وحواء لاجماع الحجـــه من اهل التأويل علـــى ذلك فان قال قائل فما انت قائل اذا كان الامر على ما وصفت فى تأويل هـــذه

---

(١) انظر تفسير الطبرى ج: ٩ ص: ١٤٦ ـــ ١٤٨
انظر تفسير زاد المسير فى علم التفسير ح: ٣ ص: ٣٠٣
وانظر فتح القدير الجامـــعين فن الروايه والدرايه من علم التفسير •
محمد الشوكانى ج: ٢ ص: ٢٧٦
شركه الحلبى الطبعه الثانيه سنه ١٣٨٣هـ •

هذه الايه ، واتى المعنى بها آدم وحواء فى قوله (فتعالى الله عما يشركون) أهـــو استنكاف من الله ان يكون له فى الاسماء شريك او فى العباده ؟ فان قلت فى الاسماء دل على فساده قوله (ايشركون مالا يخلق شيئا وهم يخلقون) (١) وان قلت فى العباده قيل لك : افكان آدم اشرك فى عباده غيره قيل له : ان القول فى تأويل قوله (فتعالـــى الله عما يشركون) (٢) ليس بالذى ظننت وانما القول فيه ، فتعالى الله عما يشـــرك به مشركو العرب من عبدة الاوثان . فاما الخبر عن آدم وحواء فقد انقضى عند قولـــه : " جعلا له شركاء فيما آتاهما) (٣) ثم استؤنف قوله (فتعالى الله عما يشركون) (٤)

أما ابن كثير فلقد نصر الرأى الثانى وهو المروى عن الحسن لذا فلقد اعـــل الحديث السابق الذى رواه احمد والترمذى فقال : (والغرض ان هذا الحديث معلول من ثلاثة اوجـــه :ـ

(١) ان عمر ابن ابراهيم هذا هو البصرى وقد وثقه ابن معين ولكن قال ابو حاتـم الرازى لا يحتج به ولكن رواه ابن مردويه من حديث المعتمر عن ابيه عن الحسن عن سمره مرفوعا فالله اعلـــم ..

---

(١) سورة الاعراف ايه ١٩١

(٢) سورة الاعراف ايه ١٩٠

(٣) سورة الاعراف ايه ١٩٠

(٤) سورة الاعـراف ايه ١٩٠

تفسير الطبرى ج : ٩ ص : ١٤٨

(٢) انه قد روى من قول سمره نفسه ليس مرفوعا كما قال ابن جرير حدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا المعتمر عن ابيه حدثنا بكر ابن عبد الله عن سليمان التيمى عن ابى العلاء بن الشخير عن سمره بن جندب قال سمى آدم ابنه عبد الحارث .

(٣) ان الحسن نفسه فسر الاية بغير هذا فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعا لما عدل عنه ....) .

أما الروايات التى ذكرناها عن الحسن فى تفسير الاية فلقد صححها يقول ابن كثير عنها (وهذه أسانيد صحيحه عن الحسن رضى الله عنه انه فسر الاية بذلك وهو من أحسن التفاسير واولى ما حملت عليه الاية ولو كان هذا الحديث عنده محفوظا عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لما عدل عنه ولا غيره لا سيما مع تقواه وورعة فهذا يدلك على أنه موقوف على الصحابى ويحتمل انه تلقاه من بعض أهل الكتاب من آمن منهم مثل كعب أو وهب بن منبه وغيرهما .. الا أننا برئنا من عهده المرفوع والله أعلم.) (١)

أما الآثار التى رويت عن بعض الصحابة والتابعين فهو يرى أنها مستقاه من أهل الكتاب . (٢)

---

(١) تفسير ابن كثير حـ : ٢ ص : ٢٧٤ ـ ٢٧٥ .

(٢) قسم ابن كثير اخبار اهل الكتاب الى ثلاثة أقسام :ـ

(أ) ما علمنا صحته مما دل عليه الدليل من كتاب الله وسنة رسوله

(ب) ما علمنا كذبه بما دل على خلافه من الكتاب والسنه ايضا .

(جـ) ما هو مسكوت عنه فهو المأذون فى روايه بقول (ص) (حدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج) . وهو الذى لا يصدق ولا يكذب لقوله (فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم) تفسير ابن كثير حـ : ٢ ص ٢٧٥

وهو يرى أن هذه الاثار من القسم الذى دل الكتاب والسنه على خلافه • وان من رواه من صحابى أو تابعى فهو يراه من القسم المسكوت عنه •

ثم هو يقول (واما نحن فعلى مذهب الحسن البصرى رحمه الله فى هـــذا وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء وانما المراد من ذلك المشركون من ذريته ولهذا قال الله (فتعالى الله عما يشركون) ثم قال فذكر آدم وحواء اولا كالتوطئـــه لما بعدهما من الوالدين وهو كالاستطراد من ذكر الشخص الى الجنس كقوله (ولقـــد زينا السماء الدنيا بمصابيح) (١) الايه ومعلوم ان المصابيح وهى النجوم التـــى زينت بها السماء ليست هى التى يرمى بها وانما هذا استطراد من شخص المصابيـــح الى جنسها ولهذا نظائـــر فـى القرآن) (٢) •

---

(١) سوره الملك ايه : ٥

(٢) تفسير ابن كثيـــــر جـ ٢ ص : ٢٧٥ – ٢٧٦

وابن القيم ايضا يرجح هذا الرأى فى الايه يقول : (فمنها قوله : (هو الـــذى خلقكم من نفس واحده وجعل منها زوجها ليسكن اليها ٠٠٠) (١) الايات فالنفـــس الواحدة وزوجها آدم وحواء واللذان جعلا له شركاء فيما آتاهما المشركون من أولادهما ٠ ولا يلتفت الى غير ذلك مما قيل ان آدم وحواء كانا لا يعيش لهما ولد فاتاهما ابليـــس فقال : ان احببتما ان يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحارث ففعلا ٠ فان الله سبحانـه اجتباه وهداه فلم يكن ليشرك به بعد ذلك ٠ ونظير هذا الاستطراد قوله : (يسألونك عن الأهله قل هى مواقيت للناس والحج) (٢) ثم قال (وليس البر بأن تأتـوا البيوت من ظهورها) (٢) فانهم كانوا يفعلون ذلك فى الاحرام ٠ فلما ذكر لهم وقت الاحـرام الذى هو من فوائد الأهله استطرد منه الى ذكر ما يفعلونـه فيه وهو كثير جدا) (٣) من هذا النص نرى ان ابن القيم لا يرى الرأى الاول والذى نقلناه عن السلف بل يرجـح ان المعنى بالايه المشركون من ابناءهما وأن فى الايه استطراد وهذا هو الصحيـــح ان شاء اللـــه ٠٠

---

(١) الاعراف ١٨٩

(٢) البقرة ١٨٩

(٣) روضه المحبين ونزهة المشتاقين ص ٢٨٩

ولقد اختار هذا الوجه ايضا الشيخ محمد الشنقيطي فى كتابه اضواء البيان ودليله قوله تعالى فى آخر الايه (فتعالى الله عما يشركون • ايشركون مالا يخلق شيئا وهم يخلقون) قال : (وهذا نص قرآنى صريح فى أن المراد المشركون من بنى آدم لا آدم وحواء واختار هذا الوجه غير واحد لدلالة القرآن عليه) (١) •

من هذا العرض السريع لاراء العلماء نرى ان ليس ثمة دليل على ان المراد بالايه آدم وحواء سوى حديث غريب وهو معلول أعله ابن كثير كما رده غير واحد من العلماء ومن رده ايضا ابن حزم حيث قال : (وهذا الذى نسبوه الى آدم عليه السلام من أنه سمى ابنه عبد الحارث خرافه موضوعه مكذوبه من تأليف من لادين له ولا حياء لم يصح سندها قط) (٢) •

قلت : وهذا الحديث على فرض صحته يدل على ان الشيطان أمر حواء بالتسميه وحيا كأن يكون مناما او هاتفا يسمع ولا يرى فلعل الامر التبس عليهما ولم تعلم ان هذا من الشيطان سيما وانه ذكر الداء والدواء وحواء بالاتفاق ليست من الانبياء فلا تميز بين وحى الرحمن ووحى الشيطان •

---

(١) اضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن
محمد الامين بن محمد المختار الشنقيطى ج: ٢ ص: ٣٠٤ ـ ٣٠٥
مطبعه المدنى •

(٢) ح الفصل فى الملل والاهواء والنحل ج: ٤ ص: ٥

كما احب أن ازيد المسأله ايضاحا وهو ان شرك التسميه مغاير تماما للشـــرك الحقيقى فالثانى صاحبه خالد مخلد فى النار (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفـــر ما دون ذلك لمن يشاء) (١) .

وشرك التسميه مثل ان تقول هذا عبدى وهذا عبدك وفلان عبد لزوجته فلا نقصد ان فلانا يؤله امرأته فيكون كمايد وثن واما الآثار التى وردت فقد بين ابن كثيـــر انها تسربت من اهل الكتاب وهم كما نعلم حاقدون على انبيائهم وسيأتى مزيد ايضـــاح للتسرب هذا عند التحدث عن قصة يوسف عليه السلام ..

---

(١) سوره النساء ايه: ٤٨

الفصل الثانـــى

ما جاء عن نـوح عليه السلام

المبحث الاول : الايات التى يتوهم منها وقوع الكذب منه مع تصوير الشبهه

المبحث الثاني : موقف المعتزلـــه

المبحث الثالث : موقـف الاشاعـــره

المبحث الرابع : موقـف السلـــف

المبحث الأول

الآيات التى يتوهم منها وقوع الكذب منه

قال تعالى (ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق وأنت احكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم انى أعظك أن تكون من الجاهلين قال رب انى اعوذ بك أن اسألك ما ليس لى به علم والا تغفر لى وترحمنى اكن من الخاسرين) (١)

تصوير الشبهة :ـ

يتوهم البعض من ظاهر الايات وقوع الكذب من نوح عليه السلام لانه قال (ان ابنى من اهلى) والله عز وجل يقول (انه ليس من اهلك) .

وثمة شىء آخر وهو ان نوحا عليه السلام قد طلب ما لا يحق له وهذا عمل غير صالح لقوله تعالى (انه عمل غير صالح) (٢) فالضمير يعود الى سؤال نوح فيكون معصية ولقوله تعالى (فلا تسألن ما ليس لك به علم) (٣) ولقولة تعالى (انى اعظك ان تكون من الجاهلين) (٤)

---

(١) هود آيه ٤٥ ـ ٤٧ .
(٢) " " ٤٦ .
(٣) " " ٤٦ .
(٤) " " ٤٦ .

المبحث الثاني

موقف المعتزلة :ـ

قال الشريف ابو القاسم فى الامالى بعد ان صور شبهة وقوع الكذب من نوح عليه السلام : (الجواب ، قلنا فى هذه الاية وجوه ..
احدها ان نفيه لان يكون من اهله لم يتناول نفى النسب وانما نفى ان يكون من اهله الذين وعد بنجاتهم لانه عز وجل وعد نوحا عليه السلام بان ينجى اهله الا ترى الى قولة تعالى (قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول) (١) فاستثنى تعالى من اهله من اراد اهلاكه بالغرق ويدل عليه أيضا قول نوح عليه السلام (ان ابنى من اهلى وان وعدك الحق) (٢) وعلى هذا الوجه يتطابق الخبران ولا يتنافيان وقد روى هذا التأويل بعينه عن ابن عباس وجماعة من المفسرين .) (٣)

---

(١) سورة هود اية (٤٠) .
(٢) سورة هود اية (٤٥) .
(٣) امالى السيد المرتضى (للشريف ابى القاسم على بن الطاهر ابى احمد الحسين توفى سنه ٤٣٦)
الطبعة الاولى سنه ١٣٢٥ مطبعة السعادة محافظة مصر .
حـ : ١ ص : ١٤٤ مجلس ٣٨ ..

ثم ذكر وجهين اخريـــن :

١ ـ (ليس من اهلك) اى انه ليس على دينك اى انه كان كافرا لقوله تعالـــى (انه عمل غير صالح) فبين سبب خروجه من احكام اهله لكفره وســـوء عملـــه • وعزى هذا الرأى لعكرمة •

٢ ـ انه لم يكن ابنه على الحقيقة اى انه كان ولد زنـــا فلا يكون قوله (ان ابنـى مـــن أهلـــى) كذبا لانه اخبر على حسب ظنه فاعلمه اللـــه الحقيقة • وعزى هذا الرأى لمجاهد وابن جريـــج وكذلك الحسن • (١)

ولكنه يستبعد هذا الوجه ويبن انه منافـى للقرآن لان الله عز وجـل يقـول (ونادى نوح ابنه) فاطلق عليه اسم البنوه ولانه استثناه من جمله اهله بقوله تعالـــى (واهلك الا من سبق عليه القول) • ثم قال ايضا (•• ولان الانبياء عليهـــم الصلاة والسلام يجب ان ينزهوا عن مثل هذه الحال لانها تعر وتشيـن وتغض مـــن القدر وقد جنب الله تعالى أنبياءه عليهم الصلاة والسلام ما هو دون ذلك تعظيمـــا لهم وتوقيرا ونفيا لكل ما ينفر عن القبول منهم ••) (٢)

وأما قوله تعالى (انه عمل غير صالح) فاجاب باجوبه :ـ

١ ـ ان ابنك ذو عمل غير صالح من باب حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامـــة

---

(١) انظر تفسير ابن جرير ج : ١٢ ص : ٥٠ وما بعدها •
(٢) المصدر السابق ج : ٢ ص : ١٤٥ ••

مثل قول الشاعـــر :

فانما هى اقبال وادبـــــــار

والمعنى انما هى ذات اقبال وادبـــار.

٢ ـ بان الضمير يعود الى السؤال والمعنى أن سؤالك اياى ما ليس لك بـــه علم انه عمل غير صالح ونوح قد سأل ربه نجاه ابنه فيعتبر هذا الســؤال صغيره من النبى (ص) صلى الله عليه وسلم والصغيرة جائزة على الانبياء. (١)

اما الزمخشرى فلم يتعرض الى شبهة وقوع الكذب من نوح عليه السلام فلذا لم يناقش الايات السابقات ولم يبين اختلاف العلماء فى الموضوع.

واما قوله تعالى (انه عمل غير صالح) فجعل الضمير يعود الى الابـــن وهو يرجح هذا القول ولا يرى ان الضمير يعود الى النداء فيقول (.. وقيـــل الضمير لنداء نوح : اى نداءك هذا عمل غير صالح وليس بذاك)
كما ان الزمخشرى نسب الجهل الى نوح عليه الســلام عندما سأل ربه نجاه ابنـــه فقال (... وجعل سؤال ما لا يعرف كنهـــه جهلا وغباوه ووعظه ان لا يعـــود اليه والى امثاله من اعمال الجاهلين).

ولقد أجاب الشيخ احمد على الزمخشرى فقال : (وفى كلام الزمخشـــرى ما يدل على انه يعتقد ان نوحا عليه السلام صدر منه ما اوجب نسبة الجهل اليـــه ومعاتبتـــه على ذلك وليس الامر كما تخيله الزمخشرى ونحن نوضح الحـــق

---

(١) المصدر السابق ص : ١٤٦.

في الاية .... فنقول : لما وعد نوح أولا بتنجية اهله الا من سبق عليه القول منهم ولم يكن كاشفا لحال ابنه المذكور ولا مطلعا على باطن امره . بل معتقدا بظاهر الحال انه مؤمن بقى على التمسك بصيغة العموم للاهلية الثابتة ولم يعارضها يقين في كفر ابنه حتى يخرج من الاهل ويدخل في المستثنين فسأل الله فيه بناء على ذلك فتبين له انه في علمه من المستثنين وانه هو لا علم له بذلك فلذلك سأل فيه . وهذا بأن يكون ابانة عذر اولى منه ان يكون عتبا ...) (١) .

---

(١) الانتصاف على الكشاف جـ : ٢ ص : ٢٧٣ _ ٢٧٤ .

المبحث الثالث

موقف الاشاعرة :ـ

يرى القاضي عياض أن نوحا عليه السلام تأول قوله تعالى (حتى اذا جاء امرنا و فار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول)(١)

فطلب بمقتضى هذا اللفظ نجاة ابنه فبين الله له انه ليس من اهله الذين وعد بنجاتهم لكفرة وعملة الذى هو غير صالح وقد اعلمه انه مغرق الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فاوخذ بهذا التأويل ٠

وذكر ايضا ان النقاش حكى ان نوحا لا يعلم بكفر ابنه ثم بين وقال (وكل هذا لا يقضى على نوح بمعصية سوى ما ذكرناه من تأويله واقدامه بالسؤال فيمن لم يؤذن له فيه ولا نهى عنه) (٢)

اما الرازى فقد ذكر ثلاثة اجوبة كالتى نقلناها عن صاحب الامالى ثم رجح الرأى الاول واستبعد ايضا ما استبعدة صاحب الامالى من أن يكون ابنا لفراشه كما سبق فلقد قال : (فالاكثرون على انه كان ابنا له لصلبه وهو الاقوى لقوله تعالى (ونادى نوح ابنه) ثم اختلفوا فمنهم من قال ليس من أهلك الذين وعدتك

---

(١) سورة هود اية (٤٠) ٠

(٢) الشفاء جـ: ٢ ص : ٣٨٢ ـ ٣٨٣ بتصرف بسيط ٠٠

أن انجيهم معك . وقيل ليس من اهل دينك ..) (١)

اما القضية الاخرى وهى سؤال نوح عليه السلام نجاة ابنه فهو يرى ان العقل لا يمنع الدعاء للكافر وان الشرع هو الذى يمنع منه فدعاؤه بمقتضى العقل الى ان جاء من الشرع ما يمنع منه .

وكونه دعا بغير اذن لانه تمسك بالاباحة الاصلية ثم اجاب جوابا آخر فقال : (او تقول انما كان مسلما فى الظاهر وكان نوح عليه السلام مأذونا فى الدعاء للمسلمين فدعا له بحكم الظاهر وذلك جائز لقوله عليه السلام " نحن نحكم بالظاهر "(٢)

---

(١) عصمة الانبياء للرازى ص : ٢١ .

(٢) (" حديث " انما نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر غريب قال الحافظ المزى لا نعرفة) انظر حسن الاثر فيما فيه ضعف واختلاف من حديث وخبر وأثر ص : ٥٤٧
تأليف الشيخ محمد بن السيد درويش الحوت ــ دار المعرفة بيروت .
اقول وفى معنى الحديث جاء حديث صحيح متفق عليه وهو انما انا بشر وانكم تختصمون الى ولعل بعضكم يكون الحن بحجتة من بعض فاقضى له على نحو ما اسمع فمن قضيت له بشئ من حق اخيه فلا يأخذه فانما اقطع له قطعة من نار) متفق عليه عن ام سلمه رضي الله عنها .
انظر صحيح مسلم بشرح النووى ج : ١٢ ص : ٤
باب بيان ان حكم الحاكم لا يغير الباطل ..

او يقول هب انه اخطأ في ذلك لكن أن قلت : ان ذلك من الكبائر لقوله هذا سؤال (عمل غير صالح) قلنا لا نسلم والتعويل في تفسير هذا القسم على كون الاضمار بخلاف الاصل ضعيف لان الادلة الدالة على عصمة الانبياء اقوى من الدليل الدال على كون الاضمار بخلاف الاصل) (١) .

قلت : اما جواب النقاش ومن تابعه من أن نوحا عليه السلام لم يكن يعلم بكفر ابنه فغير صحيح لقوله تعالى (... ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين) (٢)

فقوله (مع الكافرين) يدل على انه يعلم بكفر ابنه . ثم يبعد جدا ان لا يعلم بكفره وهو ابوه يعرف مدخله ومخرجه يعيش معه ليل نهار .

ثم ان الله أمره بصناعة الفلك في مكان ليس مظنة الماء وليس بساحل لكي ينجو هو ومن آمن معه من العذاب الذي سينزل بالكافرين فمن لم يؤمن بهذا فليس بمؤمن .

لذا فقول الابن (سآوي الى جبل يعصمني من الماء) (٣) يشم منه رائحة الكفر اذ لم يؤمن بكلام أبيه ولم يقبل دعوته له الى الايمان والى الركوب .

اذاً فما قاله صاحبا التفسير الموضوعي من انه لا يشم منه رائحة الكفر فليس بصحيح (٤)

---

(١) عصمة الانبياء ص: ٢٢ـ٢٣

(٢) هود ايه ٤٢

(٣) هود ايه ٤٣

(٤) التفسير الموضوعي ص: ١٣٤

قالا (... وكان رد ابنه سآوي الى جبل ..) وهو رد لا يشم منه رائحة الكفر مجهله أن ابنه كان كافرا وهو لا يعلم حقيقة أمره .) .

المبحث الرابع

موقف السلف :ـ

ذكر الطبرى اراء علماء السلف في قوله تعالى (ليس من أهلك) فبعضهم يرى انه ليس من ولدك هو من غيرك وعزى هذا القول الى الحسن وكذلك عن مجاهد .

والبعض الاخر يرى ان معنى الاية (ليس من اهلك) الذين وعدتك ان انجيهم وعزى هذا القول الى ابن عباس رضي الله عنه وعكرمة وسعيد بن جبير .

وهؤلاء يثبتون بنوة ابن نوح عليه السلام لقولة تعالى (ونادى نوح ابنه) كما ان ابن عباس قال : (ما بغت امرأة نبى قط)

ولقد رجح ابن جرير الطبرى الرأى الثاني لقوة دليلهم . (١)

واما قوله تعالى (انه عمل غير صالح) فقد قال بعضهم معناه : ان مسألتك اياى هذه عمل غير صالح وعزى هذا القول الى ابن عباس ومجاهد وقتادة .

وقال اخرون ان الضمير في قوله (انه عمل ...) يعود على الابن ثم رجح ابن جرير الطبرى القول الاول والمعنى ان سؤالك اياى ما تسالنيه في ابنك عمل غير صالح . (٢)

---

(١) انظر تفسير الطبرى ج : ١٢ ص : ٤٩ ـ ٥٢ .

(٢) تفسير الطبرى ج : ١٢ ص : ٥٣ ..

وكذلك ابن كثير يرجح ما رجحة الطبرى وهو ان قوله تعالى (ليس من أهلك) ليس فيه نفي لبنوة ابنه بل المراد ليس من اهلك الذين وعدتك بنجاتهم .

قال ابن كثير (وقول ابن عباس فى هذا هو الحق الذى لا محيد عنه فان الله سبحانه اغير من ان يمكن امرأه نبى من الفاحشة ولهذا اغضب الله على الذين رموا ام المؤمنين عائشة بنت الصديق زوج النبى (صلي الله عليه وسلم) وانكر علي المؤمنين الذى تكلموا بهذا واشاعوه) (١) .

وبعد هذا العرض لاراء العلماء نخلص الى ما يلى :ــ

١ ــ أن نوح عليه السلام لم يقع منه الكذب بل كان صادقا فى قوله لقوله تعالى (ونادى نوح ابنه) وهذا هو الذى عليه الجمهور كما بينا .

٢ ــ أما قوله تعالى (انه عمل غير صالح) فنحن نقول كما قال ربنا أن مسأله نوح عليه السلام لربه كانت عملاً غير صالح ولكن الله سبحانه وتعالى وفق نوحا للتوبة والاستغفار (قال رب انى اعوذ بك ان اسالك ما ليس لي به علم والا تغفر لى وترحمنى اكن من الخاسرين)

فالله سبحانة وتعالى عصمة من الاقرار على الخطأ وهذا هو مفهوم العصمة عند السلف والله اعلم .

---

(١) تفسير ابن كثير حـ : ٢ ص ٤٤٨ .

قلت قارن بين نظرة علمائنا المسلمين الى مقام الانبياء وكيف نزهوا حتى نساءهم من الوقوع في الفاحشة حتى لا تدنس اعراضهم وكيف فعل اخوان القردة والخنازير وهم اليهود بتوراتهم فحرفوها حتى جعلوا انبياء الله اولاد زنى بل جعلوهم يرتكبون الفاحشة مع بناتهم كما زعموا على لوط عليه السلام كما سيأتى بيانه ..

الفصل الثالـــــث

=====

ما جـاء عن ابراهيم عليه الســـلام

======

المبحـــث الاول

======

شبهه وقوع الكفر من ابراهيم عليه السلام ودحضها الايات التي يتوهم منها ذلك

=======

قال تعالى (واذ قال ابراهيم لأبيه أزر أتتخذ أصناما ألهة اني أراك وقومك في ضلال مبين . وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين . فلما جن عليه الليل رءا كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لاأحب الأفلين . فلما رءا القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين . فلما رءا الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم انى برىء مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين . وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به . الا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شىء علما أفلا تتذكرون . وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطانا فأى الفريقين احق بالأمن ان كنتم تعلمون . الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) (١)

---

(١) سوره الانعام ايه ٧٤ — ٨٢

توطئـــه :

كان قوم ابراهيم عليه السلام وثنيين يعبدون الأصنام والشمس والقمـــر والكواكب وكان عليه السلام حريصا على هدايتهم مستميتا فى دعوتهم فكان يستعمـل أساليـــب شتى فى دعوتهم تتسم بالحكمـه والموعظه الحسنه ومن الذين كان حريصا بالأخص على هدايتهم أبوه آزر ولقد قص علينا القرآن نماذج مختلفه من أساليبـــه الحكيمه فها هو يدعو أباه بأدب جم فيقول (يابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصـــر ولا يغنى عنك شيئا يابت انى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى اهـــدك صراطا ســـويا . يا أبت لا تعبـــد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا) (١)

انظر الى تكراره لفظه يأبت استدرارا لعطف أبيه وتليـــن جانبـــه لعله يكسبه الى جانبه . ولا ننسى ما فى الآيات من براهيـن عقليه لا تقبل الجدل ولا النقاش ،مما جعل اباه يرد حججه بالتهديد والوعيد (لئن لم تنته لأرجمنـك واهجرنى مليا) (٢)

---

(١) سوره مريم ايه ٤٢-٤٤

(٢) " " " ٤٦

لم ييأس ابراهيم من أبيه بل قال له (سلام عليك ساستغفر لك ربي انه كان بي حفيا) (١) فالداعيه ينبغى أن يجمع بين الدعوه والدعاء لمن يدعوهم.

وفي موضع آخر يصارح ابراهيم عليه السلام اباه ويبين له أنه على ضلال مبين (.... انى اراك وقومك فى ضلال مبين) (٢).

وفي مره اخرى يبين لنا القرآن اسلوبا آخر من الدعوه وهو اسلوب حكيم وهو أن توهم الخصم انك مسلم بالقضيه ثم تذكر الحجج التى ترد ما سلمت به وتبطله.

فها هو فى موقف من مواقف المناظره مع قومه لاثبات توحيد الألوهيه وأن الله سبحانه وتعالى هو المستحق للعباده وحده يقول عن الكوكب أنه ربه ثم يبين فساد هذا القول لان الكوكب يغيب وهو لا يريد معبودا يغيب عن عابده وهكذا مع القمر وهكذا مع الشمس حتى يبين لهم أنه لا يستحق العباده الا الله الذى لا يغيب ابدا الذى خلق السموات والارض خلق الكوكب والقمر والشمس فالخالق أحق من المخلوق بالعباده وحاول قومه أن يحاجوه فدفع حجتهم بأنه لا يخاف من معبوداتهم.

---

(١) سوره مريم ايه ٤٧

(٢) سورة الانعام ايه ٧٤

بعد هذه التوطئه نقول هنالك شبهه للقائلين بعدم عصمه الانبياء ذكرها الرازى .

تصويـــر الشبهـــه :

ان قوله (هذا ربى) متردد بين الكفر والكذب وذلك انه ان قال ذلك على سبيل الاعتقاد كان اعتقاده كفـرا وان قال ذلك على سبيل الاخبار كان قولـه كذبا فلا يخلو من أمرين كلاهما مخلا بعصمة الانبياء (١) .

---

(١) عصمة الأنبياء للرازى ص : ٢٣

موقف المعتزلة :

يقول الزمخشري ان ابراهيم عليه السلام قال (هذا ربي) عندما رأى الكوكب والقمر في معرض الجدل ليتدرج بهم وذلك من باب التسليم للخصم ثم يكر عليه بما ينقض دعواه كما أنه يرى أن الفاء في قوله (فلما جن عليه الليل) عطف على قال ابراهيم لأبيه وكان آزر أبو ابراهيم يعبد الاصنام والشمس والقمر.

قلت : ان فائدة هذا العطف أنه يثبت أن ابراهيم لم يقل ذلك عن اعتقاد لانه كان يقول (اني اراك وقومك في ضلال مبين) (١)

---

(١) انظر الكشاف جـ: ٢ ص : ٣١

موقــف الاشاعــره :ـ

اختلف علماء الاشاعره في هذا المقـــام

فصاحب المواقف يرى أنه قال (ذلك : قبل تمام النظر في معرفـــه الله وكم بينه وبين النبوه) (١)

وبعضهم يرى انه استفهام بطريق الانكار والمعنى أهذا ربي (٢)

والرازي يرى أنه قال ذلك على وجه الاعتبار والاستدلال كما انـــه يرى أن امه وضعته في غار مظلم فلما شب وعقل دنا من الباب فرأى الكوكـــب فقد خطر بباله اثبات الصانع فقال ما قال (٣) وبعضهم قال ما قاله الزمخشـــري من المعتزله أي انه قاله على سبيل الفرض، لأن من أراد ابطال قول يفرضه اولا ثم يبطله (٤) وهذا أيضا ما يراه البيضاوي فلقد ذكره في تفسيره (٥)

ولقد رد ابن الأنبـــاري على من قال انه قال ذلك مستفهما وتقديـــره أهذا ربي ؟

فقال : وهذا القول شاذ لان حرف الاستفهام لا يضمـــر اذا كـــان

---

(١) المواقف ص : ٣٦٢

(٢) غرائب القرآن للنيسابوري حـ/ ١ ص : ٢٨٠

(٣) الرازي ص : ٢٥

(٤) انظر حاشيه شرح الطوالع ص : ٢١١

(٥) انوار التنزيل حـ : ٢ ص : ١٦٥

فارقـــا بين الاخبار والاستخبار وظاهر قولـــه (هذا ربى) انـــــــــــه اشاره الى الصانع (١) .

---

(١) زاد المسير لابن الجوزى ج : ٣ ص : ٧٥

موقــــف السلـــــف :

للسلف في هذا الموضوع رأيان رأى يقول ان قوله (هذا ربــــــي) على ظاهره وهــذا الرأى يروى عن ابن عباس الذى قال انه عبد الكوكــــــب حتى غاب وعبد القمر حتى غاب وعبد الشمس حتى غابت .

دليلهم قوله تعالى (لئن لم يهدني ربــي) .

والقائلون بهذا يرون انه قاله في (حال طفولته) قبل نبوته عندمـــا خرج من الغار وقد كان مخبأ فيه خوفا من النمـــرود والمنتصر لهذا الرأى الطبرى (١) فانه رجح هذا الرأى على جميع الأراء التى ذكرها فى تفسيره مستدلا بالايـــة السابقه .

ولقد رد كثير من العلماء هذا الرأى وبينو خطأه .

قال ابن الجوزى (وهذا القول لا يرتضى والمتأهلون للنبوه محفوظون من مثل هذا على كل حال فاما قوله (لئن لم يهدني ربي) فما زال الأنبيـــاء يسألون الهدى ويتضرعون في دفع الضلال عنهم كقوله (واجنبني وبني ان نعبــد الاصنام .) (٢) .

---

(١) انظر تفسير الطبرى حـ : ٧ ص : ٢٤٩-٢٥٠

(٢) سورة ابراهيم ايه ٣٥

ولأنه قد آتاه رشده من قبل وأراه ملكوت السموات والارض ليكون موقنا فكيف لا يعصمه عن مثل هذا التخبير (١)

كما رد هذا الرأى ابن حزم فقال (. . . فقال قوم ان ابراهيم عليه السلام قال ذلك محققا اول خروجه من الغار وهذا خرافة موضوعة مكذوبة ظاهره الافتعال ومن المحال أن يبلغ أحد حد التميز والكلام بمثل هذا وهو لم يرقط شمسا ولا قمرا ولا كوكبا وقد اكذب الله هذا الظن الكاذب بقوله الصادق (٢)

(ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين) (٣) (٤)
ثم ذكر برهانا آخر يرد القول الاول وهو أن الله عز وجل لم يعاتبه على شيء مما ذكر ولاعنفه على ذلك بل صدقه تعالى بقوله (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء) (٥) .

وهذا دليل جيد لو كان الفريق الاول يرى انه قال بعد بلوغه وهدايته وتكليم الله له ولكنهم يقولون انه قال ذلك قبل البلوغ والهداية فلا عتاب.

---

(١) زاد المسير فى علم التفسير ح: ٣ ص : ٧٤

(٢) الفصل فى الملل والاهواء والنحل ج : ٤ ص : ٧

(٣) سوره الانبياء ايه ٥١

(٤) المصدر السابق

(٥) سورة الانعام ايه ٨٣

ويمكن ان يصاغ الدليل بصياغة اخرى ان الله عز وجل مدح ابراهيم بعد ذلك بقوله (وتلك حجتنا ....) مما يدل على انه في مقام احتجاج وجدل .

ومن الذين ردوا هذا القول ابن كثير (١) في تفسيره فقال (وكيف يجوز أن يكون ابراهيم ناظرا في هذا المقام ، وهو الذي قال الله في حقه (ولقد أتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين) (٢)

وقال تعالى (ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم) (٣)

وقال (ص) (كل مولود يولد على الفطره) (٤)

وقال تعالى في الحديث القدسي (اني خلقت عبادي حنفاء) (٥)

وقال تعالى (فطرت الله التي فطر الناس عليها) (٦)

---

(١) تفسير ابن كثير ج : ٢ ص ١٥١

(٢) سورة الانبياء ايه ٥١

(٣) سورة النحل ١٢٠ — ١٢١

(٤) رواه البخاري ومسلم بلفظ (ما من مولود ....) صحيح البخاري ج : ٣ ص : ١٧٣ تفسير سورة الروم طبعه الحلبي بحاشيه السندي صحيح مسلم ج : ٨ ص : ٥٣ — ٥٤ الناشر مكتبه جمهورية مصر العربيه

(٥) مسلم ج : ٨ ص : ١٥٩

(٦) سورة الروم ايه (٣٠)

ثم قال (فاذا كان هذا فى حق سائر الخليقه فكيف يكون ابراهيم الخليل الذى جعله الله امة قانتا لله حنيفا) (١).

والاكثرون من السلف يرون انه كان فى مقام مناظره قومه مبينا لهم بطلان ما كانوا عليه من عباده الهياكل والأصنام وهذا ما يراه ابن كثير فى تفسيره (٢) وهذا ما يراه ايضا شيخ الاسلام ابن تيميه وان كان لم ينص على ذلك ولكن يفهم من عبارته حيث قال (... ولكن ابراهيم عليه السلام لم يقصد بقوله (هذا ربى) انه رب العالمين ولا كان أحد من قومه يقولون انه رب العالمين من تجويز ذلك عليهم بل كانوا مشركين مقرين بالصانع وكانوا يتخذون الكواكب والشمس والقمر أربابا (٣).

وقال فى موضع آخر (وأخبر - اى ابراهيم - ان ربه يحى ويميت وأنه فطر السموات والأرض واحياؤه فوق كماله بانه حى وأنه فطر السموات والارض يقتضى امساكها وقيامها الذى هو فوق كماله بانه قائم بنفسه حيث قال عن النجوم (لا أحب الافلين) فان الافل هو الذى يغيب تاره ويظهر تاره فليس هو قائما على عبده

---

(١) تفسير ابن كثير حـ: ٢ ص ١٥١

(٢) المصدر السابق حـ: ٢ ص: ١٥١

(٣) مجموع فتاوى شيخ الاسلام حـ: ٦ ص: ٢٥٤

فى كل وقت والذين يعبدون ما سوى الله من الكواكب ونحوها ويتخذونها أوثانا يكونون فى وقت البزوغ طالبين سائلين وفى وقت الافول لا يحصل مقصودهم ولا مرادهم فبين ما فى الإلهة التى تعبد من دون الله من النقص وبين ما لربه فاطر السموات والارض من الكمال بأنه الخالق) (١) .

فقوله (فبين ما فى الالهة التى تعبد من دون الله من نقص) يدل على أن ابن تيميه يرى أن ابراهيم كان فى مقام بيان ومناظره ويدل على ذلك أيضا اخباره عن ربه بانه يحى ويميت ثم بعد ذلك بين العيب التى فى الالهه الاخرى (لا أحب الافلين) (٢) كل ذلك يدل على أن المقام مقام مناظره وأنه عليه السلام كان يقرر توحيد الالهيه لا توحيد الربوبيه حيث كان معلوما لابراهيم وقومه الذين يعرفون الله ولكنهم يشركون معه آلهه آخرى .

---

(١) مجموع الفتاوى ج : ١٦ ص: ٢٠٧

(٢) سورة الانعام ايه ٧٦

المبحـــث الثانـــــي

شبهه وقوع الشك من ابراهيم عليه السلام ودحضها

الايات الـــتى يتوهـــم منها ذلـــك :ـ

قال تعالى " وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لـــم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعـــل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم " (١) .

---

(١) سورة البقرة ايـــة (٢٦٠) ..

توطـــــــئة :ـ
==========

اراد ابراهيم أن يزداد يقينا بالله عز وجل فطلب من ربه أن يريه كيفيـــة احياء الموتى فالانسان بطبيعة الحال اذا انكشف له غيب يؤمن به ازداد بــــه يقينـــا ومثله الشخص الذى يؤمن بوجود دولة يقال لها امريكا فاذا جاء شخص مـن امريكا قام يسألة كيف امريكا /وكيف شوارعها وسؤاله عن الكيفيه لا يدل على انه لا يؤ مـــن بوجودهـــا بل هو دليل الايـــمان •

ولما كان السؤال عن الكيفية في بعض الحالات يدل على الانكار مثل ان يدعى شخص انه يستطيع ان يعمل عملا فنقول له أرنى كيف تعملة ؟ اى انـــك تنكـــر قدرتة على العمل لذلك فالله سبحانه وتعالى وهو يعلم عن حال ابراهيم سألـــه اولم تؤمن ليجيـــب بالجواب الذى ينفي عنه احتمال عدم الايمان فقال بلى ولكـن ليطمئـــن قلـــبى •

لذلك فهنالك شبهه أن أبراهيم يشك في قدرة الله لذلك سأعرض لاراء العلماء مبينا الصواب منها والله المـــوفق ••

موقف المعتزلة :ـ

قال القاضي عبد الجبار وربما قيل ان قوله " واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى " (١) يدل على جواز الشك على الانبياء في مثل ذلك وجوابنا ان طلبه لذلك أن يرية ذلك عيانا من غير تدريج كما يخلق تعالى الحي من النطفة والعلقه لا انه لم يعرف الله فطلب زيادة شرح الصدر ولذلك قال " بلى ولكن ليطمئن قلبي " (٢)

وأما الزمخشري (٣) فقد قسم العلم الى قسمين :ـ

(١) علم الاستدلال وهذا يجوز معه الشك.

(٢) علم ضروري لا مجال فيه للشك.

وهو يرى أن ابراهيم أراد أن يضم بين العلمين فيطمئن القلب بذلك فلا يكون هنالك مجال للشك.

قلت: وكلام الزمخشري غير مسلم فعلم ابراهيم عليه السلام سواء كان علم استدلال أوغيره لم يكن فيه مجال للشك وهو لم يطلب ذلك ليضم بين العلمين وكما قلت سابقا فان احدنا يؤمن بوجود دولة يقال لها امريكا وان لم

---

(١) سورة البقرة اية (٢٦٠).

(٢) تنزية القرآن عن المطاعن ص: ٥١.

(٣) الكشاف جـ : ١ ص: ٣٩٢.

يزهـا ولكن ان رأها ازداد ايمانا بها فلا نقول أن ايمانه الاول فيه مجال للشك والله أعلـــم .

كما أن الشيخ احمد قد تعقب الزمخشرى فى كتابه الانصاف فقال " .. أما سؤال الخليل عليه السلام بقوله كيف تحيى الموتى فليس عن شك والعياذ باللـــه فى قدرة الله" (١)

---

(١) الانصاف فيما تضمنه الكشاف من اعتزال جـ: ١ ص: ٣٩١

موقف الاشاعرة :-

قال صاحب المواقف كلاما يقرب من كلام الزمخشرى ،

أى انه جعل اليقين نوعين علم اليقين وعين اليقين وبين أن للوهم با حداث الوساوس والدغادغ سلطانا على القلب عند علم اليقين ..

وأما عين اليقين فليس عنده للوهم سلطان على القلب .

وهذا غير مسلم كما بينا عندما تكلمنا عن رأى الزمخشرى وذكر صاحب المواقف قولا آخر عزاه الى ابن عباس وهو ان الله وعد أن يبعث نبيا يحى بدعائه الموتى فأراد أن يعلم أهو هو ؟ (١) .

أما الرازى فقد أجاب نافيا وقوع الشك من ابراهيم عليه السلام بأوجه فاسده لا دليل عليها وسنعرض بعضها ونناقشها .

الوجه الاول " قال : يحتمل أن يقال وقع ذلك قبل النبوة) (٢)

قلت : وهذا غلط بين لأن غير النبى كيف يكلم الله عز وجل ويخاطبه ؟ فنبوته عليه السلام حال السؤال لا شك فيها ..

---

(١) المواقف ص : ٣٦٢

(٢) عصمة الأنبياء للرازى ص : ٣٨

" الوجه الثانـــــى " : يحتمل أن يقال وقع ذلك عند وصول الوحى اليــــه
===============

فــأن القوم كما يحتاجون الى المعجزة فى معرفـــه
رسالته فالرسول لا بد له أيضا من معجز ليعرف بــــه
نبوة نفسة فقوله " أو لم تؤمن " معناه أو لم تؤمـــــن
بأنك رسول الله ؟ " قال بلى ولكن ليطمئن قلبى " .

على كونى رسولا من قبلك لا من قبل الشيطان " (١)

ومعنى كلامه هذا ان ابراهيم عليه السلام طلب من الله أن يريه كيف يحى الموتـى لا لانه شاك في قدرة الله ولكن لانه شاك في المرسل هل الذي أرسله هو اللـــه ام الشيطان وهذا كلام لا يخفى قبحه على من عنده ذرة علم كأنه يقول لملـــك انت الشيطان ولست ربى وهل يعقل ان يشك ابراهيم عليه السلام في ارســـال اللـــه له ؟ .

فوقع الرازى بتكلفة فيما هو اقبـــح مما اراد ان يفـــر منه واتماما للفائـده انقل كلاما مفيدا لابن العربى يزيل اللبس فى القضية التى اثارها الرازى يقـــول ابن العربى " ان النبى اذا ارسل الله اليه الملك بوحية فانه يخلق له العلــم به حتى يتحقق أنـــه رسول من عنده ولو لا ذلك لما صحت الرسالة ولا ثبتـــت النبـــوة

---

(١) عصمة الأنبياء للرازى ص: ٣٩ كما ذكره صاحبا التفسير الموضوعى جوابا على الشبهه ص: ١٣٧

فاذا خلــق الله له العلم به تميــز عنده من غيره وثبت اليقين واستقام سبيل الدين ولو كان النبى اذا شافهـــه الملك بالوحى لا يدرى أملك هو أم انســـان أم صورة مخالفة لهـــذه الأجناس القت عليه كلاما وبلغت اليه قولا - لم يصـــح له أن يقول انه من عند الله ولا ثبت عندنا أمر اللــــه فهذه سبيل منيمة وحالــة متحققة لا بد منهـــا ولا خلاف في المنقول ولا المعقول فيها " (١) •

فابن العربى لم يقل ان النبى يحتاج الى معجزة لاثبات نبوته ومما يـــرد على الرازى قوله قول ابراهيم عليه السلام " رب أرنى ..." مما يدل انه لـــم يشك في ان الذى يخاطبه ربه •

(٣) انه عليه السلام لما امر بذبح الولد ضعف قلبه فكانــه قال آلهى امرتـــنى باماتـــة الحى وهو على شاق فان اكرمتنى باحياء الميت قوى قلبى فاقـــدر حينئـــذ على ذلك التكليف فقوله (ولكن ليطمئن قلبى) المراد ليطمئـن قلبى على قربى منك واختصاص منك • فاقوى بوجدان ذلك سبب الاكـــرام على امتثال ذلك الالـــتزام • (٢) •

قلـــت : ما الدليل على التلازم بين الأمرين، وما يدرى الــــرازى ان ابراهيم عليه السلام قال ذلك ؟ وهل مثل ذلك يقال بالاجتهاد؟

---

(١) احكـــام القـــرآن ج : ٣ ص : ١٣٠٠ •

(٢) عصمـــة الانبياء للرازى ص : ٣٩ ••

ودعوى ان ابراهيم عليه السلام ضعف عن الامر الالهى تنقيص لابراهيم فابراهيم لم يضعف بل بادر وابنه الذبيح ايضا لم يضعف (يأبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين " (١) •

(٤) أن الخصم لما قال لا براهيم عليه السلام : انت تزعم أن ربك يحيى ويميت فاسأله أن يحى لنا ميتا و الا قتلتك فقال ابراهيم عليه السلام : " أرنى كيف تحى الموتى " ويكون معنى قوله (ولكن ليطمئن قلبى " زوال الخوف والامن من القتل • (٢)

قلت : أين الدليل على ذلك فهذا لا يقال بالرأى ؟

(٥) ان المراد منه طلب الرؤية في الدنيا وهو الذى سأل موسى عليه السلام بقوله " ارنى انظر اليك " (٣) وسأله محمد أرنى الاشياء كما هو (٤) الا انه راعى الأدب فعبر بالمسبب عن السبب " (٥)

---

(١) سورة الصافات اية (١٠٢) •
(٢) عصمة الانبياء للرازى ص : ٤٠ •
(٣) سورة الاعراف اية (١٤٣) •

(٤) هذا حديث لا أصل له ••
(٥) عصمة الانبياء للرازى ص : ٤١

قلـــت : هذا كلام لا دليل عليه ثم هو بعيد فلا علاقة بين النظرويـــن طلب الاحياء وان زعم الرازى ان هناك ثمة علاقه .

والحـــاصل أن جميع الاوجه التى ذكرها فاسدة جدا وافسد منها قولـــــه " وبالجمله قوله " ولكن ليطمئن قلبى " غير متعلق فى الاية على شئ معيـــن فلك ان تصرفه الى اى شئ شئت ســـوى الايمان "(١)

فهو بهـــذا يجعل كتاب الله عرضه للعبث فكل من اراد أن يفسر فليفسـر بلا قيد ولا شرط الا أن يراعـــى شرط الرازى ..

---

(١) عصمـــة الانبياء للـــرازى ص : ٤٢ ..
كما ذكره ذلك صاحبا التفسير الموضوعى د . احمد الكومى مد . محمد القاسم
انظر ص : ١٣٧

موقف السلف :ـ

زعم الطبري أن بعض سلفنا الصالح يرى أن سؤال ابراهيم عليه السلام ربه كان عن شك في قدرة الله علي احياء الموتى وهذه دعوى خطيره بناها على فهم خاطئ .

ذكر من اولئك العلماء :ـ

(١) ابن عباس رضى الله عنهما وبنى ذلك الفهم على قوله رضي الله عنه " ما فى القرآن أيه (٢) ـ ارجى عندى منها "

قلت : لا يفهم من هذه العبارة ان ابن عباس يعتقد ان ابراهيم عليه السلام كان يشك في قدرة الله حاشاه من ذلك .

ولذلك قال ابن عطية : أما قول ابن عباس " هى أرجى أية نص حيث أن فيها الادلال على الله تعالى وسؤال الاحياء في الدنيا وليست مظنة ذلك . ويجوز أن يقول هى ارجى آيه لقوله " أو لم تؤمن " اى ان الايمان كاف لا يحتاج معه الى تنقير وبحث (٣)

---

(١) يعني قوله تعالى " رب أرني كيف تحي الموتى " .
(٢) تفسير الطبري ج : ٣ ص : ٤٩ ـ ٥٠ .
(٣) تفسير القرطبي ج : ٣ ص : ٢٩٨ .

قلت: وهـــذا هو الفهم الصحيح الذى يظن بسلفنا الصالح فالله سبحانـــــه وتعالى عندما طلبــه ابراهيم عليه السلام الاحياء أجابه لطلبه مما يدل ان اللــه سبحانه وتعالى يجيب الدعاء فلذلك كانت أرجى آية فطلبه كان غريبا قليل الحدوث في الدنيا .

ومن الذين زعم الطبرى انهم يرون أن ابراهيم عليه السلام كان يشـــــك في قدرة الله على الاحياء عطاء بن رباح وذلك أن عطاء سئل عن الايـــــــة " وإذ قال ابراهيـــم ... "

فقال : دخل قلب ابراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس فقال " رب أرنى كيــف تحى الموتــــى ... " (١)

قلت لماذا يفسر الطبرى قول عطاء هذا على أن الذى دخل قلب ابراهيم عليـــه السلام هو الشك وهو الذى يدخل قلوب بعض الناس اليس هنالك اشياء تدخـــل قلوب بعض الناس غير الشك مثل حب الاستطلاع والمعاينة والتطلع الى معرفـــه الغيـــب ؟ .

فتفسير الطبرى لكلام السلف غيــــر صحيح ومردود

ثم ان الطبرى تبنـــى هذا القول وزعم ان ابراهيم عليه السلام كـــــان شاكا فقال " وان تكون مسألته ربه ما سأله أن يريه من احياء الموتى لعارض مـــن الشيطان عرض في قلبه " (٢)

---

(١) تفسير الطبرى ج : ٣ ص ٤٩ .

(٢) تفسير الطبرى ج : ٣ ص : ٥٠ .

ولقد بنى رأيه هذا لقول النبى " صلي الله عليه وسلم " " نحن أحـــق بالشك من ابراهيـــم " (١) .

وهذا فهم باطل وخطير فالنبى " صلي الله عليه وسلم " معصوم من الشـــك فى قدرة الله باجماع العلماء وكذلك ابراهيم وكل الانبياء وليس معنى الحديـــث ما توهم الطبرى بل معناه ما قاله ابن عطية " واما قول النبى " صلي الله عليـــه وسلـــم " نحن أحق بالشك من ابراهيم " فمعناه لو كان شاكا لكنا نحن أحـــق به ونحن لا نشك فابراهيـــم عليه السلام أحرى الا يشـــك .. ولأن ابراهيم يقول " .. ربى الذى يحى ويميـــت " .

فالشك بعيد كـــل البعـــد عنه .

وقال أيضا : " واذا تأملت سؤاله عليه السلام وسائر الفاظ الأية لـــم تعطشكا وذلك أن الاستفهام بكيف انما هو سؤال عن حالة شئ موجـــود متقرر الوجـــود عند السائل والمسؤول " (٢)

وابـــن قتيبـــة " رضى الله عنه " لم يفهم ما فهمة الطبرى بل قال : " فامـــا قوله أنا أحـــق بالشك من أبى ابراهيم عليه السلام فانه لما نزل عليه " واذ قـــال ابراهيم رب أرنى كيف تحـــى الموتى قل أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى " (٣)

---

(١) صحيح البخارى جـ : ٣ ص : ١٠٨ تفسير سورة البقرة .
(٢) القرطبـــــى جـ : ٣ ص : ٢٩٨ ..
(٣) البقـــرة اية (٢٦٠) ..

قال قوم سمعوا الاية شك ابراهيم " عليه السلام " ولم يشك نبينا " صلى اللـــه عليه وسلم فقال أنا أحق بالشك من أبي ابراهيم عليه السلام تواضعا منه وتقديمـــا لا براهيـــم على نفسه يريد انا لم نشك ونحن دونه فكيف يشك هـــو "

ثم بيـــن " رضى الله عنه " التأويل الصحيح للآية فقال : " وتأويـــل قول ابراهيم عليه السلام ولكن ليطمئن قلبي أى يطمئن بيقين النظـــر واليقيـــن جنسان أحدهما يقين السمع والآخر يقين البصر ويقين البصر أعلى اليقينين ولذلك قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) " ليس المخبر كالمعاين "[1] حين ذكـــر قوم موسى وعكوفهم على العجل •• قال اعلمه الله تعالى أن قومة عبدوا العجـل فلم يلق الالـــواح فلما عاينهم عاكفين غضب وألقى الالواح حتى انكسرت وكذلك المؤمنون بالقيامة والبعث والجنة والنار مستيقنون أن ذلك كله حق وهم فـــى القيامة عند النظر والعيان أعلى يقينـــا فاراد ابراهيم عليه السلام أن يطمئـــن قلبـــه بالنظر الذى هو اعلى اليقينيـــن " (٢) •

---

(١) رواه الامام احمد في مسنـــد بلفظ ليـــس الـخبر كالمعاينـــة
ج : ١ ص : ٢١٥ ـ ٢٧١•
مسنـــد الامــــام احمد طبع المكتب الاسلامى ـ بيروت •

(٢) تأويـــل مختلف الحديث ص : ٦٦•

المبحث الثالث

وقوع التورية من ابراهيم عليه السلام

الآيات التي تحدثت عن ذلك :ـ

" وان من شيعته لابراهيم * اذ جاء ربه بقلب سليم * اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون * أئفكا آلهة دون الله تريدون * فما ظنكم برب العالمين فنظر نظرة في النجوم * فقال انى سقيم * فتولوا عنه مدبرين ". (١)

وقال تعالى " اذ قال لأبية وقومة ما هذه التماثيل التى انتم لها عاكفون) الى قوله تعالى " وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين * فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين * قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون * قالوا ءأنت فعلت هذا بالهتنا يابراهيم * قال بل فعله كبيرهم هذا فسألوهم ان كانوا ينطقون * فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون * ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون * قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم * أف لكم لما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون " (٢)

---

(١) سورة الصافات اية (٨٢ ـ ٩٠).

(٢) سورة الانبياء اية (٥٧ ـ ٦٧).

وقال القرطبى : " ولا يجوز على الأنبياء صلوات الله عليهم مثل هـــذا الشك فانـــه كفـــر " (١) .

وكذلك ابن حـــزم لم يفهم من الحديث الا نفـــى الشك عن نبينـــا محمـــد " صلى الله عليه وسلم " وابراهيم عليه السلام . فالحديث عنده حجة للذيـــــن ينفـــون الشك لا عليهم فابراهيم عليه السلام شاهد من القدرة ما لم يشاهده غيـــره فلو كان السؤال من ابراهيم عليه السلام شكا لكان غيره الذى لم يشاهد ما شاهـــده ابراهيم أولى بالشـــك . (٢)

وقال ابن كثير : " بعد أن ذكر الحديث السابق " فليس المراد بالشـــك ههنا ما قد يفهم من لا علم عنده بلاخلاف " (٣) .

ويرى ابن كثير أن ابراهيم عليه السلام سأل ربه " لأنه أحب أن يترقـــى من علم اليقيـــن الى عين اليقيـــن وأن يرى ذلك مشاهده . " (٤)

ولم يقل ابن كثير ان علم اليقيـــن فيه مجال للشك او مجال للوهم كقـــول غيـــره ..

---

(١) تفسير القرطبى ج : ٣ ص : ٢٩٩ .

(٢) انظر الفصل لابن حـــزم ج : ٤ ص : ٨ .

(٣) تفسير ابن كثيـــر ج : ١ ص : ٣١٥ .

(٤) تفسير ابن كثيـــر ج : ١ ص : ٣١٥ .

تـــــوطئة :ـ

==========

في هذه الايات نموذج آخر من أساليب ابراهيم الحكيمه في الدعوة الى الله ، فبعد محاولات ابراهيم المتكررة في اقنـــاع قومة بالحجة والموعظة الحسنة لكي يعدلوا عن عبادة الأصنام مبينا لهم انها لا تسمع ولا تبصر وأنها لا تضر ولا تنفع لم تجـــد هذه المحاولات معهم شيئـــا بل كانت الخرافة مسيطرة على قلوبهم فلم يعـــو ما يقول ولم يفهموا ما يريـــد .

لذلك عمد عليه السلام الى عمل مادى يـقرع قلوبهم ويفهمهم ما يريـــد بالقوة فيجعل الحجة تنطق بها أفواهـهـــم .

فاعتـــذ رامرعن الذهاب معهم فعمد الى اصنامهم تحطيما وتكسيرا ومبالغـــة منه بالسخرية بهم علق فأسا على الصنم الكبير "١" فلما رجعوا وجدوا أصنامهـــم محطمة فسألوا عن الفاعل وشكوا في ابراهيم فاتوا به لتحقيق معه " أأنت فعلتـــا هذا بالهتنا يابراهيم استغل ابراهيم عليه السلام الفرصة ليحسسهم أن هـــذه الأصنام جمادات لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا فقال ساخرا متهكمـــا " بل فعلـــه كبيرهم هذا " لعل هذا الكبير أراد أن ينفرد بالعبادة وحده فعمد الى ما عمد .

خجلوا من أنفسهم لأن أجابة ابراهيم كانت ســاخرة " ثم نكسوا على رؤوسهـــم)

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ج : ٣ ص : ١٨٢ ..

وأجابوا خجليـــــن " لقد علمت ما هؤلاء ينطقون " هذا الجواب هو بغيـــة ابراهيم عليه السلام فعند ذلك بين لهم بطلان هذه المعبودات وأنها لا تستحـــق العبادة لأنهـــا لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا فكيف تملك لغيرها يا لها من حجـــة دامغه واسلوب ما أقواه ولكن القوم عندما غلبتهم الحجة وقهرهم المنطق عمدوا الـــى اسلوب الضعفاء (قالوا حرقوة وانصروا الهتكم ان كنتم فاعليـــن)" (١) .

---

(١) سورة الانبياء ايـــة (٦٨) ..

تصـــوير الشبهـــة :ـ

قال بعضهم ان ابراهيم كذب في الايات السابقة

قولـــه : " انى سقيـــم "

والثانـــى قوله " بل فعله كبيرهم هذا " (١)

---

(١) عصمة الانبياء للرازى ص : ٣٢ ـ ٣٣ .

الفصل في الملل والاهواء والنـحل ج : ٤ ص : ٦ .

تنزية القرآن عن المطاعـــن ص : ٢٦٥ ..

موقف المعتزله :ـ

قال القاضى عبد الجبار بعد أن صور الشبهة : " وجوابنا أنه (صلى الله عليه وسلم) أورد ذلك ـ أى قوله (بل فعله كبيرهم) ـ على وجه التوبيخ لهم لينبههم على أن الذى تعبده القوم لا يصح منه نفع ولا ضر ولذلك قال بعده (فاسألوهم ان كانوا ينطقون) قال " ثم نكسوا على رؤوسهم " ثم قال بعده (افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم اف لكم " وكل ذلك يدل علي ما قلناه" (١) •

ومعنى كلامة أن ابراهيم لم يقصد حقيقة الكذب خوفا منهم ووجلا كما يفعل الكاذب وانما قال ذلك توبيخا لهم وسخريه بهم كما بيناه سابقا •

وأما قوله (انى سقيم) فأجاب القاضى عبد الجبار انه يجوز كان فيه بعض العلل عندما قال ذلك ويحتمل أنه يريد سأسقم كقوله تعالى " انك ميت " أى ستموت وكقوله " انى ارانى أعصر خمرا " (٢)

وذكر الزمخشرى عدة أجوبة :ـ

١ ـ ان الذى قاله ابراهيم من معاريض الكلام فقوله (انى سقيم) يعنى كل صحيح في عنقه الموت سقيم على قول الأعرابى اصحيح من الموت فى عنقة؟ (٣)

---

(١) تنزية القرآن عن المطاعن ص : ٢٦٥•
(٢) المصدر السابق ص : ٣٥٢•
(٣) الكشاف ج : ٣ ص : ٣٤٤••

وقوله (بـــل فعله كبيرهـــــم)

أجاب الزمخشري بعـــدة أوجـــــة :ـ

(١) انه من معاريض الكلام أي انه أراد أن يثبت الفعل لنفسة بطريق فيــــه بســـخرية واستهزاء •

(٢) يجوز أن يكون قال ذلك لأن الأصنام غاظته وكان غيظة من اكبرها أشــــد فأسند الفعل اليه لأن الفعل كما يسند الى فاعلة يسند الى الحامل اليه •

(٣) يجوز أن يكون حكاية لما يقود الى تجويزة مذهبهم والمعنى ما تنكـــرون ان يفعلة كبيرهم فان في مقدور الاله أن يفعل ذلك وأشد منه •

(٤) جاء في قراءة محمد بن السميفع (فعله) أي لعله اى فلعـــل الفاعـــل كبيرهـــم • (١)

والجواب الأول للزمخشري هو أفضـــل الاجوبة والباقية لا تخلو من تكلـــف وأما قراءة محمد بن السميفع فلم أجده مع القراء العشرة ولا غيرهم ••

---

(١) الكشاف جـ : ٢ ص ٥٧٧

مـــوقف الاشاعرة :ـــ

قوله تعالى " بل فعله كبيرهم "

اجاب الرازى من الاشاعرة عنها باجوبة متكلفـــة (١) !

(١) كناية عن غير مذكور اى فعلة (وكبيرهـــم هذا) ابتداء كلام وروى عـــن الكسائى انه كان يقف عند قوله تعالى (بل فعله) ثم يبدى (كبيرهم هذا) .

(٢) انه يجوز أن يكون فيه وقف عند قوله تعالى (كبيرهم) ثم يبتدى فيقـــول (هذا فاسألوهم) والمعنى بل فعلة كبيرهم وعنى نفسه لأن الانسان أكبـــر من كل صنـــم .

(٣) أن يكون في الكلام تقديم وتأخير كانه قال : بل كبيرهم هذا ان كانوا ينطقون فاسألوهم فيكون اضافة الفعل الى كبيرهم مشروط بكونهم ناطقين فلمـــا لم يكونوا ناطقين امتنع أن يكونوا فاعليـــن .

(٤) أنه ذكر الزاما على قولهم لأنه لما كان هو الاله الاكبر فكسر خدمة المقربيـــن لديه لا يصدر الا عنه وهذه الاجوبة جمله فيها تكلف ظاهر واخراج للمعـــنى عن معناه الاصلى الحقيقى بتأويلات باردة .

ولقد اشتد الرازى على من يعتبر الخليل عليه السلام كذب لمصلحة وأن الكذب

---

(١) عصمة الانبياء للـــرازى ص : ٣٢ .

لمصلحة وان الكذب لمصلحة جائز لذلك فهو يطعن في حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) " لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات " (١) .

وكذلك اعتذار ابراهيم عليه السلام من الشفاعة يوم القيامة بسبب تلك الكذبات .

قال الرازي : " لان يضاف الكذب الى روايته أولى من أن يضاف الى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

وأنه لو جاز أن يكذبوا لمصلحة ... فنجوز هذا الاحتمال في كل ما اخبروا عنه .. وذلك يبطل الوثوق بالشرائع " (٢)

قلت : هذا الاحتمال ممتنع لقول النبي (صلى الله عليه وسلم) (لم يكذب ابراهيم عليه السلام الا ثلاث كذبات) (٣) فنفى الكذب وحصره في هذه الثلاث .

ثم ان ابراهيم عليه السلام لم يكن قصده الكذب وما قال ذلك ليسلم من عقاب بل أظهر مراده بما لا يدع أي مجال لاحتمال أن ينسحب في جميع أقواله .

---

(١) رواه البخاري
انظر فتح الباري كتاب الانبياء جـ: ٦ ص: ٣٨٨

(٢) التفسير الكبير للرازي جـ: ٢٢ ص : ١٨٦

(٣) فتح الباري كتاب الانبياء جـ: ٦ ص: ٣٨٨

وان نحن كذبنا حديث الرسول (صلي الله عليه وسلم) مع أنه صحيح مروى في الصحيحين فان بعض الوقائع التى ذكرها الحديث قد جاءت في القرآن .

ومحاولة الرازى صرف القرآن عن معناه الاصلى التى تدل عليه تلك الآية محاولة فاشلة لأن القرآن نزل بلسان عربى مبين وليس فيه تلك التعقيدات التى تظهر عندما تقرأ أجوبة الرازى فهو تارة يجعل الفاعل محذوفاً " بل فعلة من فعله " فما معنى الآية " كبيرهم هذا فاسألوهم " الا يعلمون أن هذا كبيرهم ولماذا وضع القدوم في يد كبيرهم ؟ (١) ولماذا يسألونهم وعن اى شىء يسألون ؟

وأما قولة أنه قصد بقوله كبيرهم نفسة فهذا بعيد جدا لأنه لا يمكن أن يجعل نفسه فردا من الاصنام التى هى موضع مقت الله " انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم " (٢) نعم كان يستقيم الكلام مع بعد لو قال بل فعله الأكبر

وأبعد منه الجواب الذى يجعل فيه تقديم وتأخير وقد رده الطبرى ايضا في تفسيره قال (٣) : وقد زعم من لا يصدق بالاثار ولا يقبل من الأخبار الا ما استفاض به النقل من العوام أن معنى قوله " بل فعله كبيرهم هذا " انما هو : بل فعله كبيرهم هذا ان كانوا ينطقون فاسألوهم وهذا قول خلاف ما تظاهرت به الاخبار عن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أن ابراهيم

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ج : ٣ ص : ١٨٢ ..
(٢) الانبياء اية (٩٨) .
(٣) تفسير الطبرى ج : ١٧ ص : ٤١ ..

لـــم يكذب الا ثلاث كذبات كلها في الله ٠٠٠) (١)

وأما قوله تعالى (انى سقيـــم) فاجاب الرازى بمثل ما جاب القاضـــــى عبد الجبار من المعتزلة ٠ (٢)

ورجح ابن حجر انه قال ذلك توبيخا لقومة و متهكمـــا بهم قال "٠٠ وهذا قول الاكثر انه قال توبيخا لقومه أو تهكما بهم وهو المعتمد ٠٠) (٣) ٠

---

(١) تفسير الطبرى ج : ١٧ ص: ٤١ ٠

(٢) عصمـــة الانبيـــاء ص: ٣٤ ٠

(٣) فتح البارى بشرح صحيح الامام البخارى ج : ٦ ص: ٣٩١ ٠٠

موقف السلف :

يرى ابن جرير الطبرى أن معنى الاية هو الظاهر منها فقوله (بل فعلـه كبيرهم) على ظاهره وقال ذلك مع أن الحقيقة لم يفعلة كبيرهم توبيخا لقومه واحتجاجا عليهم

واستند ابن جرير على هذا التفسير لقول النبى (صلى الله عليه وسلم) (ان ابراهيم لم يكذب الا ثلاث كذبات كلها فى الله ٠٠)

ويرى أن الله أذن له بذلك قال : " وغير مستحيل ان يكون الله تعالى ذكره أذن لخليلة في ذلك ـ أى بقوله بل فعله ـ ليقرع قومه و يحتج به عليهم ٠٠" (١)

أقول : كون أن الله اذن له بعيد اذ لو كان الأمر كذلك لما اعتذر من قبول الشفاعة يوم القيامة ٠

وأما قوله تعالى حكاية عن ابراهيم (انى سقيم)

فيقول ابن كثير " ٠٠ ولكن ليس هذا من باب الكذب الحقيقي الذى يذم فاعله حاشا وكلا ولما وانما اطلق الكذب على هذا تجوزا وانما هو من المعاريض في

---

(١) تفسير الطبرى ج : ١٧ ص : ٤١ ٠٠

الكـــلام لمقصـــد شرعى ديـــنى "(١)

وما قاله ابن كثير نفيس جـــدا •

وأذا كان بعض العلماء يستوحش من صدور الكذب من ابراهيم عليه السلام فنقول ان هذا ليس من الكذب المشين • بل كما وصفه النبى (صلى الله عليـــه وسلم)"ثنتين منهـــن فى ذات الله " (٢) فهو استخدم ذلك في مجال الدعوة عـــن اجتهـــاد •

---

(١) تفسير ابن كثيـــر ج : ٤ ص : ١٣ ••

(٢) فتح البـــارى ج : ٦ ص : ٢٨٨ ••

الفصـــل الرابـــــع

ما جاء عن يوســف عليه الســـــــلام

المبحـــث الاول : الايات التى تتحدث عن وقوع الـهم من يوسف عليــه الســـلام

تـوطئـــــة

تـصوير الشبهـــــة •

المبحـــث الثانى : موقـف المعتزلـــة

المبحـــث الثالث : موقف الاشاعـــرة

المبحـــث الرابع : موقف السلف

المبحث الاول

الايات التي تتحدث عن وقوع السهم منه عليه السلام

قال تعالى (ولما بلغ اشدة آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين وراودته التى هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربى أحسن مثواى انه لا يفلح الظالمون * ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين) (١) ٠

توطئة :ــ

هذه الايات تتحدث عن لون من الوان الطهر التى ينبغى ان تكون حافزا لكل شاب مسلم لكى يقتدى بنبى الله يوسف في عفته وطهرة وابتعادة عن الفحشاء مع توفر كل الاسباب الداعية الى ذلك ٠ فلقد عاش رقيقا لدى عزيز مصر ثم ابتلى بامرأة العزيز التى عشقته وهامت بعشقه فكانت تحاول مرارا ان يرتكب يوسف عليه السلام الفاحشة معها ٠

وها هى تغلق الابواب لكى توفر اسباب الامان له ثم تدعوه هى وجعلت نفسها الطالبة وهى امرأة العزيز وهو المطلوب وهو الرقيق المستعبد ومع هذا يمتنع ويقول

---

(١) يوسف ٢٢ ــ ٢٤٠

معاذ الله لم تكبح جماح شهوتها بل ارادت ان تتعلق به ولكن الله عصمة ففر هاربا وشق قميصة من دبر فاثبت الله براءته بشهادة شاهد من أهلهـــا ولكنها مـــع هذا لم ترعو بل هددت وتوعدت ان لم يفعل معها لتسجننه ولكن الوعيد والتهديد لم يجد مع يوسف عليه السلام شيئا فقال " رب السجن احب الى مما يدعوننـــى اليه " (١)

---

(١) ســورة يوسف اية (٣٣)

تصويـــر الشبهه :ـ

وقوع الهـــم من يوسف عليه السلام لفعل الفاحشة وذلك لقوله تعالـــــــى " ولقد همت به وهـــم بها لولا أن رأى برهان ربه " ويفسرون همه كمـــا يفسرون همها بل قال بعضهم انه جلس بين شعابها الاربع (١) .

---

(١) أمالى السيد المرتضى ج: ١ ص: ١٢٥ .
الكشاف للزمخشرى ج: ٢ ص: ٣١١ ـ ٣١٢ ..

المبحث الثانـــــي

موقف المعـــــتزلة :ـ

أجاب المعتزلة عـــن هذه الآية بأجوبـــة :ـ

١ ـ مـــا اختار أبو علي الجبائي وهو أن يكون معنى هم بها اشتهاها ومـال طبعـــة الى ما دعته اليه وقد يجوز أن يسمى بالشهوه في مجاز اللغـــه هما كما يقول القائل فيما لا يشتهية ليس هذا من همي وهذا اهم الاشيـاء الي ولا قبح في الشهوة لانها من فعل الله تعالى فيه وانما يتعلق القبيـــح بتناول المشتهى ٠(١)

٢ ـ قوله تعالى " ولقد همت به وهم بها " علق الهـــمهما والذات لا يجوز ا ان تـراد أو يعزم عليهـــا فلا بد من تقدير محذوف فيتعلق همـــه عليه السلام بضربها أو دفعها عن نفسه ٠

٣ ـ ان يحمل الكلام على التقديم والتأخيـــر ويكون تلخيصة ولقد همت بـــه ولولا أن رأى برهان ربه لهـــم بها واتى بشاهد على جواز التقديم :ـ

---

(١) الامالي للسيد المرتضى جـ : ١ ص : ١٢٨ ٠٠

فلا تدعني قومي ليوم كريهة ** لئن لم اعجل ضربة او اعجل

فقدم جواب الشرط في البيت (١) وقال تعالى (لولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك) والهم لم يقع لمكان فضل الله ورحمته • (٢)

والزمخشري يفسر الهم بمعنيين :ـ

١ ـ الشهوة القوية لا العزيمة يقول " لو كان همه كهمها عن عزيمة لما مدحه الله بأنه من عبادة المخلصين " (٣)

٢ ـ المشارفة اى انه شارف ان يهم بها كما يقول الرجل قتلته لو لم أخف الله يريد مشارفه القتل •

ولا يرى الزمخشري التقديم والتأخير قال : " فان قلت لم جعلت جواب لولا محذوفا يدل عليه هم وهلا جعلته هو الجواب مقدما ؟

---

(١) قال الشارح السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي : (هذا الذي اعتمدة يخالف مذهب جمهور البصريين فان جواب الشرط عندهم لا يتقدم فاذا تقدم ما هو جواب في المعنى فهو دال عليه او ليس اياه وهو محذوف وذهب الكوفيون والمبرد وابو زيد الى جواز تقديمة ولا حذف عندهم في مثل ذلك) •
انظر المصدر السابق ج : ١ ص : ١٢٧ •

(٢) أمالي السيد المرتضى ج : ١ ص: ١٢٧ مجلس ٣٦ •• (٢) النساء ١١٣

(٣) الكشاف ج : ٢ ص : ٣١١ ••

قلت : لان لولا لا يتقدم عليها جوابها من قبل انه فى حكم الشرط وللشرط صدر الكلام " وهو مع ما فى حيزه ؟ من الجملتين مثل كلمة واحدة ولا يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض أما حذف بعضها اذا دل الدليل فجائز " (١) .

(١) الكشاف جـ ٢ ص ٢١١

المبحث الثالث

موقف الاشاعرة :ـ

أجاب الرازى (١) بأن الهم له أربعة معانى وهى باختصار :ـ

١ ـ العزم ٠

٢ ـ خطور الشىء بالبال ٠

٣ ـ المقارنه هم بكذا كاد يفعلة ٠

٤ ـ الشهوة وميل الطباع ٠

فان حمل المعنى على العزم فاجاب بوجهين وهما نفس ما ذكرناه عن المعتزلة :ـ

١ ـ تعليق الهم منه بدفعها عنه

تعليق الهم منها بالفاحشة ٠

دليل همها (وراودته التى هو في بيتها عن نفسة) (٢) واجماع المفسرين على انها ارادت منه الفاحشة ٠

ودليل عصمتة (حاش لله ما علمنا عليه من سوء) (٣) وغيرهما من الايات (٤)

---

(١) عصمة الانبياء للرازى ص: ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ٠٠

(٢) سورة يوسف اية (٢٣) (٣) سورة يوسف اية (٣١) ٠٠

الوجة الثانى التقديم والتأخير كما سبق (١) .

وأجاب القاضي عياض بأن مذهب كثيـــر من الفقهاء والمحدثين أن هـــم النفس لا يؤاخذ بـــه وليست سيئة لقول (رسول الله صلي الله عليه وسلم) عـــن ربــه " اذا هـــم عبدى بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة ..) فلا معصيـــة فى همـــه اذن . (٢)

وانكر ابن العربى على من يفسر الهم بانه حل سراويلـــه او جلس بيـــن شعابها ويجعل الهم فعل القلب وان الله لم يخبر عنه انه اتى فى جانب القصــــه فعلا بجارحه يقول : " وانما الذى كان منه الهم وهو فعل القلب فما لهؤلاء المفسرين لا يكادون يفقهون حديثا يقولون فعل ، وفعل ؟ والله انما قال هم بهـــــا لا اقالهم ولا أقالهم الله ولا عالهم " (٣)

---

(١) عصمة الانبياء للرازى ص : ٥٢
(٢) والشفـــا ء ج : ٢ ص : ٣٧٥ ولقد عزاه الى ابي عبيده ..
(٢) رواه مسلم ج : ١ ص : ٨٢
واحمد في مسنده ج : ١ ص : ٢٢٧ ـ
والبخارى : ج : ٤ ص : ١٢٧ بـــاب من هـــم بحسنة أو سيئـــة ..
(٣) احكـــام القرآن ج : ٣ ص : ١٠٨٢ ..

ولقد انتقد ابن قتيبة الرأى الذي ذكره بعض المعتزلة والأشاعرة وهو تعليق همها بفعل الفاحشة وتعليق همه بالفرار أو الضرب قال " وكتأولهم في قوله سبحانه " ولقد همت به وهم بها " انها همت بالمعصية وهم هو بالفرار منها وقال " بعضهم " وهم بضربها والله تعالى يقول " لولا أن رأى برهان ربه " افتراه اراد الفرار منها أو الضرب لها فلما رأى البرهان اقام عندها وأمسك عن ضربها ؟ " (١)

ولكن هذا الاعتراض اجيب عنه قال صاحب الامالى " فان قيل فاى معنى لقوله تعالى " لولا ان رأى برهان ربه " والدفع لها عن نفس طاعة لايصرف البرهان عنها .. قلنا : يمكن أن يكون الوجه في ذلك انه لما هم بدفعها وضربها اراه الله برهانا على انه ان اقدم على ما هم به اهلكه اهلها اى قتلوه أو انها تدعي عليه المراوده عن القبح تقذفه .. بانه دعاها اليه وأن ضربه لها كان لامتناعها فيظن به ذلك بعض من لا تأمل له ولا علم بأن مثله لا يجوز عليه فاخبر الله تعالى بأنه صرف البرهان عنه السوء والفحشاء يعنى بذلك القتل والمكروه الذين كان يوقعان به لأنهما يستحقان الوصف بذلك من حيث القبح اويعنى بالسوء والفحشاء نهم بذلك .)(٢)

---

(١) تأويل مشكل القرآن ص: ٤٠٤

شرحة ونشرة السيد احمد صقر الطبعة الثانية سنه ١٣٩٣ دار التراث ص.ب ١١٨٥ القاهرة.

(٢) امالى السيد المرتضى ص: ١٢٧ جـ: ١ المجلس ٣٩..

قلـــت : أما من قال انه هم بالفرار فغير صحيح لأن الفرار وقع ولم يمنعـــة البرهان من ذلك • وأما من قال انه هم بضربها أو دفعها وأن البرهان منعـــه من ذلك لئلا يقتل أو يقذف بالمراودة فغير مسلم لان القذف بالمراوده واراد ة الفاحشة قد حصل منها وقذفته بذلك فعدم الضرب لم يمنع وقوع ذلك • وأمـــا القتل ايضا لم يمنعه عدم الضرب كما توهم البعض فان المرأة كانت عاشقـــة ليوسف عليه السلام هائمة به ولم يكن للعاشق أن يقتل معشوقة مهما عمل •

ثم ظهر أن القوم لا غيرة عندهم فلو ضربها لما تخلصوا منه بالقتل ولمـــاذا يقتل ؟ ولماذا لا يباع ليستفيدوا من ثمنه ؟

ووقوع البيع لا يمنع منه البرهان لعله يتخلص من المرأة وكيدها لذا فانى ارى ان الجواب على اعتراض ابن قتيبة ليس بالقوى •

المبحث الرابع

موقف السلف :-

لقد أخطأ الطبري في تفسيره (للهم) هنا فاعتمد على روايات ليست صحيحة لانها تصطدم مع القرآن العظيم كما سنوضح ٠ فتبنى الرأي القائل ان يوسف عليه السلام باشر المرأة فجلس بين رجليها وقيل حل سرواله كما أنه يرد الاراء الاخرى فيقول " واما آخرون ممن خالف اقوال السلف وتأولوا القرآن بارائهم فانهم قالوا في ذلك اقوالا مختلفة " (١) ٠

قلت: عند كثير من العلماء هذا القول الخاطئ فهذا شيخ الاسلام ابن تيمية يقول : " والمقصود أن يوسف لم يفعل ذنبا ذكره الله عنه وهو سبحانه لا يذكر عن أحد من الانبياء ذنبا الا ذكر استغفاره منه ولم يذكر من يوسف استغفارا من هذه الكلمة كما لم يذكر عنه استغفارا من مقدمات الفاحشة فعلم أنه لم يفعل ذنبا في هذا ولا هذا بل هم هما تركة لله فاثيب عليه حسنه ٠٠ " (٢)

وقال ايضا منتقدا مازعمة الطبري (ويوسف لم يذكر الله تعالى عنه في

(١) تفسير الطبري ج : ١٢ ص : ١٨٥ ٠

(٢) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ج : ١٥ ص : ١١٧ ٠٠

القرآن أنه فعل مع المرأة ما يتوب منه ولكن بعض الناس يذكر انه وقع منه بعض مقدماتها مثل ما يذكرونه أنه حل السراويل وقعد منها مقعد الخاتن ونحو هذا ه وما ينقلونه في ذلك ليس هو عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ولا مستند لهم فيه الا النقل عن بعض أهل الكتاب وقد عرف كلام اليهود في الانبياء وغضهم منهم كما قالوا في سليمان ما قالوا وفي داود ما قالوا فلو لم يكن معنا ما يرد نقلهم لم نصدقهم فيما لم نعلم صدقهم فيه ه فكيف نصدقهم فيما دل القرآن على خلافه ..

والقرآن قد اخبر عن يوسف من الاستعصام والتقوى والصبر في هذه القضية مالم يذكر عن أحد نظيره ه فلو كان يوسف قد أذنب لكان إما مصرا واما تائبا ه والاصرار ممتنع فيقين أن يكون تائبا والله لم يذكر عنه توبة في هذا ولا استغفارا كما ذكر عن غيره من الانبياء فدل ذلك على أن ما فعله يوسف كان من الحسنات المبروره والمساعي المشكورة كما أخبر الله عنه بقوله تعالى " انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين " (١)

وما قاله شيخ الاسلام نفيس جدا .

أما ابن كثير فلم يجزم برد الروايات واكتفى بقوله والله اعلم (٢)

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ج : ١٥ ص : ١٤٨ ـ ١٤٩ .

(٢) تفسير ابن كثير ج : ٢ ص : ٤٧٤ ..

وقال ايضا شيخ الاسلام : " وأما قوله " ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه " فالهم اسم جنس تحتة " نوعان " كما قال الامام احمد الهم همان : هم خطرات وهم اصرار وقد ثبت في الصحيح عن النبى (صلي الله عليه وسلم) " ان العبد اذا هم بسيئة لم تكتب عليه واذا تركها لله كتبت له حسنه وان عملها كتبت له سيئة واحده " (١) وان تركها من غير ان يتركها لله لم تكتب له حسنه ولا تكتب عليه سيئة ويوسف (عليه الصلاة والسلام) هم هما تركه لله ولذلك صرف الله عنه السوء والفحشاء .

لا خلاصة . وذلك انما يكون اذا قام المقتضى للذنب وهو الهم وعارضه الاخلاص الموجب لا نصراف القلب عن الذنب لله ..

فيوسف عليه السلام لم يصدر منه الا حسنة يثاب عليها وقال تعالى (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) (٢)

وأما ما ينقل : من انه حل سراويله وجلس مجلس الرجل من المرأة ، وانه رأى صورة يعقوب عاضا على يده وامثال ذلك فكله مما لم يخبر الله به ولا رسوله ، وما لم يكن كذلك فانما هو مأخوذ عن اليهود الذين هم من اعظم الناس كذبا على الانبياء وقدحا فيهم وكل من نقله من المسلمين فمنهم نقله لم ينقل من

---

(١) رواه احمد فى مسنده جـ : ١ ص : ٢٢٧
مجموع فتاوى شيخ الاسلام جـ : ١٠ ص : ٢٩٧ ..

(٢) سورة الاعراف الاية (٢٠١) ..

ذلك احد عن نبينا (صلي الله عليه وسلم) حرفا واحـــدا ٠) (١)

وقال ابن القيم متحدثا عن اليهود وموقفهم من انبيائهم " ورميهم يوســـف بانه حل سراويله وجلس من امرأة العزيز مجلس المرأة من القابلة حتى انشـــق له الحائط وخرجت له كف يعقوب وهو عاض على أنامله فقام وهرب ، وهذا لـــو رآه افسق الناس وافجرهم لقام ولم يقض غرضة " (٢)

من هذا الهجوم الكاسح من ابن القيم على مبادئ اليهود وعقائدهم الفاسدة بانبيائهم نفهم أن ابـــن القيم ينفي بشدة ما نقله الطبرى في تفسيرة عـــن يوسف عليه السلام ولا يؤمن بتلك الخرافات وانها من وضع اليهود ٠

اذا فالتفسير الصحيح للهم هو ما قاله ابن تيمية نقلا عن الامام احمد وكذلك ما قـــرره ابن قتيبـة في قوله " ولكنها همت منه بالمعصية هم نيـه واعتقـــاد وهم نهى ، الله عارضا بعد طول المراودة " (٣) ٠

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ج : ١٠ ص : ٢٩٧٠٠

(٢) هداية الحيارى ص : ١٣١٠

(٣) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبـــة ص : ٤٠٤ ٠

ومما يشهد على براءته عليه السلام شهادة المرأه نفسها قال تعالى حكاية عنها " ولقد راودته عن نفسه فاستعصم " (١)

وكفى بها من شهادة. والله اعلم..

---

(١) سورة يوسف اية ٣٢..

الفصل الخامس

ما جاء عن موسى عليه السلام

المبحث الاول : الايات التى تتحدث عن قتله للقبطى توطئه ـ تصوير الشبهه ..

المبحث الثاني : موقف المعتزله .

المبحث الثالث: موقف الاشاعره

المبحث الرابع: موقف السلف

المبحث الاول

الايات التى تتحدث عن قتله القبطـــــى

قال تعالى (ولما بلغ اشده واستوى اتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنيـن ودخل المدينة علي حين غفلة من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا مــــن شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزة موســـى فقض عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين * قال رب انى ظلمت نفسى فاغفرلى فغفر له انه هو الغفور الرحيم ٠) (١)

توطئـــــــه :ـ

من عجائب قدرة الله أن يجعل موسى عليه السلام وهو من بنى اسرائيــــــل يتربى فى بيت الطاغيه فرعون الد اعداء بنى اسرائيل هذا الطاغية الذى كـــان يقتل ابناءهم ويستحيي نساءهم ٠ كان موسى عليه السلام يعايش هذا الجبــــروت ويرى هذا الطغيان ٠ ولكن ماذا يعمل ؟

وفى يوم من الايام دخل موسى عليه السلام المدينة فى وقت القائلـــــــــه واذا بشخصين يتشاجران الى درجة الاقتتال كان الاول من شيعة فرعون وكان عــدوا

---

(١) سورة القصص اية من (١٤ ــ ١٦) ٠

لموسى والاخر من بنى اسرائيـــل ضرب موسى عليه السلام عدوه فقتلة ولم يكن عليــــه السلام يريد قتلة وانما كان يريد ان يدفعة عن الاسرائيلى لكى لا يقتلة فكانت ضربتــــه ضربة قاضية لذلك ندم عليه السلام على موته وقال (هذا من عمل الشيطان)•(١)

" ويحق لنا ان نتساءل لماذا يندم ؟ اليس المقتول من اعدائــه ؟ اليــس المقتول من شيعة الطاغية الذى قتل ابناء بنى اسرائيل ؟ الا يحتمل ان المقتول كـان ينوى قتل الاسرائيلى الذى يعتبر دمة هدرا فى العرف والشرع الفرعونى ؟
نعم لماذا يندم وهو لم ينو قتله وانما اراد دفعه وهذا يعتبر شبه عمد ؟ •

انه ندم لانه قتله ولم يؤمر بقتلة نعم ندم واستغفر وتاب وقبل الله توبتـــــة والتائب من الذنب كمن لا ذنب له (قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر لـــــه انه هو الغفور الرحيم) • (٢)

---

(١) القصص ايه ١٥
(٢) القصص ايه ١٦

تصـــــور والشبهــــه :ــ

هى قول موسى عليه السلام بعد قتل القبطى (هذا من عمل الشيطـــان)(١)
وقال (رب انى ظلمت نفسى) (٢)

مما يدل على وقوع المعصية من موسى وهذا يتنافى مع العصمة ..

---

(١) القصص ايه ١٥
(٢) القصص ايه ١٦

المبحث الثانـــــي

موقف المعتزلــــــه :ـ

يقول الزمخشري وهو من المعتزله : (فان قلت لم جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه واستغفر منه ؟
قلت لانه قتله قبل ان يؤذن له في القتل فكان ذنبا يستغفر منه) (١) .

فالمعتزلة يرون وقوع الذنب من موسى عليه السلام لكنه استغفر منه لم ينص الزمخشري على ان الذنب صغيره ولكن اعتمادا على اصلهم من منع الكبائر وتجويز الصغائر فيكون فعل موسى عليه السلام صغيره .

كما ان الزمخشري يرى ان موسى عليه السلام كان نبيا آنذاك (٢) وهذا يفهم من قوله (قبل أن يؤذن له) .

---

(١) انظر الكشاف جـ : ٣ ص : ١٦٨ .
(٢) " " " "

المبحث الثالث

موقف الاشاعرة :ـ

يرى النسفى (١) ان موسى كان نبيا انذاك فهو يفسر قوله تعالى (آتيناه حكما) النبوه (وعلما) فقهـا .

ويعلل سبب استغفار موسى عليه السلام بامرين :ـ

١ ـ ان المقتول كان مستأمنا ولا يحل قتل الكافر الحربى المستأمن .

٢ ـ انه قتله قبل ان يؤذن له في القتل .

والعلة الاخيرة تؤكد ان النسفى يرى ان موسى كان نبيا آنذاك .

واجاب ابو السعود علي قوله (" قال هذا من عمل الشيطان " لانه لم يكن مأمورا بقتل الكفار .. ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطأ وانما عده من عمل الشيطان جريا على سنن المقربين فى استعظام ما فرط) (٢)

قلت : ليس هذا الفعل خطأ بل شبه عمد والله اعلم .

واجاب الرازى (٣) بعدة اجوبة :ـ

١ ـ أن ذلك صدر منه قبل النبوة وهذا ايضا ذكره صاحب المواقف (٤)

---

(١) تفسير النسفى جـ : ٣ ص : ٢٢٩ .

(٢) تفسير ابو السعود جـ : ٧ ص : ٦

(٣) التفسير الكبير جـ : ٢٤ ص : ٢٣٥

(٤) المواقف ص : ٣٦٢ .

٢ ـ وهذا على التسليم بانه نبي ان الله ندبه الى تأخير قتل اولئك الكفار.

٣ ـ قوله (هذا من عمل الشيطان) الاشارة الى عمل المقتول لا الى عمل نفسه.

٤ ـ أن الاشارة ترجع الى المقتول والمعنى انه من جند الشيطان حزبه

قلت : الجواب الاول قوى اذ لا دليل على انه كان نبيا انذاك بل ان الرسالة والتكليم حصلت بعد ان فعل ما فعل وخرج الى قوم شعيب كما تدل على ذلك الايات البينات.

وأما الاجوبة الباقية فهي ضعيفه.

فقوله ان الله ندبه الى التأخير يحتاج الى دليل لان مثل هذا لا يقال بالرأى وكان عليه ان يقول ان الله لم يأمره بالقتل فالاصل المنع.

واما صرفه الاشارة الى عمل المقتول فليس للمقتول عمل مذكور في الاية سوى انه وقع عليه القتل فان صرفنا الاشارة الى هذا العمل ففيه ايضا تنقيص لموسى.

والصحيح ان الاشارة تعود الى العمل المذكور في الاية وهي قوله (.. فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان).

واما صرفه الاشارة الى المقتول فبعيد جدا لانه لا يساعد عليه السياق ولا السباق لان مقامه مقام اعتذار لا مقام احتجاج

ولو اراد ذلك لقال انه من حزب الشيطان ولما قال لفرعــون عندما قال لــــه
(وفعلـــت فعلتـــك التى فعلـــت وانت من الكافريـــن) (١)
(قال فعلتها اذا وانا من الضاليـــن) (٢) •

---

(١) الشعراء ١٩ •
(٢) الشعراء ٢٠ •

المبحث الرابع

موقف السلف :ـ

روى ابن جرير بسنده عن قتادة (فوكزه موسى) نبي الله ولم يتعمد قتله. (١)

وروى عن ابن اسحاق قال : قتله وهو لا يريد قتله (١)

وقال ابن جرير عند تفسيره : قوله تعالى : " قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له انه هو الغفور الرحيم ".

يقول الله تعالى مخبرا عن ندم موسى على ما كان من قتله النفس التى قتلها وتوبته اليه منه ومسألته غفرانه من ذلك (رب انى ظلمت نفسى) بقتل النفس التى لم تأمرنى بقتلها فاعف عنى ذنبى ذلك واستره على) (٢)

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : (وقال موسى عليه السلام لما ذكر الذى هو من عدوه (فقضى عليه . قال : هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين قال : رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له) فاعترف بظلمه نفسه فيما كان من جناية على غيره لم يؤمر بها .) (٣)

---

(١) انظر الطبرى ج : ٢٠ ص : ٤٥ ـ ٤٦

(٢) تفسير الطبرى ج : ٢٠ ص : ٤٧ .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ج : ٢٩ ص : ٢٧٨.

من كــلام ابن جرير وكــلام شيخ الاسلام يظهر لنــا انهما يريــان أن موسى عليه السلام كان آنذاك نبيا (١) عندما قتل القبطى وان ذنبــه انه قتله وهو لم يؤمر بقتله وهذا القول لا يتنافى مع عصمة الانبياء على رأى السلف. لأنهم يرون ان الانبياء معصومــون من الاقرار على الخطأ والله سبحانه وتعالــى غفر لموسى وقبل توبتــة

وابن كثير لا يرى انه كان نبيــا قال في تفسيره : " لما ذكر اللــه تعالى مبدأ امر موسى عليه السلام ذكر انه لما بلغ اشده واستوى آتاه الله حكما وعلما قــال .. مجاهد يعنى النبوه ... ثم ذكر تعالــى سبب وصوله الى ما كان تعالى قدره لــه من النبوة والتكليم فى قضية قتله ذلك القبطي الذى كان سبب خروجه من الديــار المصرية الى بلاد مديــن .. " (٢).

وقال فى البداية بعد ان ذكر الايات : " لما ذكر تعالى انه أنعــم على امه برده لهــا واحسانه بذلك و امتنانه عليها شرع في ذكر انه لما بلغ اشــده واســتوى وهو احتكام الخلق والخلق وهو سن الاربعيــن فى قول الاكثرين آتاه الله حكما وعلما وهو النبوة والرسالة التى كان بشر بها أمه حين قال " انــا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين " ثم شرع فى ذكر سبب خروجه من بلاد مصــر وذهابه الى ارض مدين واقامته هنالك حتى كمل الاجل وانقضى الامد وكان مــا

---

(١) وجه دلالة انه كان نبيا قولهم (لم يؤمر) ولم يكن احد ليأمره سوى الله فـفهم من ذلك انهم يرون انه كان نبيا يتلقى الوحــى وان الله لم يوح اليه بقتله.

(٢) تفسير ابن كثيــر جـ : ٣ ص : ٣٨٢ ..

كان من كلام الله له واكرامه بما اكرمه به" (١) .

ويفهم من كلام ابن كثير انه لا يرى ان موسى عليه السلام كان فى ذلك الوقت عند دخوله المدينه وقتله القبطى نبيا وانما قتله القبطى كان سببا لخروجه من مصر الى مدين ثم حصل بعد ذلك على الرسالة والنبوة والتكليم ..

وما قاله بن كثير وجيه جدا

ولكن يبقى التساؤل لماذا ندم على قتله وهو لم يقصد قتله ولماذا قال هذا من عمل الشيطان ؟

فيمكن ان يقال انه كان على شريعة من قبله وهى شريعة تحرم القتل سيما والله يقول (..... اتيناه حكما وعلما) فلذلك ندم واستغفر وهذا جواب وجيه .

ولكن كما أنه يحتمل هذا كذلك اقول يحتمل أنه كان نبيا آنذاك ومعنى قوله حكما اى النبوه كما قال مجاهد وكون الواو لا يقتضى الترتيب ايضا فهى لا تمنع الترتب ولا يكون فى القصة تعارض فهو عندما قتل القبطى كان نبيا وبعد ان خرج حصل على الرسالة وعلى التكليم وهما مرتبتان أعلى من النبوة والله اعلم .

---

(١) البدايه والنهاية ج: ١ ص ٢٤١

الفصـــل السادس

ما جـاء عـــن داود عليـه السلام

ويشتمل على ما يلـي :

الايات التي تتحدث عن حكمه وتسرعه في الحكم

المبحث الاول :

توطئـــــــه

تصوير الشبهـــه

المبحث الثانـي :

موقف المعتزلـه

المبحث الثالث :

موقف الاشاعـره

المبحث الرابع :

موقـف السلـف

المبحث الاول

الآيات التى تتحدث عن قصة حكمه وتسرعه فى الحكم

قال تعالى : (وهل أتاك نبؤ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجه ولى نعجه واحده فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب • قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض الا الذين أمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود أنما فتنه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب • فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مئاب)(١)

---

(١) سورة (ص) ايه ٢١ ـ ٢٥

توطئـــــه :

هذه آيات بينات فيها موعظة لكل قاضي وحاكم أن يحكم بالعدل ويتوخى ذلـك في جميع أحكامه وأن يساوى بين المتخاصمين ولا يفضل أحدا على أحـد . وأن يستمـع للمدعى والمدعى عليه ولا يحكم بمجرد سماع أحدهم . وها هى قصة داود عليه السـلا م مع المتخاصمين .

تسور بعضهم المحراب داخلين على داود عليه السلام والغريب لماذا يتسور هؤلاء المحراب لماذا لم يأتوا البيوت من ابوابها ؟ .

وعلى كل حال هذا ما جرى وعندما فزع داود عليه السلام قالوا له لا تخف نحن خصمان نريد أن تحكم بيننا بالعدل فتسرع أحدهم قائلا هذا أخي له تسع وتسعـــون نعجه ولي نعجه واحده فطلبني اياها وعزني في الطلب فقال داود عليه السلام حاكمـــا لقد ظلمك ..

ثم تفطن عليه السلام أنه تسرع في الحكم لانه لم يستمع الى اقوال الخصم الأخـر فاعتبرها فتنه من الله فاستغفر لذنبه وهكذا شأن الأنبياء والأتقياء يهرعون الى اللــه عند كل أدنى زله . وقبل توبته وغفر ذنبه (... وظن داود أنما فتناه فاستغفـــــر ربه وخر راكعـا وأناب فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مئاب) (١)

---

(١) سوره ص آيه ٢٤/ ٢٥ .

تصوير الشبهة :

الشبهة هـهنا قصة اسرائيليه تسربت من اهل الكتاب عن طريق كتب التفسير وملخص هذه القصة أن داود عليه السلام نظر من النافذه فرأى امرأة بارعة في الجمال فعشقها وارسل اليها وسأل عن زوجها وعرف أنه اوريا وانه يقاتل فارسل الى القائد أن أمره على السرايا فامره فهلك فتزوجها داود عليه السلام وكانت تحته تسع وتسعون امرأه فأصبحن مائه وأن الله سبحانه وتعالى أرسل اليه ملكين في صورة خصمين لاحدهم تسع وتسعون نعجة وللاخر نعجة واحده فطلبها الأول من الثاني ثم ذهبا الى داود عليه السلام ليحكم بينهما فحكم للثاني انه مظلوم ثم عرف داود أن المعنى بهذه الصوره لانه ظلم اوريا وتسبب في قتله .

المبحث الثانـــي

موقـف المعتزلـــه

بعد أن ذكر القاضي عبد الجبار قصـــة داوود قال : (وجوابنـــا أن الصحيح ان كانت تلك المرأة التي رغب فيها قد صارت ايما بلا زوج فخطبها وكـــان من قبل ذلك خطبها غيره فسكنت اليه ولم يفتش عن ذلك فصار ذلك ذنبا وعلى هذا الوجه نهى (صلى الله عليه وسلم) ان يخطب المرء على خطبة أخيه . .

والذي يرويه من لا معرفة له بأحوال الأنبياء (صلى الله عليهم وسلم) لا معتبر به فالله تعالى لا يبعث الا من هو منزه عن هذه المعاصي حتى انهم لا يقدمون علـــى كبيرة ولا على صغيرة يعرفونها قبيحة وانما عاتبه الله تعالى ونبهه من حيث صـــار غافلا عن خطبة متقدمة كان يمكنـــه ان يفتش عنها فلا يقدم على الخطبه بعد تلـــك الخطبه) (١) .

ثم بعد ذلك ارسل الله اليه ملكين في صورة خصمين تخاصما في نعاج ثم قـــال القاضـــي (وقوله تعالى (... لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه ....) (٢)

---

(١) تنزيه القرآن عن الطاعن للقاضي عبد الجبار ص : ٣٥٧

(٢) سورة (ص) ايه ٢٤

يدل على أن ذنب داود ليس الا ما قلناه من أنه رغب في ضم هذه المخطوبه الى نسائه على الوجه الذى ذكرناه وقوله تعالى (فغفرنا له ذلك)(١) من بعد يدل على أن الذى فعله كان في تلك الشريعة محرما ولولا ذلك لجو زناه حلالا)(٢)

والزمخشرى أيضا ذكر ذلك وان داود خطب على خطبة اوريا فاعطى المرأة ثم صار ما صار من ارسال الملكين واستغفار داود ووجه آخر ذكره وهو ان داود عليه السلام احب زوج اوريا وطلب منه أن يتنازل له بها كمادتهم في ذلك الزمان اذ كان ذلك جائزا وكما فعل الأنصار مع المهاجرين فتنازل اوريا عنها لداود عليه السلام . فارسل الله اليه ملكين ..الخ ..

وما ذكره الزمخشرى على قول من يقول ان الخصمين ملائكه . وهناك رأى آخر ذكره الزمخشرى وهو ان القصه على حقيقتها وان الخصمين كانا من الانس وكانوا اما خليطين في الغنم أو أن احدهما موسر وله نساء كثيرات وسرارى والاخر معسرا ليس له الا أمرأة واحدة فاستنزله عنها وكان فزعه لانه خشى أن يكونا مغتالين وكان ذنبه أنه صدق احدهما على الاخر وظلمه قبل مسئلته (٣) .

---

(١) صوره (ص) ايه ٢٥

(٢) تنزيه القرآن عن المطاعن ص: ٣٥٨

(٣) تفسير الزمخشرى ح: ٣ ص: ٣٧١

المبحث الثالث

====

موقف الاشاعره :ـ

الرازى (١) ذكر عدة اوجه فى تفسير الآيات :ـ

(١) أن اشخاصا تسوروا المحرابيريدون اغتياله فلما فوجئوا أنه متنبه لهم حاكوا هذه الحكايه لانه عليه السلام خاف منهم فلما سمع قصتهم حكم بقوله (... لقد ظلمك ..)(٢) . (وظن داود انما فتناه)(٣) اى امتحناه ولكنه لم ينتقم منهم بل استغفر لهم وطلب من الله العفو عنهم .

والله عز وجل لم يقل أنه اذنب ولا أنه استغفر لنفسه والمستغفر قد يستغفر لنفسه تارة ولغيره اخرى .

(٢) لعل الاستغفار لانه ظن ان القوم الذين تسوروا المحراب يريدون قتله فلما فلما لم يظهر الامر كما ظن ندم على ذلك واستغفر لهذا الظن .

(٣) لعله دخله العجب من كمال حلمه عندما لم يعاقبهم فكان الاستغفار منه فالعجب من المهلكات .

---

(١) عصمة الانبياء للرازى ص: ٧٢

(٢) سورة (ص) ايه ٢٤

(٣) سورة (ص) ايه ٢٤

وبعد أن ذكر هذه الاوجه التي تبين سبب استغفاره قال مستحسنا هذه الاراء (فهذا قول من يقول لا دلالة في الاية على شيء من الزلات وهو الحسن عندي) (١) .

قلت اما جوابه الاول فبعيد وفيه تكلف ظاهر ومثل هذا التفسير لا يقال بالرأي والظن بل ينبغي التقيد بالنص وعدم اخراج الايات عن ظاهرها سيما والله يقول (فغفرنا له ذلك) (٢) ولم يقل (فغفرنا لهما) .

وجوابه الثاني ان استغفاره كان لانه ظن انهم سيقتلونه فاستغفر من ظنه وهذا الجواب ايضا فيه تكلف لان داود عليه السلام من حقه ان يظن ذلك الظن سيما وان القوم تسوروا عليه المحراب ولم يأتوا البيوت من ابوابها ولا يعتبر ذلك الظن معصيه ليستغفر منه ثم انظر الى قوله تعالى (فغفرنا له ذلك) (٣) ونبي الله افقه واعلم أن ذلك ليس بخطيئه ولا يحتاج الى استغفار وأما قوله أنه دخله العجب على كمال حلمه .... ثم يقول لأن العجب من المهلكات فهذا تناقض ظاهر من الرازي الذي يريد أن ينفي عن نبي الله زلة بسيط ليوقعه في شيء من المهلكات فوقع في اقبح مما اراد أن يفر منه وهذا شأن كل من يتخبط في كتاب الله ويتأول الايات على مزاجه وهواه .

---

(١) عصمه الانبياء للرازي ص: ٧٣

(٢) سورة (ص) ايه ٢٥

(٣) عصمة الانبياء للرازي ص : ٧٣ــ٧٤

كما أن الرازى ذكر أوجها خمسة للذين يسلمون بوقوع الصغيره وهى باختصار كما يلى :ـ

(١) قـل غمـه على قتل اوريـا لرغبته فى نكاح زوجتـــه •

(٢) طلب من اوريا ان ينزل له عن زوجتــه التى احبها (١)

(٣) انه خطب على خطبة اوريا فاعطى ومنع اوريا •

(٤) اتتــه امرأه ورجل ليحكم فيهم فنظر الى المرأه ثم شغله الفكــر فى امرهـــا عن بعض نوافلــه •

(٥) أنه تعجل فى الحكم بين المتخاصمين قبل ان يسمع من الخصم الاخــر •

وبعد ان سرد هذه الاوجه قال (وكل ذلك عدول عن الظاهر من غيـــــر دليل)(٢)

قلت أما الجواب الثانى فقد ذكره القرطبى والقاضى عياض وعزيـــاه الى ابـــن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير)(٣)

---

(١) عصمه الانبياء للرازى ص: ٧٣ ــ ٧٤

(٢) عصمه الانبياء للرازى ص : ٧٤

(٣) انظر الشفاء جـ : ٢ ص: ٣٧٢
وانظر تفسير القرطبى جـ: ١٥ ص : ١٧٥

واما الجواب الثالث فقد ذكره القرطبي في تفسيره قائلا (٠٠٠٠ ذكـــر المحققون الذين يرون تنزيه الانبياء عن الكبائر ان داود عليه السلام قد اقدم علـــى خطبة امرأة قد خطبها غيره) (١) ٠

والحق ان هذا القول لا يعتبر دليلا والله اعلـــم ٠٠

كما ان القاضي عياض ذكرها بصيغة التمريض وقيل (خطبها على خطبته) (٢)

والجواب الخامس هو الجواب بظاهر الايه وحمل الخصمين على الحقيقه فـــلا نقول ملائكه ولا غيره وتعجله في الحكم ظاهر لايحتاج الى دليل ومؤاخذته دليلها قولـــه تعالى (فغفرنا له ذلك) مما يدل على انه كان مؤاخـذ بالتسرع في القضاء ومما يـدل عليه أيضا قوله تعالى بعد هذه الايه (ياداود انا جعلناك خليفه في الارض فاحكـــم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) (٣) فهذا التوجيـــه بعـــد المحاكمـه يستأنس به على القول السابق ٠

---

(١) تفسير القرطبي جـ: ١٥ ص: ١٧٦ ـ ١٧٧

(٢) الشفاء جـ: ٢ ص: ٣٧٢

(٣) صوره (ص) ايه ٢٦

المبحث الرابـــع

موقـــف السلـــــف :

لقد روى ابن جرير الطبرى روايات متعدده تارة عن ابن عباس وتاره عن الحسن وتارة عن وهب بن منبـــــه وكذلك رواية عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تحكى هذه الروايات قصه عشـق داود عليه السلام لامرأه اوريا وان داود عليه السلام احتال علـى زوجهـــا حتى تسبب فى قتله عندما ارسله اميرا على بعض السرايا وبعد موته نكح زوجته وكان عنده تسع وتسعون امرأة فاصبحن مائه ثم ارسل الله ملكين ... كما بينت فى تصوير الشبهـــه ..

لكن هذه الروايات انتقدها المحققون من علماء السلف وغيرهم قال عنها ابن كثير (قد ذكر المفسرون ها هنا قصه اكثرها مأخوذ من الاسرائيليات ولم يثبت فيها عـــــن المعصوم حديث يجب اتباعه ولكن روى ابن ابى حاتم هنا حديثا لا يصح سنده لانـــــه من رواية يزيد الرقاشى عن انس ويزيد وان كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عنـد الأئمه فالأولى أن يقتصر على مجـرد تلاوة هذه القصة وأن يرد علمها الى الله عز وجـــل فان القرآن حـق وما تضمن حق) (١) .

---

(١) تفسير ابن كثير جـ: ٤ ص: ٣١

قلت بما أن هذه القصه تتنافى مع أخلاق الانبياء فنحن نجزم بردها ونجزم أنها من أخبار اليهود بل هذه القصه شبيهه بما ورد في التوراة المحرفه كما سيأتي بيانه عنهم .

وقال القاضي عياض (وأما قصة داود عليه السلام فلا يجب ان يلتفت الى ما سطره الاخباريون عن اهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح) (١) .

ولقد عنف بن حزم بشده على هذه الروايه وكذلك على القائلين أن الخصمين كانوا ملائكه فقال (قال أبو محمد) وهذا قول صادق صحيح لا يدل على شيء مما قاله المستهزؤن الكاذبون المتعلقون بخرافات ولدها اليهود وانما كان ذلك الخصم قوما من بني آدم بلا شك مختصمين في نعاج من الغنم على الحقيقه بينهم بغى احدهما على الاخر على نص الايه ومن قال انهم ملائكه معرضين بامر النساء فقد كذب على الله عز وجل وقوله ما لم يقل وزاد في القرآن ما ليس فيه) (٢)

وذكر ايضا ان في ذلك تكذيب للملائكه وجعلهم كاذبين لانهما قالا (خصمان) والقائل بانهم ملائكه يقول انهم لم يكونا خصمين ولا بغى بعضهم على بعض) .

---

(١) الشفاء جـ: ٢ ص: ٣٧٠

(٢) الفصل في الملل والاهواء والنحل جـ: ٤ ص: ١٨

ثم ذكر ما يبطل قصة عشقه لامرأة أوريا أن اى شخص يصون نفسه من أن يتمشق امرأة جاره ويعرضه للقتل عمدا • فكيف برسول الله داود (صلى الله عليه وسلم) •

ويفسر ابن حزم قوله تعالى (وظن داود أنما فتناه) وقوله تعالى (فغفرنا له ذلك) أن داود عليه السلام ظن أن ما أتاه الله عز وجل من سعة الملك فتنه فاستغفر الله من هذا الظن فغفر الله له هذا الظن اذ لم يكن ما أتاه الله تعالى من ذلك فتنة (١)

قلت : الدنيا فى الحقيقه فتنه وظنه صحيح وهو لم يستغفر من هذا الظن لانه ليس آثما من ظن ذلك كما توهم ابن حزم ولكنه استغفر من تسرعه فى الحكم فظنه ليس باثم ليستغفر منه فالله عز وجل يقول (واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنه وأن الله عنده أجر عظيم) (٢) وأما كلام ابن حزم السابق وتفسيره الايات على ظاهرها فكلام جيد وأدله قويه من القرآن نفسه ولكن تفسيره الاخير لا أميل اليه كما بينا فابن حزم اوفق ههنا فى اظهار رأى السلف الصحيح وان لم يكن سلفيا فى معتقده والله اعلم ••

---

(١) الفصل ج : ٤ ص : ١٩

(٢) سورة الانفال ايه ٢٨

الفصـــل السابــع

====

ما جـاء عن سليمان عليــه الســـلام

=====

ويشتمل على ما يلـي

===

المبحث الاول : الايات التى تتحدث عن تركه لصلاة نسيانا وفتنته وطلبـه ملكا لا ينبغى لاحد من بعـــده :

=======

تصوير الشبهه

المبحث الثانى : موقف المعتزلـــه .

=======

المبحث الثالث: موقــف الاشاعـــره .

========

المبحث الرابع: موقــف السلـــــف .

========

========

المبحث الاول

====

الايات التى تتحدث عن تركه صلاة نسيانا فتنته وطلبه ملكا لا ينبغى لاحد من بعده

=====

قال تعالى : (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب • اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد • فقال انى احببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب • ردوها على فطفق مسحا بالسوق والأعناق • ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب • قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى انك انت الوهاب •) (١)

---

(١) سورة (ص) ايه ٣٠ـ ٣٥

تصوير الشبهـــــه :

في الايات السابقه ثلاث شبهات :

(١) التهاء سليمان عليه السلام بالجياد عندما عرضت عليه حتى فاتته صلاة العصـر (اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد) • (١)

(٢) فتنة سليمان بعزله عن النبوه وتسليط الشيطان على حكمه (ولقد فتنا سليمان) • (٢)

(٣) قوله (رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحـد من بعـدى) فهـــذا الطلب فيه شئ من الحســد • (٣)

---

(١) عصمة الأنبياء للرازى ص : ٧٦

(٢) عصمة الأنبياء للرازى ص : ٨١

(٣) عصمة الأنبياء للرازى ص : ٨١

المبحث الثانـــــى

=====

موقـــف المعتزلـــــــه

=====

ذكر الزمخشرى ان سليمان عليه السلام فى يوم من الايام بعد ما صلى الاولــــى قعد على كرسيه واستعرضها فما زالت تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصـــــر فاغتم لما فاته واستردها وعقرها تقربا للـــــه .

وبعد هذا العرض قال (.... لانه موضع مقتضى للسؤال اقتضـاء ظاهـــــر وهو اشتغال نبى من انبياء الله بامر الدنيا حتى تفوته الصلاه عن وقتها) (١)

فاذا من هذا القول فهو يرى ان سليمان عليه السلام فاتته صلاة العصـــــــر وانه التهى بالجياد عن الصلاة وانه عقرهن تقربا الى اللـــــه ..

لم يتناول القاضى عبد الجبار الشبهه الاولى بالمناقشه انما تناول الشبهـــــــه الثانيه والثالثـــــه ..

وقال بعد ان عرض للشبهــه الثانيه (وجوابنا ان الذى يروى فى ذلك كـذب عظيم والصحيح ما روى من أنه تفكر فى كثره نسائه ومما ليكه فقال وقد آتاه الله من القـــوه

---

(١)   تفسير الزمخشرى حـ: ٣ ص: ٣٧٣ ــ ٣٧٤

انى لأطأهن في ليلة واحد فيحملن ويحصل لى من الاولاد العدد الكثير ففعل ولم تحبل الا واحده والقت جسدا غير كامل الخلقه فحمل ذلك الجسد الى كرسيه فنبهه عنده على ان الذى فعله من التمنى كالذنب وانه قد كان من حقه ان ينقطع الى الله تعالى فيما يرزق من الاولاد قل او كثر فاناب عند ذلك وتاب منه فاما ان يعزل ويؤخذ خاتم ملكه ويصير الى بعض الشياطين ويطأ ذلك الشيطان نساءه فذلك مما لا يجوز على الانبياء وقد رفع الله قدرهم عن ذلك)(١)

أما الشبهه الثانيه فذكر الزمخشرى عدة اقوال في تفسير قوله تعالى : (ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم أناب) .

(١) قال الزمخشرى : (وكان من فتنته أنه ولد له ابن فقالت الشياطين ان عاش لم ننفك من السخره فسبيلنا أن نقتله او نخبله فعلم ذلك فكان يغدوه في السحابه فما راعه الا ان القى على كرسيه ميتا فتنبه على خطئه في أن لم يتوكل فيه على ربه فاستغفر ربه وتاب اليه .)(٢)

(٢) ذكر نفس القول الذى حكاه القاضى عبد الجبار الا ان الزمخشرى هنا عين العدد وذكر حديثا عن النبى (صلى الله عليه وسلم) ان سليمان قال :

---

(١) تنزيه القرآن عن المطاعن ص: ٣٥٩

(٢) الكشاف جـ: ٣ ص: ٣٧٤

(لأطوفن الليله على سبعين امرأه كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم يحمل الا امرأة واحده جاءت بشق رجل والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون) (١)

(٣) وهي الحكايه التي ردها القاضي عبد الجبار وهي تسلط الشيطان على ملكه وسلب ملك سليمان لان ملكه في خاتمه وبعد سرده للحكايه قال : (ولقد ابى العلماء المتقنون قوله وقالوا : هذه من اباطيل اليهود والشياطين لا يتمكنون من مثل هذه الافاعيل وتسليط الله اياهم على عباده حتى يقعوا في تغيير الاحكام وعلى نساء الأنبياء حتى يفجروا بهن قبيح) (٢) .

---

(١) الكشاف ج : ٣ ص : ٣٧٤

الحديث اخرجه البخاري في صحيحه بلفظ أن النبي (ص) قال : (قال سليمان بن داود لأطوفن الليله على سبعين امرأة تحمل كل امرأه فارسا يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه : ان شاء الله فلم يقل ولم تحمل شيئا الا واحدا ساقطا احد شقيه : فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) لو قالها لجاهدوا في سبيل الله) .. انظر فتح الباري ج : ٦ ص : ٤٥٨

(٢) الكشاف ج : ٣ ص : ٣٧٥

واما الشبهة الثالثه وما فيها من الحسد فاجاب القاضي عبد الجبار (وجوابنا انه لا يمتنع وهو نبي أن يرغب الى الله عز وجل فيما يظهر به فضله وكرامته عند الله وليس في ذلك ما يشبه الحسد المذموم لانه انما يكون حاسدا اذا اراد انتقال نعيم غيره اليه فاما اذا اراد لنفسه أعظم المنازل من الله تعالى ابتداء مع ارادته بقاء سائر النعم على اهلها فلا وجه ينكر في ذلك) (١) .

واما الزمخشري فاجاب بعده اجوبه وهي باختصار : (٢) :ـ

(١) ان طلبه ذلك بحكم النشأة فهو نشأ في بيت ملك ونبوه واراد معجزة لنبوته مما يألفه ملكا زائدا زيادة خارقة للعاده

(٢) انه خشي ان يعطى غيره مثله فلا يقيم حدود الله مثل قول الملائكه (اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) . (٣)

(٣) وقيل المعنى ملكا لا اسلبه ولا يقوم غيري فيه مقامي كما سلبته مره واقيم غيري .

(٤) ويجوز أن يقال أن الله علم أن هذا الملك لا يقوم باعبائه غيره فاوجبت الحكمه واستيهابه فامره أن يطلبه فطلبه .

(٥) اراد ان يقول ملكا عظيما فعبر بذلك التعبير ولم يقصد الاعظم الملك وسعته (٤)

---

(١) تنزيه القرآن عن المطاعن القاضي عبد الجبار ص: ٣٥٩

(٢) الكشاف ج: ٣ ص : ٣٧٥

(٣) البقره ايه ٣٠

(٤) الكشاف للزمخشري ج: ٣ ص : ٣٧٥

المبحث الثالث

موقف الأشاعره

اجاب صاحب المواقف عن الشبهة الأولى ان الاية (اذ عرض عليه بالعشى) لا دلالة فيها على فوات الصلاه مع أنه اذا كان فوتها بالنسيان لم يكن ذنبا .
وفسر (فطفق مسحا) معناه يمسح رؤوسها واعناقها اكراما لها وقال ان حمله على قطعها ضعيف اذ لا دلالة للفظ عليه وقال : (ورجوع ضمير توارت الى الشمس ابعد المحتملين) (١) .

وأما الرازى فيستبعد ما قيل ان الخيل الهته حتى فاتته الصلاه ثم قتلهن ويستنكر هذا الرأى ويرى أن الخيل عرضت عليه واحب حبها وهذا مبالغة في الحب واستمر العرض حتى توارت الجياد عنها ثم طلبها ثانية ومسح رؤوسها وسوقها اكراما لها . (٢)

وأما الشبهة الثانيه فاجاب صاحب المواقف أن فتنة سليمان كما سبق وأن بيناه لأنه ترك الاستثناء عندما قال والله لأطوفن الليله ولم يستثن وكانت هذه فتنته .

---

(١) المواقف ص: ٣٦٣

(٢) عصمة الأنبياء للرازى ص : ٧٧

وذكر ايضا ما سبق ان ذكرنا ه عن الزمخشرى من أنه خاف الشياطين فامر السحاب ان يحمل ولده) (٢) القصه .

وبين القاضى عياض ايضا أن فتنة سليمان أنه لم يستثن وعقوبته أن القى الجسد على كرسيه .

كما أن القاضى عياض ابطل قصة تسلط الشيطان على ملك سليمان فقال : (ولا يصح ما نقله الاخباريون من تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه فى امته بالجور فى حكمه لان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الانبياء من مثله) (٢)

والرازى ذكر أن فتنة سليمان والقاء الجسد على كرسيه أحد ثلاثه امور سبق أن ذكرنا اثنين منها وهى عدم الاستثناء والثانى خوفه من الشياطين .

أما الثالث فهو أن الله امتحنه بمرض شديد فصار جسد الاحراك فيه مشرفا على الموت وتقدير الكلام والقينا جسده على كرسيه فحذف الهاء اختصارا) (٣)

قلت : لم يعز هذا القول الى احد من السلف ولعله اجتهاد منه بلا دليل فلا يقبل منه لان مثل هذا القول لايقال بالرأى .

---

(١) المواقف ص : ٣٦٣

(٢) الشفاء جـ : ٢ ص : ٣٨١

(٣) عصمة الانبياء ص : ٨١

أما الشبهة الثالثه فاجاب القاضى عياض بثلاثه اجوبة سبق ذكر اثنين منها :

(١) ملكا لا اسلبه كما سلبه الشيطان على قول من قال بذلك

(٢) خصوصيه كاختصاص غيره من الانبيـاء .

(٣) ان تكون معجزة ودليلا على نبوتـــه .

فهو ينفى ان يكون قال ذلك غيرة على الدنيا او نفاسة فيها وصاحب المواقف ذكـر انه طلب ذلك ليكون معجزه وايضا قال (او اراد ان ملك الدنيا موروث فطلب ملـك الدين أو اراد الملك العظيم مع القناعه) (٢)

---

(١) الشفاء ج: ٢ ص : ٣٨٢

(٢) المواقف ص : ٣٦٤

المبحث الرابع

موقف السلف

قوله تعالى (اذ عرض عليه ....) الايه يرى ابن جرير ان سليمان عليه السلام شغل عن صلاة العصر بسبب هذه الجياد التى ظل يستعرضهن حتى فاتته الصلاة قال ابن جرير مفسرا لهذه الايه (يقول تعالى ذكره أنه تاب الى الله من خطيئته التى اخطأها اذ عرض عليه بالعشى الصافنات) ثم قال وقوله (عن ذكر ربى) يقول اى احببت حب الخير حتى سهوت عن ذكر ربى واداء فريضته وقيل ان ذلك كان صلاة العصر) (١)

وابن جرير يرجح أنه لم يقتل الخيل عندما الهته عن الصلاه انما مسح عليهن حبا لهن مستندا لقول بن عباس عند تفسير الايه (فطفق مسحا بالسوق والاعناق) جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها حبا لها) (٢)

قال ابن جرير (وهذا القول الذى ذكرناه عن ابن عباس اشبه بتأويل الايه لان النبى (صلى الله عليه وسلم) لم يكن ان شاء الله ليعذب حيوانا بالعرقبه ويهلك مالا من ماله بغير سبب سوى انه انشغل عن صلاته بالنظر اليها ولا ذنب لها

---

(١) تفسير الطبرى ح: ٢٣ ص: ١٥٤ ـ ١٥٥

(٢) " " ح: ٢٣ ص: ١٥٦

باشتغاله بالنظر اليها) (١) •

وقال ابن كثير عن الايه (اذ عرض عليه ••••••) الى قوله (انى احببت حب الخير) الايات : (ذكر غير واحد من السلف والمفسرين انه اشتغل بعرضها حتى فات وقت صلاة العصر) •

وبين ابن كثير انه لم يتركها عمدا بل نيسيانا كما شغل النبي (صلى الله عليه وسلم) يوم الخندق عن صلاة العصر •

ورجح ابن كثير ان سليمان عقر الخيل كلها فذهب الى ما ذهب اليه قتاده والحسن البصرى وبين ان ما قاله ابن جرير فيه نظر فابن جرير كما بينا لايرجح انه قتلهن اذ لاذنب عليهن •

أما قوله تعالى (ولقد فتنا سليمان) • فيرى ابن جرير ان فتنة سليمان تسلط الشيطان على ملكه ثم ذكر روايات طويله تبين كيف كان ذلك وهى التى ذكر الزمخشرى بطلانها عن بعض العلماء وانها من كلام اليهود •

وقوله تعالى (وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى) فهو يجعل المعنى مرتبطا بالحكاية السابقه فهو يطلب من الله ملكا لا يسلبه احد كما سلبه منه

---

(١) تفسير الطبرى ج : ٢٣ ص ١٥٦

سابقا الشيطان ٠ (١)

وابن كثير بعد ان ذكر الحكايات التى تبين تسلط الشيطان قال : (وهـــذه كلها من الاسرائيليات) ٠

ثم قال عن رواية يرى انها انكر الرويات (اسناده الى ابن عباس قوى ولكـــن الظاهر انه انما تلقاه ابن عباس رضى الله عنهما ان صح عنه من اهل الكتاب وفيهم طائفه لا يعتقدون نبوة سليمان فالظاهر انهم يكذبون عليه ولهذا كان فى هذا السياق منكرات من اشدها ذكر النساء)

وقال ايضـا : (٠٠٠ وقد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلـــف رضى الله عنهم كسعيد بن المسيب وزيد بن اسلم وجماعه آخرين وكلها متلقاه من قصص اهل الكتاب) (٢) ٠

وقوله تعالى (وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى ٠٠) الايه ٠ قال ابن كثيـر (٣) (قال بعضهم معناه لا ينبغى لاحد من بعدى اى لا يصلح لاحد ان يسلبه بعدى كما كان من قضيه الجسد الذى القى على كرسيه لا انه يحجـر على من بعـــده

---

(١) تفسير الطبرى حـ : ٢٣ ص : ١٥٩

(٢) تفسير بن كثير حـ : ٤ ص : ٣٦

(٣) تفسير ابن كثير حـ : ٤ ص : ٣٧

من الناس والصحيح انه سأل من الله تعالى ملكا لا يكون لاحد من بعده من البشـــر مثله وهذا هو ظاهر السياق من الايه وبذلك وردت الاحاديث الصحيحه من طـــرق عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال البخاري عند تفسير هذه الايه .. عن ابى هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم (١) قال (ان عفريتا من الجن تفلت على البارحه او كلمه نحوها ـ ليقطع على الصلاه فامكنني الله تبارك وتعالى منه واردت ان اربطه الى سارية من سوارى المسجد حتى تصبحوا وتنظروا اليه كلكم فذكرت قول اخى سليمـــان عليه الصلاه والسلام (رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى) قال روح فرده خاسئـا) (٢)

قلـــت : ما ذكره ابن جرير ان الشيطان تسلط على ملك سليمان باطل والاحاديث عن السلف فى ذلك كلها كما قال ابن كثير وغيره من الاسرائيليات . ولقد رد كثيـــر من العلماء هذه الخرافات ولقد سبق ان ذكرنا قول القاضى عياض وقول ابن كثيـــر وسنذكر هنا قول بن حزم فى ردها وقال ابن حزم عنها : (وما عدا هذا فخرافـــات ولدها زنادقه اليهود واشباههـــم) .

---

(١) فتح البارى كتاب احاديث الانبياء ج: ٦ ص: ٤٥٨

(٢) تفسير ابن كثير ج : ٤ ص ٣٧

وقال ايضا : (الا أننا لا نشك البتـــة في بطلان قول من قال انه كان جنيا تصور بصورته بل نقطع على أنه كذب والله تعالى لا يهتك ستر رسوله (ص) صلى الله عليه وسلم هذا الهتك)

وكذلك نبعد قول من قال أنه كان ولدا له أرسله الى السحاب ليربيه فسليمان عليـــه السلام كان أعلم من ان يربى ابنه بغير ما طبع الله عز وجل بنية البشر عليه من اللبـن والطعام وهذه كلها خرافات موضوعه مكذوبه لم يصح اسنادها قط) (١) .

والذى اراه صحيحا فى تفسير الايه ما اخرجه البخارى فى صحيحه عن النبـــى صلى الله عليه وسلم - (قال : قال سليمان بن داود لأطوفن الليلة على سبعيـــن أمرأة تحمل كل امرأة فارسا يجاهد فى سبيل الله فقال له صاحبه : ان شاء اللـــه فلم يقل ، ولم تحمل شيئا الا واحدا ساقطا احد شقيه فقال النبى (ص) صلى الله عليه وسلم لو قالها لجاهدوا فى سبيل الله) (٢) فتكون فتنه سليمان انجابه هذا الولد الساقط تنبيهـــا له لعظم شأن الاستثناء والله اعلـــم ..

وأما قوله تعالى (وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى) فليس فى هـــذا الطلب حسد البتـــه لان حقيقه الحسد ان تتمنى زوال النعمه من الغير واما أن تتمنى مثل الغير فهذا غبطه وليس حسدا .

اذ لو كان تمنى الشخص ان يكون مثل غيره او افضل منهم حسدا لكان جميـــع الناس حسادا ..

---

(١) الفصل فى الملل والاهواء والنحل ح : ٤ ص : ١٩ ـ ٢٠

(٢) فتح البارى كتاب احاديث الانبياء ح : ٦ ص : ٤٥٨

الفصل الثامن

ما جاء عن يونس عليه السلام

ويشتمل على ما يلي

المبحث الاول : الايات التي تتحدث عن غضبه على قومه وابتلاء الله له .

تصوير الشبهه

المبحث الثاني : موقف المعتزله

المبحث الثالث: موقف الاشاعره

المبحث الرابع : موقف السلف

=======

المبحـــــث الاول

الآيات التى تتحدث عن وقوع المغاضبة واهتلاء الله له

قال تعالى (وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقـــدر عليــــــه فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين) (١) .

وقال تعالى (وان يونس لمن المرسلين . اذ أبق الى الفلك المشحـــون فساهم فكان من المدحضين . فالتقمه الحوت وهو مليم . فلولا أنه كان مـــــن المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون . فنبذناه بالعراء وهو سقيم . وأنبتنــا عليه شجرة من يقطين وأرسلناه الى مائة الف أو يزيدون . فآمنوا فمتعناهـــــم الى حين) (٢)

وقال تعالى (فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهـــــو مكظوم لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فاجتباه ربه فجعلـــه من الصالحين) (٣)

---

(١) سورة الانبياء ٨٧

(٢) سورة الصافات ١٣٩ — ١٤٨

(٣) ن ٤٨ — ٥٠

تصويـر الشبهـــة :

قال ابن حزم مصورا الشبهه (قالوا ولا ذنب أعظم من المغاضبه للـــه عز وجـل ومن اكبر ذنبا ممن ظن أن الله لا يقدر عليه وقد اخبر الله تعالـــى أنه استحق الذم لولا أن تداركه نعمة الله عـز وجل وأنه استحق الملامـــه وأنـــه اقر على نفسه أنه كان من الظالمين ونهى الله تعالى نبيه أن يكـــون مثله) (١) .

---

(١) الفصل في الملل والاهواء والنحل جـ: ٤ ص : ١٧
وانظر عصمه الانبياء للرازى ص : ٨٣ — ٨٤

المبحث الثانـــــى

=======

موقـــــف المعتزلــــــه

===============

قال الزمخشري مفسرا قوله تعالى (وذا النون اذ ذهب مغاضبـــــا) (برم — اى يونـــس —) بقومه لطول ما ذكرهم فلم يذكروا وأقاموعلى كفرهــم فراغمهم وظن أن ذلك يسوغ حيث لم يفعله الا غضبا لله وانفـــه لدينه وبغضـا للكفر واهله وكان عليه أن يصابر وينتظر الاذن من الله فى المهاجره عنهم فابتلـى ببطن الحوت . ومعنى مغاضبته لقومه انه اغضبهم بمقارفته لخوفهم حلــــول العقاب عليهم عندها) (١)

وقوله تعالى (نقدر عليه) فسره بالتضييق وبتقدير الله عقوبه .

وعند تفسيره قوله تعالى (اذ أبق الى الفلك المشحون ....) قال (وسمى هــربه من قومه بغير اذن ربه اباقا على طريق المجاز ...) (٢)

وقال (وهو مليم) اى داخل فى الملامـــه (٣) .

---

(١) الكشاف جـ: ٢ ص: ٥٨١

(٢) " جـ: ٣ ص: ٣٥٣

(٣) " جـ: ٣ ص: ٣٥٣

فيونس عليه السلام على رأى الزمخشرى وقع فى الملامه لانه هرب من قومـــه
بغير اذن سيده ومولاه رب العالمين لذلك عوقب بان حبس فى بطن الحوت .

المبحث الثالـــث

موقـــف الأشاعـــره

قال القاضي عياض (وكذلك قوله " اذ ذهب مغاضبا " والصحيح : مغاضبا لقومه لكفرهم وهو قول ابن عبـاس والضحاك وغيرهمـا لا لربه عز وجـل . اذ مغاضبه الله معاداه له ومعاداه الله كفـر لا تليق بالمؤمنين فكيف بالانبياء) .

وقد روى عن ابن عباس : ان ارسال يونس ونبوته انما كان بعد ان نبـذه الحوت واستدل من الايه بقولـــه : (فنبذناه بالعراء وهو سقيم . وأنبتنـــا عليه شجره من يقطين . وارسلناه الى مئة الف او يزيدون) . . .

ويستدل ايضا بقوله (ولا تكن كصاحب الحوت) وذكر القصه ثم قـــال : (فاجتباه ربه فجعله من الصالحين) فتكون هذه القصه انها قبل نبوته) (١) .

والنسفي ذهب الى ما ذهب اليه الزمخشرى . (٢)

وصاحب المواقف قال ان غضبه كان على قوم كفره وقوله (فظن ان لن نقـدر عليه) اى لن نضيق عليه (انى كنت من الظالمين) اى لنفس بترك الاولى (ولا تكـن كصاحب الحوت) فى قلة الصبر) (٣)

وهكذا يفهم من كلام الرازى فى عصمة الانبياء . (٤)

---

(١) الشفا جـ : ٢ ص : ٢٤٦ ــ ٢٤٧

(٢) انظر تفسير النسفى جـ : ٢ ص : ٨٧ جـ : ٤ ص : ٢٨

(٣) المواقف ص : ٦٤

(٤) انظر المصطلرازى ٢ص ٨٣ ــ ٨٤

المبحث الرابع

موقف السلف

روى ابن جرير عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى (وذا النون اذ ذهب مغاضبا ....) الايه - يقول اى ابن عباس غضب على قومه وكذلك روى عن الضحاك حيث قال : اما غضبه فكان على قومه .

وذكر رأيا آخر وهو انه ذهب عن قومه مغاضبا لربه اذ كشف عنهم العذاب بعد ما وعدهموه وعزاه الى ابن عباس اذ روى عنه انه قال (بعثه الله يعني يونس الى أهل قريته فردوا عليه ما جاءهم به وامتنعوا فلما فعلوا ذلك اوحى الله اليه اني مرسل عليهم العذاب في يوم كذا وكذا فاخرج من بين اظهرهم فاعلم قومه الذى وعده الله من عذابه اياهم فقالوا : ارمقوه فان خرج من بين اظهركم فهو والله كائن ما وعدكم فلما كانت الليله التي وعدوا بالعذاب في صبحها (ولج ورآه القوم فخرجوا من القريه الى براز من ارضهم وفرقوا بين كل دابه وولدها ثم عجوا الى الله فاستقالوه فاقالهم وتنظر يونس الخبر عن القريه واهلها حتى مر به مار ، فقال : ما فعل اهل القريه ؟ فقال : فعلوا ان نبيهم خرج من بين اظهرهم عرفوا انه صدقهم ما وعدهم من العذاب فخرجوا من قريتهم الى براز من ....

...... واخر عنهم العذاب قال : فقال يونس عند ذلك وغضب والله لا ارجع اليهم كذابا أبدا وعدتهم العذاب في يوم ثم رد عنهم ومضى على وجهه مغاضبا) (١)

قلت : ان هذه الروايه ليس فيها نص على انه ذهب مغاضبا لربه وانما هذا فهم ابن جرير . ولقد روى روايات عن سعيد بن جبير والشعبي يرون انه ذهب مغاضبا لربه (٢) وابن كثير يرى انه ذهب مغاضبا لقومه قال : (فخرج من بين اظهرهم مغاضبا لهم .... (٣)

وذكر ان الضحاك يرى ذلك قال : (وقوله (اذ ذهب مغاضبا) قال الضحاك لقومه .... (٤) .

وأما ابن قتيبه فلا يرى أنه ذهب مغاضبا لقومه ويتعجب من هذا القول بقوله (فان كان نبي الله (ص) ذهب مغاضبا على قومه قبل أن يؤمنوا فانما راغم من استحق في الله ان يراغم وهجر من وجب أن يهجر وأعتزل من علم ان قد حقت عليه كلمه العذاب فبأي ذنب عوقب بالتهام الحوت والحبس في الظلمات والغم

---

(١) تفسير الطبري ج : ١٧ ص : ٧٦-٧٧

(٢) تفسير الطبري ج : ١٧ ص : ٧٧

(٣) تفسير ابن كثير ج : ٣ ص ١٩١

(٤) تفسير ابن كثير ج : ٣ ص ١٩٢

الطويل؟ و ما الأمر الذى الام فيه فنماه الله عليه اذ يقول (فالتقمه الحوت وهــو مليم) الصافات : ١٤٢ ـ والمليم الذى اجرم جرما استوجب به اللوم ولم اخرجــه من اولى العزم من الرسل حين يقول لنبيه (ص) فأصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحـب الحوت) ق : ٤٨ وان كان الغضب عليهم بعد كان آمنوا فهذا اغلظ مما انكروا وافحش مما استقبحوا كيف يجوز ان يغضب على قومه حين آمنوا ولذلك انتخبت وبه بعث واليه دعــا . . . . . ؟

وما الفرق بين عدو الله ووليه ان كان وليه يغضب من ايمان مائة الف او يزيدون ؟)(١)

كما أنه لا يرى انه ذهب مغاضبا لربه (ولم يذهب مغاضبا لربه ولا لقومه)(٢)

وما يراه ابن قتيبه (هو قوله و معنى المغاضبه ههنا الانفه لا ن الانــف من الشيء يغضب فتسمى الانفه غضبا والغضب أنفه اذ كان كل واحد يسبب مــن الاخر تقول غضبت لك من كذا وانت تريد انفت) (٣)

ثم قال (فكأن نبي الله (ص) لما اخبرهم عن الله أنه منزل العــذاب لأجــل ، ثم بلغه بعد مضي الأجــل أنه لم يأتيهم ما وعدهم خشي أن ينســي الى الكذب ويعير به ويحق عليه لا سيما ولم تكن قريه آمنت عند حضور العـــذاب فنفعها ايمانها غير قومه قد خلته الأنفه والحميه وكان مغيظا بطول ما عانـــاه

---

(١) تأويل مشكل القرآن ص : ٤٠٥ـ٤٠٦

(٢) " " " ص : ٤٠٥

(٣) " " " ص : ٤٠٦

من تكذيبهم وهزئهم واذا هم واستخفافهم بامر اللـــه .

. . . . . فمضى على وجهه مضى الآبـــق الغضبان يقول سبحانه وتعالـــــى (وان يونس لمن المرسلين اذ أبق الى الفلك المشحون) الصافات ١٤

فعاقبه الله عن حميته وانفته وكراهيته العفو عن قومه وقبول انابتهـــم بالحبس والتضييق عليه فى بطن الحوت) (١) .

وابن تيميه كلامه قريب من كلام بن قتيبه قال (وذا والنون شهد ما حصـــل من التقصير فى حق الالوهيه بما حصل من المغاضبه وكراهية انجاء اولئك ففـــى ذلك من المعارضه فى الفعل لحب شىء آخر ما يوجب تجريد محبته لله وتألهـــه له وان يقول (لا اله الا انت) فان قول العبد :لا اله الا انت ، يمحو ان يتخـــذ الهه هواه . . . . . فكمل يونس صلوات الله عليه تحقيق الهيته لله ومحوالهوى الذى يتخذ الها من دونه ، فلم يبق له صلوات الله عليه وسلامه عند تحقيق قولـــه لا اله الا انت اراده تزاحم الهيه الحق بل كان مخلصا لله الدين اذ كان من افضل عباد الله المخلصين) (٢)

---

(١) تأويل مشكل القرآن ص : ٤٠٨ — ٤٠٩

(٢) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ج : ١٠ ص : ٢٨٧

وقال ايضا (.. والمقصود هنا أن ما تضمنته (قصه ذى النون) ممـــا يلام عليه كله مغفور يدلـه الله به حسنات ورفع درجاته وكان بعدخروجه من بطـــن الحوت وتوبته اعظم درجه منه قبل ان يقع ما وقع قال تعالى (فاصبر لحكم ربـــك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم لولا أن تداركه نعمه من ربـــــه لنبذ بالعراء وهو مذموم ،فاجتباه ربه فجعله من الصالحين) وهذا بخلاف حـال التقام الحوت فانه قال (فالتقمه الحوت وهو مليم) فاخبر انه فى تلك الحال مليـــم والمليم الذى فعل ما يلام عليه فالملام فى تلك الحال لا فى حال نبذه بالعـــراء وهوسقيـــم فكانت حاله بعد قوله : (لا اله الا انت سبحانك انى كنت مـــن الظالمين) ارفع من حاله قبل ان يكون ما كان والاعتبار بكمال النهايه لا بما جرى فى البدايه ، والاعمال بخواتيمهـــا) . (١)

كما ان ابن تيميه اشار الى الرأى الذى يقول أن القام كان قبل النبـوه والذى ذكرته عن القاضى عياض سابقا قال مشيرا الى ذلك (والانبياء صلوات اللـه عليهم وسلامه كانوا لا يؤخرون التوبة بل يسارعون اليها ، ويسابقون اليها ، لا يؤخرون ولا يصرون على الذنب بل هم معصومون من ذلك ومن اخر ذلك زمنا قليلا كفر اللـــه ذلك بما يبتليه به كما فعل بذى النون (ص) هذا على المشهور ان القام كان بعـــد النبوه ، واما من قال ان القام كان قبل النبوة فلا يحتاج الى هذا) (٢) .

---

(١) مجموع الفتاوى ج : ١٠ ص : ٢٩٩

(٢) " " ج : ١٠ ص : ٣٠٩

وعلى كل حال فالذى يهمنا فى بحثنا فى هذا الموضوع ان يونس وقـــع منه ما يلام عليه لقوله تعالى (وهو مليم) والله عز وجل وان كان يبتلى الانســان المؤمن ابتلاء بلا سبب بل ليرفع درجته ويعلى منزلته ولكن ههنا بين سبحانـــه سبب التقام الحوت لـــه . .

ولكن يونس عليه السلام وفقه الله سبحانه وتعالى الى التوبه والاستغفـار ورفع بذلك درجته ويكون ما وقع من يونس لا يخالف مفهوم العصمة عند السلـــف الذين يقولون ان العصمة هى عدم الاقرار على المعصيه والله اعلـــم .

واما قوله تعالى (فظن ان لن نقدر عليه) فاجمع المفسرون على ان المعنى ان لن نضيق عليه قال ابن جرير (واولى هذه الاقوال فى تأويل ذلك عندى بالصواب قول من قال عنـــى بـــه فظن يونس ان لن نحبســـه ونضيق عليه عقوبة له) (١)

وانما قلنا ذلك اولى بتأويل الكلمه لانه لا يجوز أن ينسب الى الكفـــر وقد اختاره لنبوتـــه . . . .) (١)

وقال ابن قتيبه (فظن ان لن نقدر عليه) اى لن نضيق عليه وان نخليـــه ونهمله وكذا قال ابن كثير (٢) . وهذا هو الرأى الصحيح الذى اراه ـ والله اعلـــم .

---

(١) تفسير الطبرى جـ : ١٧ ص : ٧٩

(٢) تأويل مشكل القرآن ص : ٤٠٨

(٢) تفسير ابن كثير جـ : ٣ ص : ١٩٢

الفصل التاســــــــع

ما جـــاء عن محمد (صلى الله عليه وسلم)

ويشتمل على ما يلـــــى

========

المبحــــث الاول

قصة الفرانيــق ودحضهـــــــــا

قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمـــــنى القـــى الشيطان فى امنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياتـــه والله عليم حكيم) (١)

تصوير الشبهــــه :ـ

الشبهه فى سبب نزول هذه الآيه وهى ما تسمى قصة الفرانيق والروايـــات التى تذكر هذه الحكايه متعدده وهى فى مجموعها تذكر أن النبى صلى الله عليـــه وسلم عندما كان يقرأ سورة النجم وبلغ قوله (أفرأيتم اللات والعزى مناة الثالثه الاخرى)(٢) القى الشيطان : ان " تلك الفرانيق العلى ومنها الشفاعه ترتجى فجعـــل يتلوها فنزل جبريل فنسخها ثم نزلت الاية (وما ارسلنا من قبلك ...)

وفى روايه أنه قالها وهو ساه . (٣)

---

(١) ســـورة الحج ايه ٥٢ .

(٢) ســـورة النجم ايه ١٩ ـ ٢٠ .

(٣) انظر تفسير الطبرى : ج : ١٧ ص : ١٨٧ .

وفى روايه ان قريش طلبت منه ان يذكر الهتهم بشىء حتى يجالسوه فالقى الشيطان فى امنيته .

وفى روايه انه كان يتمنى فى نفسه أن يأتيه ما يقارب بينه وبين قومه وكان يسره مع حبه وحرصه عليهم ان يلين له بعض ما غلظ عليه من امرهم حين حدث بذلك نفسه فلما نزلت عليه سورة النجم وبلغ قوله (افرأيتم اللات . . . .) قال ما قال . . . . . حتى نزل عليه جبريل (١)

---

(١) تفسير الطبرى ج : ١٧ ص : ١٨٧ — ١٨٩

موقف المعتزلـــه :

اجاب القاضى عبد الجبار عن الشبهـــه السابقـــه (مفسرا قوله تعالـــى (وما ارسلنا ......) قال : (وجوابنا ان المراد اذا تلا القرآن يلحقـــه السهو فى قراءته وذلك معروف فى اللغه فلذلك قال بعد (فينسخ اللــه ..) ولو كان المراد غيرما ذكرنا من التلاوه لم يصح ذلك.

فامـا ما يرويه الحشوية من أنه صلى الله عليه وسلم ذكر فى قراءته اصنامهم وقال ان — الغرانيق العلا شفاعتهن ترتجى حتى فرح الكفار فلا أصل له ومثل ذلك لا يكـــون الا من دسائس الملاحده فبين تعالى بذلك ان السهو فى القراءه جائز على النبى صلى الله عليه وسلم وانه من بعد يبين الفصل من السهو وبين الصحيح منه ولذلك قال بعـــده (وليعلم الذين اوتو العلم أنه الحق من ربك) (١) (٢).

ولكن الزمخشرى من المعتزله لم يسر على منهج القاضى عبد الجبـــار فيرد قصة الغرانيق بل ذكرها سببا للنزول قال (والسبب فى نزول هذه الآيـــه ان الرسول الله (ص) لما اعرض عنه قومه وشاقوه وخالفه عشيرته ولم يشايعوه علـــى

---

(١) سوره الحـــج ايـــه (٥٤)

(٢) تنزيه القرآن عن المطاعن ص : ٢٧٣ — ٢٧٤

ما جاء به تمنى لفرط ضجره من اعراضهم ولحرصه وتهالكه على اسلامهم أن لا ينزل عليه ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقا الى استمالتهم واستنزالهم عن غيهم وعنادهم فاستمر به ما تمناه حتى نزلت عليه سورة النجم وهو فى نادى قومه وذلك التمنى فى نفسه فاخذ يقرؤها فلما بلغ قوله ـ ومناة الثالثه الاخرى ـ القى الشيطان فى امنيته) التى تمناها اى وسوس اليه بما شيعها به فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط الى ان قال : تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى . . . حتى ادركته العصمه فتنبه عليه . وقيل نبهه جبريل ، او تكلم الشيطان بذلك فاسمعه الناس فلما سجد فى آخرها سجد معه جميع من فى النادى وطابت نفوسهم وكان تمكين الشيطان من ذلك محنه من الله وابتلاء زاد المنافقون به شكا وظلمه والمؤمنون نورا وايقانا) (١)

وما قاله الزمخشرى تناوله كثير من العلماء المحققين بالرد والابطال كما سيأتى بيانه ان شاء الله . وسبق ان ذكرنا رد القاضى عبد الجبار على هذه الحكايه . .

هذا ولم يتعقب الشيخ احمد فى كتابه الانصاف على الزمخشرى فى هذا الموضع .

---

(١) الكشاف ج : ٣ ص : ١٩

موقف الاشاعره :

ومن الذين ردوا ما ذكره الزمخشرى من قصة الغرانيق النسفى فى تفسيره فبعد ان ذكر القصة قال : (وهذا القول غير مرضى لانه لا يخلوا اما ان يتكلم النبى صلى الله عليه وسلم بها عمداً (وانه لا يجوز) لانه كفرولانه بعث طاعنا للاصنام لا مادحا لها .

أو اجرى الشيطان ذلك على لسان النبى (ص) جبراً بحيث لا يقدر على الامتناع منه وهو ممتنع لأن الشيطان لا يقدر على ذلك فى حق غيره لقوله تعالى : (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان) (١) ففى حقه اولى . أو اجرى ذلك على لسانه سهوا او غفله وهو مردود ايضا لانه لا يجوز مثل هذه الغفله عليه فى حال تبليغ الوحى ولو جاز ذلك لبطل الاعتماد على قوله ولانه تعالى قال فى صفة المنزل عليه (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) (٢) وقال : انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) (٣) فلما بطلت هذه الوجوه لم يبق الا وجه واحد وهو انه عليه السلام سكت عند قوله (ومناة الثالثه الاخرى) فتكلم الشيطان بهذه الكلمات متصلا بقراءة النبى (ص) فوقع عند بعضهم انه عليه السلام هو الذى تكلم بها فيكون هذا القاء فى قراءة النبى عليه السلام وكان الشيطان يتكلم فى زمن النبى عليه السلام ويسمع كلامه فقد روى انه نادى يوم احد لا ان محمدا

---

(١) سوره الحجر ايه ٤٢

(٢) فصلت ايه ٤٢

(٣) سورة الحجر ايه ٩

قد قتل وقال يوم بدر لا غالب لكم اليوم واني جار لكم (فينسخ الله ما يلقى الشيطان) اى يذهب به ويبطله ويخبر انه من الشيطان (ثم يحكم الله اياته) اى يثبتها ويحفظها من لحوق الزياده من الشيطان) (١)

كما رد القصة من اساسها القاضي عياض وذكر اوجها قويه لردها وسنلخص ما قاله :ـ

١ ـ أن الحديث لم يخرجه أحد من اهل الصحه ولا رواه ثقة بسند سليم متصل .

٢ ـ الروايات مضطربة وفيها انقطاع فى السند ووجه الاضطراب ان راويا يقول فى الصلاه وآخر يقول قالها فى نادى قومه وآخر يقول قالها وقد اصابته سنه وآخر يقول بل حدث نفسه فسها وآخر يقول ان الشيطان قالها على لسانه الى غير ذلك من الاختلافات.

٣ ـ لم يسند الروايه احد ولم يرفعها الى صاحب والمرفوع الى ابن عباس فيه قال : فيما احسب ـ الشك فى الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكه وذكر القصه.

٤ ـ ان الحديث الذى روى فى الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ (والنجم وهو بمكه فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس) (٢)

---

(١) تفسير النسفى ج : ٣ ص : ١٠٦-١٠٧

(٢) اى أن الحديث الصحيح لم يتطرق الى قصة الغرانيق ولو كانت صحيحه لذكرها البخارى في كتابه والحديث المذكور ذكره البخارى في صحيحه انظر فتح البارى ج : ٨ ص ٦١٤

٥ ـ اجمعت الامه على عصمته من الكفر وتنبيه مدح الالهه وأن ينزل في ذلك قرآن يتلى كفر.

٦ ـ عصمته من أن يشبه عليه الشيطان فينزل عليه ما يوهمه انه قرآن .

٧ ـ عصمته (ص) من أن يتعمد أن يقول ذلك لان ذلك كفر.

٨ ـ قوله تعالى (ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين) (١)

٩ ـ استحاله القصه نظرا وعرفا ووجه الاستحاله تناقض الكلام مع بعضه البعض فهو تارة يمدح الألهه ثم يكر عليها بالذم وذلك لا يستقيم في موضع واحد ولا يخفى على اهل البلاغه وصناعة الكلام.

١٠ ـ توفر دواعي الانتشار لهذه القصه وهي مع هذا لم تذكرالا بروايات خفيفه كما سبق .

١١ ـ ذكر الرواة لهذه القضيه ان فيها نزلت (وان كادوا ليفتنونك عن الذى اوحينا اليك لتفترى علينا غيره واذا لا تخذوك خليلا) (٢) وهاتان الآيتان تردان الخبر الذى رووه لانه روى عن ابن عباس : كلما في القرآن ((كاد)) فهو مالا يكون قال تعالى (يكاد سنابرقه يذهب بالابصار) (٣) ولم يذهب و (اكاد اخفيها) (٤) ولم يفعل) (٥)

==========================

(١) سوره الحاقه ايه ٤٤-٤٥

(٢) سورة الاسراء ايه ٧٣

(٣) سوره النور ايه ٤٣

(٤) سوره طه ايه ١٥

(٥) انظر الشفا ج : ٢ ص : ٢٨٨ — ٢٩٥ — ٢٩٧

ولقد بين القاضي عياض وجوها على فرض التسليم بالروايه لاتقـــدح فـــي العصمة منها :ـ

(١) ان النبي صلى الله عليه وسلم قاله اثناء التلاوه على تقدير التقريـــر والتوبيخ للكفار كقول ابراهيم عليه السلام (هذا ربي) .... وعـــزا هذا القول الى القاضي ابو بكر .

(٢) ان الشيطان قلد صوت النبي (صلى الله عليه وسلم) وذكر ذلك في سكتاته (صلى الله عليه وسلم) وعزا هذا القول الى موسى بن عقبه في مغازيـه (١) وهناك وجوه اخرى بعيده جدا اضربت عن ذكرها .

واجاب ابن العربي في رد قصة الغرانيق باجوبة قريبة من اجوبة القاضـــي عياض وان النبي (صلى الله عليه وسلم) معصوم من الكفر أو تمنى الكفر ويرى أن ـ تفسير الايه الصحيح كما قال (فاخبر الله تعالى أن من سنتـــه في رسله وسيرتـــه في أنبيائه انهم اذا قالوا عن الله قولا زاد الشيطان فيه من قبل نفسه.......

فهذا نص في ان الشيطان زاد في الذي قاله النبي (صلى الله عليه وسلم) لا أن النبي قاله وذلك ان النبي (صلى الله عليه وسلم) كان اذا قرأ تلا قرآنـــا

---

(١) الشفا جـ ٢ : ص ٢٩٩ — ٣٠٠

مقطعا وسكت فى مقاطع سكوتا محصلا . . . . فيتبع الشيطان تلك السكتات التـــى بين قوله (ومناة الثالثه الاخـــرى) وبين قوله تعالى (الكم الذكر وله الانثـــى) فقال ــ يحاكى صوت النبى (ص) وانهن الغرانقة العلا وان شفاعتهن لترتجى) (١)

والذى قاله ابن العربى ذهب اليه ايضا فخر الدين الرازى ورجحـــــه وابطل ما ابطله القاضى عياض وابن العربى (٢) اعنى قصة الغرانيـــق .

كما رجح ذلك القرطبى فى تفسيره فبعد ان ذكر ذلك التأويل والـــــذى سبق ان ذكرناه عن ابن العربى قال (٣) (وهذا التأويل احسن ما قيل فـــى هذا)وقال ايضا ناقلا عنه (واما غيره من التأويلات مما حكاه قوم ان الشيطـــــان اكرهه حتى قال كذا فهو محال اذ ليس للشيطان قدره على سلب الانسان الاختيار قال الله تعالى مخبرا عنه (وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لـــى) (٤) .

---

(١) احكام القرآن ج : ٣ ص : ١٣٠٢ ــ ١٣٠٣

(٢) عصمه الانبياء للرازى ص : ٩٣

(٣) تفسير القرطبى حـ : ١٢ ص : ٨٣

(٤) سورة ابراهيم ايه (٢٢) .

موقـف السلــــف :

قال الطبرى مفسرا الايه وهى قوله تعالى (وما ارسلنا من قبلك من رســول ولا نبى . . . . الايه (١)

فتأويل الكلام اذن : وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تلا كتاب الله وقرأ او حدث وتكلم القى الشيطان فى كتاب الله الذى تلاه وقرأه او فـى حديثه الذى حدث وتكلم فينسخ الله ما يلقـى الشيطان) يقول تعالى فيذهـب الله ما يلقى الشيطان من ذلك على لسان نبيه ويبطله) (٢) .

ولقد امتدح ابن العربى هذا التفسير فقال (وما هدى لهذا الا الطبرى بجلالة قدره وصفاء فكره وسعة باعه فى العلم وكأنه اشار الى هذا الغرض وصـــوب على هذا الرمى فقرطس بعدما ذكر فى ذلك روايات كثيره كلها باطله لا اصل لهـا ولو شاء ربك لما رواها احد ولا سطرها) (٣)

نعم لقد ذكر الطبرى روايات كثيره باطله قال ابن كثير (قد ذكر كثير مـــن المفسرين هنا قصه الغرانيق وما كان من رجوع كثير من المهاجره الى ارض الحبشه ظنا منهم ان مشركى قريش قد اسلموا ولكنها من طرق كلها مرسله ولم ارهـــــــا

---

(١) سوره الحـج ايه ٥٢

(٢) تفسير الطبرى ج : ١٧ ص : ١٩٠

(٣) احكام القرآن ج : ٣ ص : ١٣٠٣

مسنده من وجه صحيح والله اعلم) (١)

وسبق ان نقلنا ما قاله القاضي عياض ،وقال ابن خزيمه هذا من وضع الزنادقه عندما سئل عن هذه القصه وقال البيهقي هذه القصه غيرثابته من جهه النقل (٢) .

أما الحافظ بن حجر فقال في الفتح (وقد تجرأ ابو بكر بن العربي كعادته فقال : ذكرا الطبري في ذلك روايات كثيره باطله لا اصل لها وهو اطلاق مردود (٣))

ثم قال (وجميع ذلك لا يتمشى على القواعد فان الطرق اذ كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على ان لها اصلا وقد ذكرت ان ثلاثه اسانيد منها على شرط الصحيح وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل وكذا من لا يحتج به من الاعتضاد ببعضها ببعض) (٣)

وهذا الكلام من الحافظ ابن حجر رد عليه الشيخ محمد ناصر الالباني في رسالته وبين ان تقويه الحديث بكثره الطرق ليس قاعده مضطرده وذكر ان ذلك مذهب ابن كثير وقد سبق ان بيناه .

---

(١) ابن كثير ج : ٣ ص ٢٢٩

(٢) فتح القدير ج ٣ ص: ٤٦٢

تفسير الكبير للفخر الرازي ج : ٢٣ ص : ٥٠

(٣) فتح الباري كتاب التفسير ج : ٨ ص: ٤٣٩

وقال (فان ابن كثيـــر يعلم ان بعض هذه المراسيل التى اشار اليها اسانيد ها صحيحه الى مرسلها فلو كان بعضها يعضد بعضا عنده وتقوى القصه بذلك لمـــا ضعفها بحجة انه لم يرها مسنده من وجـــه صحيح وهذا بين لا يخفـــى .

ثم ان الغريب ان الحا فـــظ بن حجر مع ذهابه الى تقوية القصه يرى ان ـــ فيها ما يستنكر وانه يجب تأويلـــه) ثم قال ايضا (فينتج من ذلك ان الحافـــظ رحمه الله قد سلم ان الشيطان لم يتكلم على لسان النبى (صلى الله عليه وسلـــم) بتلك الجمله وانما القاها الشيطان بلسانه فى سكتة النبى صلى الله عليه وسلم فهذا لا يتفـــق المتبع القول بصحة القصه او ان لها اصلا فان كان يريد بذلك ان لها اصـــلا فى الجملة اعنى بدون هذه الزياده فهذا ليس هو موضع خلاف بينه وبين العلماء الذين رد عليهم قولهم ببطلان القصه وانما الخلاف فى هذه الجمله التى تزعـــم الروايات أن الشيطان القاها على لسانه صلى الله عليه وسلم فان قد صرح الحافظ بانكارهـــا وتنزيه النبى (ص) عنها فنستطيع ان نقول . . . . ان الحافظ متفق مع ابن كثيـــر وغيره ممـــن سبقه ولحقه ـــ على انكار القصه على ما وردت فى الروايات التى صححها الحافظ واما ما يعنى منها مما لا يتنافى مع عصمة النبى (ص) فلا خلاف فى امكـــان وقوعها بل الظاهر ان هذا القدر هو الذى وقع بدليل ظاهر آيه الحـــج حسبمـــا

تقدم تفسيرها فى اوائل الرساله) (١) .

والذى ذكره الالبانى فى اوائل الرساله هو ما اختاره ابن القيم فى اغاثـــة اللهفان تفسيرا لهذه الاية وهى قوله (وما ارسلنا من قبلك . . . . . .) (٢)

قال ابن القيم : (ومنها أن الله سبحانه اخبر أنه ما ارسل من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته؛ السلف كلهم على ان المعنى : اذا تلا القى الشيطان فى تلاوتـــه .

قال الشاعر فى عثمان :ــ

تمنى كتاب الله فى اول ليلـــه . . . وآخره لاقى حمـــام المقادر) (٣)

وقال الالبانى ايضا) (نعم يرد على الحافظ هنا اعتراضان :ــ

---

(١) نصب المجانيق [illegible]
محمد ناصر الدين الالبانى ص : ٣٣–٣٤

(٢) سورة الحج ايه ٥٢

(٣) اغاثه اللهفان من مصائد الشيطان ج : ١ ص : ١١٠

الاول : تلبيسه العباره فى انكار تلك الزياده لانه انما انكرها بطريق تأويلها ؛ وحقه أن ينكرها من أصلها لان التأويل الذى زعمه ليست تفيده تلك الزياده اصلا لان الحافظ يقول : (ان الشيطان هو الذى القى بلسانه فى سكتة النبى (صلى الله عليه وسلم) وهى تقول ان الشيطان القى على لسان النبى (ص) فاين هذا من ذلك ؟ .

الثانى تشنيعه على القول على ابن العربى والقاضى عياض لانكارهما القصة مع أنه يعلم أنهما انكراها لما فيها من البواطيل التى لا تتفق مع القول بعصمة الرسول الكريم منها هذه الزياده التى وافقها الحافظ على استنكارها مع فارق شكلى وهو أنهما كانا صريحين فى انكارها من اساسها بينما الحافظ انما انكرها بطريق تأويلها ...) (١)

كما أن شيخ الاسلام ابن تيميه ذكر فى الفتاوى عصمة الانبياء فيما يبلغونه عن الله عز وجل وانها ثابته ولكن قد يلقى الشيطان فى تلاوه النبى فينسخ الله عز وجل ما يلقى الشيطان قال : (والعصمه فيما يبلغونه عن الله ثابته فلا يستقر فى ذلك خطأ باتفاق المسلمين ولكن هل يصدر ما يستدركه الله فينسخ ما يلقى الشيطان ويحكم الله آياته ؟ .

---

(١) نصب المجانيق ص ٣٥

هذا فيه قولان : والمأثور عن السلف يوافق القرآن بذلك، والذين منعوا ذلك من المتأخرين طعنوا فيما ينقل من الزياده فى سوره النجم تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى) وقالوا ان هذا لم يثبت ، ومن علم انه يثبت : قال هذا القاه الشيطان فى مسامعهم ولم يلفظ به الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

وقالوا فى قوله (الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته) (١) هو حديث النفس) (٢) .

وهذا القول الاخير وتفسير الايه بان حديث النفس انتقده الشيخ فقال :

(واما الذين قرروا ما نقل عن السلف فقالوا هذا منقول نقلا ثابتا ولا يمكن القدح فيه والقرآن يدل عليه بقوله (وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته . فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسيه قلوبهم) (٣)

فقالوا الآثار فى تفسير هذه الايه معروفه ثابته فى كتب التفسير والحديث والقرآن يوافق ذلك فان نسخ الله لما يلقى الشيطان واحكامه آياته

---

(١) سوره الحج ايه ٥٢

(٢) مجموع الفتاوى ج : ١٠ ص : ٢٩٠ — ٢٩١

(٣) سوره الحج ايه ٥٢ — ٥٣

انما يكون لرفع ما وقع في آياته وتمييز الحق من الباطل حتى لا تختلط آياته بغيرها وجعل ما القى الشيطان فتنه للذين في قلوبهم مرض والقاسيه قلوبهم انما يكون اذا كان ذلك ظاهرا يسمعه الناس لا باطنا في النفس والفتنه التي تحصل بهذا النوع من النسخ من جنس الفتنه التي تحصل بالنوع الاخر من النسخ) (١)

وهذا الذى ذكره شيخ الاسلام هو الذى يتفق مع ما قاله العلماء السابقون اذا كان يقصد ان النبى (ص) لم يلفظ بالزياده المذكوره وهى (تلك الغرانيق العلى .....) وهو ما فهمته من كلامه وفهمه ايضا محمد ناصر الدين الالباني فقال : (وبعد كتابه ما تقدم رأيت شيخ الاسلام ابن تيميه يميل الى تثبيت القصه بالقدر المذكور وان قوله : تلك الغرانيق العلى ....) لم يلفظ به الرسول (ص) وانما القاه الشيطان في اسماعهم راجع كلامه في الفتاوى) (٢) .

ولكن شيخ الاسلام غفر الله له قال في منهاج السنه (وهم معصومون في تبليغ الرساله باتفاق المسلمين بحيث لا يجوز ان يستقر في ذلك شيء من الخطأ وتنازعوا هل يجوز ان يسبق على لسانه ما يستدركه الله تعالى ويبينه له بحيث

---

(١) مجموع الفتاوى جـ : ١٠ ص : ٢٩١ — ٢٩٢

(٢) نصب المجانيق ص : ٣٤

بحيث لا يقره على الخطأ كما نقل أنه القى على لسانه (صلى الله عليه وسلم) تلك الفرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ثم ان اللـــه نسخ ما القاه الشيطان واحكم آياته فمنهم من لم يجوز ذلك ومنهم من جوزه اذ لا محذور فيه فان الله تعالى ينسخ ما يلقى الشيطان ويحكم الله آياتــه والله عليم حكيم ليجعل ما يلقى الشيطان فتنــه للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم) (١) .

فالذى يظهر ان شيخ الاسلام لا يرى ان النبى (صلى الله عليه وسلم) تلفظ بتلك الزياده وانما القاها الشيطان كما سبق ان نقلنا نصه على نفى ان يكون النبى (صلى الله عليه وسلم) قد تلفظ بتلك الزياده اذ قال (ومن علم انه ثبت قال : هذا القاه الشيطان فى مسامعهم .

ولم يلفظ به الرسول صلى الله عليه وسلم) (٢) والمقصود أن العلماء قد ردوا قصة الفرانيق وان النبى صلى الله عليه وسلم قد تلفظ بذلك . وهذا هو الصحيح والله اعلم ..

---

(١) منهاج السنه جـ : ١ ص : ١٣٠

(٢) مجموع الفتاوى جـ د ١٠ ص ٢٩١

المبحث الثاني

الايات التي تتحدث عن مغفرة الله لنبيه

وطلبة الاستغفار

قال تعالى " انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر .. " (١)

وقال تعالى " .. واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات " (٢)

وقال تعالى " ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك " (٣) .

---

(١) سورة الفتح اية ١ ـ ٢ .

(٢) سورة محمد اية ١٩ .

(٣) سورة الشرح اية ١ ـ ٣ .

موقف المعتزلة :ـ

قال القاضي عبد الجبار : " وربما قيل في قولة من قبل " ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر " (١) كيف يجوز فيما لم يقع من الذنب المتأخر ان يغفره ؟ وجوابنا ان المراد من ذنبك قبل النبوة وما تأخر عنها وكلاهما مما يقع فيصح فيه الغفران فان قيل فما تعلق الغفران بالفتح حتى يقول الله تعالى فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ؟ وجوابنا انه لا يمتنع في الفتح ان يكون سببا في طاعات عظيمه متقبلة تؤثر في غفران الذنب " (٢) .

قال الزمخشري : " ما تقدم من ذنبك وما تأخر " يريد جميع ما فرط منك وعن مقاتل ما تقدم في الجاهلية وما بعدها وقيل ما تقدم من حديث مارية وما تأخر من امرأة زيد " (٣)

قلت تخصيص الزمخشري هذا الذنب بحديث مارية وامرأة زيد لا دليل عليه ولم اجد من اشار اليه الا النسفي والالوسي (٤) ومثل هذا لا يقال بالرأى والاجتهاد بل الامر توقيفي والله اعلم ..

---

(١) سورة الفتح آية (١).

(٢) تنزية القرآن ص : ٣٩٢.

(٣) الكشاف ج : ٣ ص : ٥٤١.

(٤) روح المعاني ج : ٢٦ ص : ٩١ ..

موقـــف الاشاعــــرة :ــ

قال النسفي : " ليغفر لك الله " قيل الفتح ليس بسبب للمغفرة والتقدير انا فتحنا لك فتحا مبينا فاستغفر ليغفر لك الله ... ويجوز أن يكون فتح مكة مـــن حيث انه جهاد للعدو سببا للغفران ..

" ما تقدم من ذنبك وما تأخر " جميع ما فرط منك او ما تقدم من حديـــث مارية وما تأخر من امرأة زيــــد " (١) .

وا جاب القاضي عياض عن هذه الاية بقولة (قيل " المراد ما كان قبـــل النبوة وبعدها) وقيل المراد ما وقع لك من ذنب وما لم يقع اعلم انه مغفـــور لـــه " وقيل : " المتقدم ما كان قبل النبوة ، والمتأخر عصمتك بعدهـــــا حكاه احمد بن نصر .

وقيل : " المراد بذلك امته (صلي الله عليه وسلم) (٢) وقيل " المراد ما كان عن سهـــو وغفله حكاه الطبري واختاره القشيـــري .

وقيل : (" ما تقدم " لابيك آدم " وما تأخر " من ذنـوب امتـــك حكاة السمرقندى والسلمى عن ابن عطاء (٣)

---

(١) تفسير النسفي ج : ٤ ص : ٢٥٦ .

(٢) سيأتي الرد على ذلــــك .

(٣) سيأتي رد شيخ الاسلام على هذا القول ..

وقال القاضي عياض ايضا : " وبمثله والذى قبله يتأول قوله : " واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات " .

وقال (فمقصد الاية انك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب ان لو كان، قال بعضهم : " المغفرة هـهنا تبرئـة من العيوب " واما قوله " ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك " (١)

فقيل " ما سلف من ذنبك قبل النبوة " وهو قول ابن زيد والحسن وقيل : " معناه انه حفظ قبل نبوته منها وعصم ولولا ذلك لا ثقلت ظهره حكى معناه السمرقندى . وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره من اعباء الرسالة حتى يلغها " حكاه الماوردى والسلمى ..

وقيل : حططنا عنك ثقل الجاهلية " حكاة المكى وقيل اثقل شغل سرك وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك لك " حكى معناه القشيرى

وقيل : " معناه خففنا عليك ما حملت بحفظنا لما استحفظت وحفظ عليك "

ومعنى " انقض ظهرك " اى كاد ينقضة فيكون المعنى على من جعل ذلك لما قبل النبوه . اهتمام النبى بامور فعلها قبل نبوتة وحرمت عليه بعد النبوة فعدها اوزارا وثقلت عليه واشفق منها او يكون الوضع " عصمة الله له وكفايتة من ذنوب لو كانت لانقضت ظهره " (٢) .

---

(١) الشرح ايـة ٢ ، ٣ ..

(٢) الشفاء للقاضى عياض ج : ٢ ص : ٣٥٦ ـ ٣٥٩ ..

ولقد اجاب الرازى باجوبة قال: " جوابه انا نحمله اى قوله تعالى " ليغفر لك الله .. " على قبل النبوة او على الصغائر ولمن أباهما تأويلات :ـ"

ثم ذكر التأويلات وهى باختصار :ـ

١ ـ المراد ما تقدم من ذنب امتك وما تأخر.

٢ ـ ترك الاولى يسمى ذنبا (١).

٣ ـ ان الذنب مصدر ويجوز اضافتة الى الفاعل والمفعول فكان المراد ليغفر لاجلك وببركتك ما تقدم من ذنبهم فى حقك.

٤ ـ ان المراد لوكان لك ذنبا لغفرتة لك.

٥ ـ انه (صلى الله عليه وسلم) بتقدير الاقدام على الذنب كان يتوب عنه فان الاصرار على الذنب منفى عنه بالاجماع والتائب من الذنب كمن لا ذنب له." (٢)

قلت : اما القول بان ما تقدم من ذنبك المراد قبل النبوه فهذا لادليل عليه بل الامر عام ما قبل النبوة حتى فتح مكة وما تأخر من بعد نزول الايات والله اعلم وأما حمله على الصغائر فلا بأس بهذا القول.

---

(١) انظر تفسير ابى السعود ج : ٨ ص : ١٠٤.
انظر صفوة التفاسير ج : ٣ ص : ٢١٨.
روح المعانى ج : ٢٦ ص : ٩١.

(٢) عصمة الانبياء للرازى ص ١٠٣..

واما قولهم ما تقدم من ذنب امتك وما تأخر فهذا القول باطل وغير صحيح لان القرآن كلام عربي مبين فلو اراد ذنوب الامة لما قال " ذنبك " ولقال ذنوبهم وايضا فالله عز وجل يقول " ولا تزر وازرة وزر اخرى " وسيأتي كلام شيخ الاسلام على مثل هذه التأويلات .

اما الجواب الرابع وهو قوله لو كان لك ذنب لغفرته لك فلا تفيد الاية هذا المعنى بل معنى الاية واضح لا لبس فيها ولا تحتمل مثل هذا التأويل المتكلف .

واما القول بان ترك الاولى يسمى ذنبا فليس صحيح وقد اشار الى ذلك شيخ الاسلام فقال (والاستغفار والتوبة قد يكونان من ترك الافضل . فمن نقل الى حال افضل مما كان عليه قد يتوب من الحال الاول ، لكن الذم والوعيد لا يكون الا على ذنب) (١) فمن هذا الكلام نفهم ان ترك الاولى لا يسمى ذنبا وان كنا نتوب ونستغفر منه .

واما الجواب الخامس فجيد وليته سار على هذا المنهج وترك التكلف في الجواب .

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ج : ١٠ ص ٢١٦

موقف السلف :ـ

أما ابن جرير الطبرى فلقد فسر قوله تعالى " ما تقدم من ذنبك وما تأخر " (١) ان المراد ما تقدم من ذنبك قبل الفتح وما تأخر بعد الفتح .

ويرى أن معنى قوله تعالى (ليغفر لك) ان المطلوب من النبي الاستغفار ليغفر له ويستدل على ذلك بقولة تعالى " اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا " (٢) . والشاهد في الاية قوله " واستغفره " وذلك بعد الفتح .

وبين ان وجه الدلاله أن الاية الاولى لو كانت خبرا بوقوع المغفرة بالاستغفار لما امره في الاية الثانية بالاستغفار . ولما استغفر النبي (صلى الله عليه وسلم) وقد ثبت ذلك عنه لان استغفاره آنذاك وقد غفر له لا معنى له يعقل فالاستغفار معناه : طلب العبد من ربه عز وجل غفران ذنوبه فاذا لم يكن ذنوب تغفر لم يكن لمسألته اياه غفرانها معنى لانه من المحال ان يقال : اللهم اغفر لي ذنبا لم اعمله . (٣)

---

(١) سورة الفتح اية (٢) .

(٢) سورة النصر ايـة (١ ـ ٣) .

(٣) تفسير الطبرى ج : ٢٦ ص : ٦٨ ..

ولقد اشتد شيخ الاسلام على الذين تأولوا الاية حتى اخرجوها عن المعنى الاصلى فقال " .. لكن المنازعون يتأولون هذه النصوص من جنس تأويلات الجهمية والباطنية كما فعل ذلك من صنف فى هذا الباب . وتأويلاتهم تبين لمن تدبرها أنها فاسدة من باب تحريف الكلم عن مواضعه . كتأويلهم قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر " المتقدم ذنب آدم والمتأخر ذنب امته وهذا معلوم البطلان ويدل على ذلك وجوه " ثم شرع في ذكر الوجوه وانا الخصها كما يلى :-

١ - ان ادم قد تاب الله عليه (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم) (١)

٢ - ان آدم من جملة موارد النزاع فهو نبي ايضا .

٣ - ان الله لا يجعل الذنب ذنبا لمن لم يفعله قال تعالى " ولا تزر وازرة وزر اخرى "

٤ - انه قد ميز بين ذنبه وذنوب المؤمنين بقوله " واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات " فكيف يكون ذنب المؤمنين ذنبا له .

٦ - ان الله لم يغفر ذنوب جميع امته بل قد ثبت ان من امته من يعاقب بذنوبه

---

(١) البقرة اية (٣٧).

اما في الدنيا واما في الاخرة وهذا مما تواتر به النقل واتفق عليه سلف الامة (١) .

وما قاله شيخ الاسلام نفيس جدا وينبغي لنا في كل ما جاء عن اللـــــه ان نقابله بالتصديق والتسليم والرضى والقبول وان نبتعد عن التحريف والتأويـل الفاسد الذي يخرج الكلام عن معناه الحقيقي ..

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام جـ : ١٠ ص : ٣٠٣ ـ ٣١٦
ومنهـــاج السنـــة جـ : ١ ص : ٢٢٧ ..

الباب الرابع

موقف أهل الكتاب من عصمة الأنبياء

ويشتمل على فصلين

الفصل الأول : موقف اليهود من عصمة الأنبياء

الفصل الثاني : موقف النصارى من عصمة الأنبياء

الفصـــــل الاول

موقف اليهود من عصمـــة الانبيـــاء

تمهيـــد :ـ

اشتهر بنو اسرائيل بايذاء الانبياء وقتلهـــم حتى صارت تلك الجريمـــة علما عليهـــم •

ولقد دمغهـــــم القرآن الكريم بهذه الجريمة النكراء في اكثر من موضع قـــال الله سبحانه وتعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل واتينـا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس افكلما جاءكم رسول بما لا تهـــوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتـــم وفريقا تقتلون) (١)

وقال سبحانه (واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينـــا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلما تقتلون انبياء الله مـــن قبل ان كنتم مؤمنيـــن) (٢)

وقال سبحانه (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء سنكتـب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق) (٣)

وقال سبحانه (فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بايات الله وقتلهم الانبياء بغير حـــق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا) (٤)

---

(١) سورة البقرة ٨٧ •

(٢) سورة البقرة ٩١ ••

(٣) سورة آل عمران ١٨١ •

(٤) سورة النســاء ١٥٥ ••

فاذا كان هذا حال بنى اسرائيل مع انبيائهم يكذبونهم ويقتلونهم فماذا نتوقع ممن هذا ديدنهم فى مسألة العصمة موضوع بحثنا ؟

واذ كانوا قد نالوا من موسى عليه السلام الذى نجاهم الله على يده من يد فرعون فكيف بمن عداه (واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذوننى وقد تعلمون انى رسول الله اليكم فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم والله لا يهدى القوم الفاسقين) (١)

والان لنطوف على افترائهم على أنبياء الله نستطلعها من كتابهم المقدس التوراة الإفك التى يؤمنون بها ويقدسونها لنرى موقفهم من عصمة الانبياء .

---

(١) سورة الصف ايه ٥

المبحث الأول

زعمهم على نوح عليه السلام

جاء في التوراة سفر التكوين الاصحاح التاسع

(وابتداء نوح يكون فلاحا وغرس كرما . وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه فابصر حام ابو كنعان عورة أبيه واخبر اخويه خارجا . فاخذ سام ويافث الرداء ووصفاه على اكتافهما ومشيا الى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما الى الوراء . فلم يبصرا عورة ابيهما فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير فقال ملعون كنعان . عبد العبيد يكون لاخوته . وقال مبارك الرب اله سام وليكن كنعان عبدا لهم . ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام وليكن كنعان عبدا لهم) .

بيــان التهمــة :

ها هي التوراة تصور لنا نوحا عليه السلام سكران ثمـــلا لا يعي ، حتى لتنكشف سوءته فلا يسترها .

وهذا امر يستقبحه كل عاقل ولا يرضاه لنفسه حتى لقد وجدنا من العرب من يحرم الخمر على نفسه صونا لكرامته وحفـاظا على شرفه حتى في الجاهليه (١)

فكيف بنبي مرسل يدعو الناس الى الله ؟ وما هو الانطباع الذي سيحمله عنه بنوه وهم من جمله مدعو به ؟

ان النبي لابد ان يبلغ من الطهر الغايه ومن النقاء القمه يلمس طهـــره ونقاءه الاقارب قبل الاباعد

---

(١) اورد الشهرستاني في كتاب الملل والنحل جمله من اسماء الذين حرموا علـى انفسهم الخمر في الجاهليه حتى قال احدهم وقد حرم الزنا والخمر على نفسه

سالمت قومي بعد طول مضاضه
والسلم ابقى في الامور وأعرف

وتركت شرب الراح وهي أميرة
والمومسات وترك ذلك اشـرف

وعففت عنه يا اميمة تكرما .. وكذاك يفعل ذو الحجا المتعفف

حـ ٣ ص ٢٩٩

فكيف يليق بنوح وهو من اولى العزم من الرسل ان يسكر حتى يثمل ؟) •

ل. كيف يتصور من نوح عليه السلام الذى ظل يدعو قومه الف سنه الا خمسين عامـا صابرا على اذا هم ثابتا على الحق لا يهين ولا يلين كيف يتصور ممن هذا خلقه وهـذه قدراته ان يخضع لشهوة السكر التى تفقده مهابته وتذهب كرامته ؟

وأمر آخر ذكره الشيخ رحمة الله أن المذنب بالنظر الى عورة ابيه هو حام ابـو كنعان والذى عوقب باللعنه ابنه كنعان وهذا خلاف للعدل ثم لماذا كنعان بالـذات مع ان حام له اربعة ابناء) (١) •

اقول لاعجب فى ذلك اذ الامر لا يعد وان يكون محض اختلاق وكما يقال حبـل الكذب قصير ومن قصره انه يؤدى الى الاضطراب ومخالفه المعقول •

---

(١) انظر اظهار الحق ص : ٦٥٠

المبحث الثانـــــــى

زعمهم على ابراهيم عليه الســـــلام

اتهمت التوراة ابراهيم عليه السلام بالكذب من اجل مصلحة شخصيـــــة كذبا لا يليق بنبى مرسل من عند الله فهو عندما دخل مصر قال لا مرأته كمـــــا جاء فى سفر التكوين الاصحاح الثانى عشر (وحدث لما قرب ان يدخل مصر أنه قا ل لسارة امرأته انى قد علمت انك امرأة حسنه المنظر فيكون اذا رآك المصريــــــون انهم يقولون هذه امرأته فيقتلوني ويستبقونك قولى انك اختى ليكون لى خير بسببك وتحيا نفسى مــــن أجلـــك) •

قلت هذه الكذبه او التوريه لا غبار عليها لانه خشى القتل ولا تقـــدح فى مقام النبوه ولكن الذى لا يليق بمقامه ومما يدل على حرص اليهود على الصاق التهم على انبياء الله وتنقيص قدرهم ما جاء فى سفر التكوين الاصحاح العشرين •

وانتقل ابراهيم من هناك ؟ الى ارض الجنوب وسكن بين قادش ••• وقال ابراهيم عن ساره امرأته هى اختى فارسل ابيمالك ملك جرار واخذ ســـاره فجاء الله الى ابيما لك فى حلم الليل وقال له ها انت ميت من اجل المــــرأه التى اخذتها فانها متزوجة ببعل ولكن لم يكن ابيما لك قد اقترب اليهـــــا فقال يا سيد أ أمة بارة تقتل الم يقل هو لى انها اختى وهى أيضا نفسها قالت هـــو اخــــى •••

قلت فالخطأ من ابراهيم واعتذار ابيمالك فى محله لان ابراهيم كذب عليــــه

لذا فقد ذهب اليه موخا وقال له (ماذا فعلت بنا وبما ذا اخطأت اليك حتى جلبت على وعلى مملكتى خطيئه عظيمه فرد ابراهيم (وبالحقيقة هى اختى ابنة ابى غير انها ليست ابنة امى) •

قلت وهذا عذر اقبح من فعل لان زواج الاخ باخته لا يصح بل هو مساو للزنا عند اليهود كما بين ذلك صاحب اظهار الحق الشيخ رحمت الله • (١)
قال رحمه الله (والنكاح بالاخت حرام مطلقا فى الشريعة الموسوية ومساو للزنا والناكح ملعون وقتل الزوجيين واجب) (٢)
وجاء فى سفر التوراة (ملعون من يضطجع مع اخته بنت أبيه أو بنت امه)(٣) •

ففى هذه القضية يلزم احد ثلاثه امور :ـ

١ ـ اما أن يكون ابراهيم قد كذب لمصلحه شخصيه وهو الاظهر كما بين ذلك من فحوى القصه •

٢ ـ أو يكون صادقا فهى اخته فيكون واقعا فى الزنا على مذهب اليهود •

٣ ـ او يكون نكاح الاخوات جائزا فيلزم اليهود ان يقولوا بالنسخ وهم لا يقولون به لأنه عندهم بداء (٤)

---

(١) اظهار الحق جـ : ٢ ص : ٦٥٢ •
(٢) اظهار الحق جـ : ١ ص : ٣٢٠ •
(٣) التوراه سفر التثنيه الاصحاح ٢٧ آية ١٢ •
(٤) وانظر التبصره فى اصول الفقة للشيخ ابى اسحق ابراهيم بن على الفيروزباذى ٤٧٦ ص ٢٥٢ ••

و انظر الاحكام فى اصول الاحكام للامدى حـ : ٣ ص : ١٥٧ •

(ولما خفى الفرق بين البداء والنسخ على اليهود والرافضة منعت اليهود من النسخ فى حق الله تعالى)

المبحث الثالث

زيفهم على لوط عليه السلام

جاء فى سفر التكوين الاصحاح التاسع عشر .

(وصعد لوط من صوغر وسكن فى الجبل وابنتاه معه لانه خاف أن يسكن فى صوغر . فسكن فى المغاره هو وابنتاه وقالت البكر للصغيره ابونا قد شاخ وليس فى الارض رجل ليدخل علينا كعادة كل الارض هلم نسقى ابانا خمرا ونضطجع معه فنحى من أبينا نسلا فسقتا اباهما خمرا فى تلك الليله ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها وحدث فى الغد أن البكر قالت للصغيره انى قد اضطجعت البارحة مع ابى نسقيه خمرا الليله ايضا فادخلى اضطجعى معه فنحى من ابينا نسلا فسقتا اباهما خمرا فى تلك الليله ايضا وقامت الصغيره واضطجعت معه ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها فحبلت ابنتا لوط من أبيهما فولدت البكر ابنا ودعت اسمه موآب وهو ابو المؤابيين الى اليوم والصغيره ايضا ولدت ابنا ودعت اسمه بن عمى وهو ابو بنى عمون الى اليوم)

بيان الشبهه والرد عليهـــا :ـ

هذا النص من التوراة ينسب الى نبى الله لوط عليه السلامجريمتين بشعتين
اولاهما السكر وثانيهما : الزنى بابنتيه أثناء سكره.
وكان سكره محاكا من قبل ابنتيه اللتين شاءتا مضاجعتـــه رغبه فى استمـرار نسلهمـــا.

وهاتان جريمتان مستنكرتان ومستبشعتان تستقذرهما الفطرة وتنفر منهمـا النفوس السليمه ولا تليق باقل الناس درجه فكيف باعلاهم منزله.
ونحن لا نجد ابنه تشتهى اباها فى احط الجاهليات واعماها عن الفطره فكيف تقع هذه الجريمة وتحـاك خيوطها من ابنتى نبى من انبياء الله وهما قدراتا كيف حل عذاب الله بقوم ابيهمـــا لوط لارتكابهم جريمة اتيان الذكران تلـــك الجريمه التى تقل عن عهر الاباء بالبنات.

ثم انهما نجتا من العذاب الاليم وذلك دليل ايمانهما فهل يتصـــور من مؤمنين التواطىء على مثل تلك الجريمة النكراء ولا يمذرهما أنهما ارادتا احياء النسل لان هنالك قرى اخرى باقيه ومدنا عامره فكان عليهم أن يسيـــوا فى الارض.

ثم كيف لا يفطن لوط للمؤامره فى المره الثانية فيشرب الخمر ثانية علـــى فرض أنه خدع فى المره الاولى ولا يلدغ مؤمن من جحر مرتيـــن.

ومـــا تزعمه التوراة المحرفه من أنه لم يعلم باضطجاعهما ولا بقيامهمـــا زعم باطل لا يقبله العقل اذ أن هذا الامر له نتائج ملموسة محسوســة لا بـــد أن يحسها بعد افاقته. وان غفل مره فلن يغفل اخرى.

وما اجمل ما قال الشيخ رحمت الله اذ يقول : " ومثل هذا لو وقع لبعض آحاد الناس ضاقت عليه الارض بما رحبت حزنا وهما فالعجب من لوط اعوذ بالله من هذه الخرافات " (١)

ومن الذين فندوا القصة ايضا واعتبروها من خرافات اليهود وتحريفاتهم الشيخ الامام بن القيم اذ قال (وفى التوراة التى بايديهم من التحريـــف والتبديل وما لا يجوز نسبته الى الانبياء ما لا يشك فيه ذو بصيـرة والتوراه التى انزلها الله على موسى بريئه من ذلك ففيها عن لوط رسول الله انه خرج مـــن المدينه وسكن فى كهف الجبـل ومعه ابنتاه فقالت الصغرى للكبرى قد شـــاخ ابونا فارقدى بنا معه لنأخذ منه نسلا فرقدت معه الكبرى ثم الصغرى ثـــم فعلتا ذلك فى الليله الثانية وحملتا منه بولدين مواب وعمون فهل يحسن ان يكون نبى رسول كريم على الله يوقعه الله سبحانه فى مثل هذه الفاحشة العظيمـــه فى اخر عمره ثم يذيعها عنه ويحكيها للامم ؟) (٢)

---

(١) اظهار الحـــق ص : ٦٥٥.

(٢) هدايه الحيارى فى اجوبه اليهود والنصارى ص ١٠٧.

وقال أبو عبيده الخزرجى (فهل يحسن ان يكون لوطا نبيا من الانبياء ورسولا من الله ويوقعه الله فى مثل هذه الفاحشة ؟) (٢)

(١) بين الاسلام والمسيحيه لابى عبيده الخزرجى / ٥٨٢ تحقيق محمد شاو ص : ٢٩٣٠٠

المبحث الرابع

=====

زعمهم على يعقوب عليه السلام

=====

وأما يعقوب عليه السلام فعلى زعمهم الباطل فقد حصل على النبوه بالمكر والخديعه هذا ما يقرره سفر التكوين الا صحاح السابع والعشرون والذى جاء فيه (وحدث لما شاخ اسحاق وكلت عيناه عن النظر انه دعا عيسو ابنه الاكبر وقال له يا ابنى فقال له هائنذا فقال انني قد شخت ولست اعرف يوم وفاتى فالان خذ عدتك جعبتك وقوسك واخرج الى البرية وتصيد لى صيدا واصنع لى اطعمه كما احب وأتنى بها لآكل حتى تباركك نفسى قبل ان اموت وكانت رفقه سامعة اذ تكلم اسحق مع عيسو ابنه فذهب عيسو الى البريه كى يصطاد صيدا ليأتى به وأما رفقه فكلمت يعقوب ابنها قائلة انى قد سمعت اباك يكلم عيسو اخاك قائلا ائتنى بصيد واصنع لى اطعمة لآكل حتى اباركك امام الرب قبل وفاتى • فالان يا ابنى اسمع لقولى فى ما أنا آمرك به اذهب الى الغنم وخذ لى من هناك جديين جيدين من المعز فاصنعهما اطعمة لابيك كما يحب فتحضرها الى ابيك ليأكل حتى يباركك قبل وفاته فقال يعقوب لرفقه امه هو ذا عيسو أخى رجل أشعر وانا رجل املس ربما يجسنى ابى فاكون فى عينيه كمتهاون واجلب على نفسى لعنة لا بركة • فقالت امه لعنتك على يا ابنى اسمع لقولى فقط واذهب خذ لى • فذهب واخذ واحضر لامه • فصنعت امه اطعمه كما كان ابوه يحب • واخذت رفقه ثياب عيسو ابنها الاكبر الفاخره التى

كانت عندها فى البيت والبست يعقوب ابنها الاصغر والبست يديه وملاســـــه عـنقـه جلود جدى المعزى واعطت الاطعمه والخبز التى صنعت فى يـــد يعقوب ابنها) فدخل الى ابيه وقال يا ابى فقال هانذا من انت يا بنى فقـــال يعقوب لابيه أنا عيسو بكرك قد فعلت كما كلمتنى قم اجلس وكل من صيدى لكىنى تباركنى نفسك فقال اسحق لابنه ما هذا الذى اسرعت لتجد يا بنى فقال ان الـرب الهك قد يسر لى فقال اسحق ليعقوب تقدم لاجسك يا بنى أ انت هو ابنى عيسو ام لا .

فتقدم يعقوب الى اسحق أبيه فجسه وقال الصوت صوت يعقوب ولكـــن اليدين يدا عيسو ولم يعرفه لان يديه كانتا مشعرتين كيدى عيسوا اخيه ... . فليعطك الله من ندى السماء ومن دسم الارض .. ليستعبد لك شعوب ..) ثم عندما دخل عيســـو الحقيقى وطالب اباه ان يباركه علم ابوه ان اخاه قد خدعـه فقال ، (قد جاء اخوك واخذ بركتـــك) .

ففى القـصة هذه نرى ان يعقوب قد كذب ثلاث كذبات .

اولا : قوله انا عيسو بكرك ولم يكن عيسو بل يعقوب .

ثانيا : قوله بكرك ولم يكن البكر .

ثالثا : زعمه ان الطعام صيد يسره الله ولم يكن صيدا بل معزى .

وهكذا استطاع يعقوب بالمكر والخديعة ان ينال مطلوبه با سلوبه الغايـــة تبرر الوسيله ..

وهذه القصه كما تعكس تصور اليهود لانبيائهم كذلك تعكس ايضا تصور اليهـــود

لالهتهـــم فالاله ايضا تنطلى عليه الحيله ويستجيب الدعوه ولا يميز بين عيسو ويعقـــوب ..

قال صاحب اظهار الحق معلقا (علم يقينا ان يعقوب كذب ثلاث مرات وخادع اباه وخداعة كما اثر عند اسحق عليه السلام اثر عند الله ايضا لان اسحاق عليه السلام كان بصميم قلبه واعتقادة داعيا لعيسو لا ليعقوب عليه السلام فكمـــا لم يميز اسحق بين الاخوين فى الدعاء فكذا لم يميز الله بينهما عند اجابـــه الدعاء فالعجب ان ولاية الله والنبوة والصلاح تحصل بالمحال) (١) .

قلت : فاله كهذا هل يستحق العباده ؟ ورجل كهذا هل يستحق النبوه ؟

(١) اظهار الحق ص : ٦٥٦ ـ ٦٥٧ جـ: ٢..

المبحث الخامس

زعمهم على موسى عليه السلام

لقد حرف اليهود التوراة حتى جعلوا الاية المعجزة التي هي دليل لنبوة موسى عليه السلام دليلا على نقص خلقي اصابه جاء في سفر الخروج الاصحاح الرابع (ثم قال له الرب ايضا ادخل يدك في عبك فادخل يده في عبه ثم اخرجها واذا يده برصاء مثل الثلج) والبرص آفة خلقيه والذي جاء في القرآن (واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء) (١) . وفرق بين الامرين

وقد اشار الى ذلك الامام ابن القيم في كتابه هدايه الحيارى (٢)

وكذلك ابو عبيده الخزرجي اذ قال (واذا اخرجها مبروصة فاى آية فيهما ؟ اذ بياض البرص موجود في الناس) (٣)

---

(١) سوره طه ايه ٢٢

(٢) انظر المصدر المذكور ص ١٠٧ .

(٣) بين الاسلام والمسيحية لابي عبيده الخزرجي / ٥٨٢ ..

موســى وهارون(١):ـ

جاء فى سفر العدد الاصحاح العشريـــن

(ورفع موسى يده وضرب الصخرة بعصاه مرتين فخرج ماء غزير فشربت الجماعـــه ومواشيها فقال الرب لموسى وهـــارون من اجل انكما لم تومنا بى حتى تقدسانـى امام اعين بنى اسرائيل لذلك لا تدخلان هذه الجماعة الى الارض التى اعطيتهـم ايـــاها) ..

---

(١) الادله على نبوة هارون من العهد القديم :

(١) جاء سفر الخروج الاصحاح الرابع (وقال الرب لهارون اذهب الى البريـه لاستقبال موسى) .

(٢) جاء فى سفر الخروج الاصحاح السابع (وكلم الرب موسى وهارون قائلا) .

(٣) جاء فى سفر الخروج ص ٩ (ثم قال الرب لموسى وهارون) ..

فهذه تدل على ان الله خاطب هارون منفردا وتاره مع موسى اى انه شريك لموسى عليه السلام فى الرساله كما ان الله اظهر على يديه كثير من المعجزات كمـا جاء فى الخروج ٧ (ثم قال الرب لموسى قل لهارون عصاك ومد يـــدك على مياه المصريين على انهارهم . لتصبد دما) وجاء ايضا (ولكم الرب موســـى وهارون . . . . . .

نقول لهارون خذ عصاك واطرحها امام فرعون فيصير ثعبانا) .

اظهار د الحوه ص = ٦٦٦

بيان الشبهه والرد عليهمـــا :ـ

يدل هذا النص على ان الله قد اكرم موسى بكرامه هى انفجار الحجر بالمـاء وهذه الكرامه المعجزه دليل على صحة نبوة موسى وعمق ايمانه ..

ثم يأتى النص التالى مناقضا لما اوحته الفقره السابقه فينفى بصريـــــــــح العباره الايمان عن هذيـن النبيين حتى انهما لا يستحقان كرامة دخول الارض ـ المقد ســـــة ..

وحسبنا هذا دليل على تناقض التوراة المحرفة وعلى حرص اليهود فـــــى الصاق التهم بانبياء الله المكرميـن والواقع أن بنى اسرائيل قد امتنعـــوا من دخول الارض المقدسة مع موسى وهارون جبنا وفرقا من العمالقه ـ سكـــــان بيت المقدس انذاك ـ وكعادة الجبناء اخذوا يبررون عجزهم وخوفهم بالصـــاق التهـــم بموسى وهارون ..

ولقد بين ذلك سبحانه فى الكتاب العظيم فقال (ياقوم ادخلوا الارض المقدسه التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين . قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون . قـال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى فتوكلوا ان كنتم مؤمنين . قالوا ياموسى انا لن ندخلها ابدا ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون .) (١)

---

(١) المائده ٢١ ـ ٢٤

المبحث السادس

تهجمهم على هارون عليه السلام

جاء في التوراة سفر الخروج الاصحاح الثاني والثلاثون ما يلي :ـ

(ولما رأى الشعب أن موسى ابطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له قم اصنع لنا آلهه تسير امامنا . لان هذا موسى الرجل الذي اصعدنا من ارض مصر لا نعلم ماذا اصابه . فقال لهم هارون انزعوا اقراط الذهب التي في اذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها . فنزع كل الشعب اقراط الذهب التي في اذانهم واتوا بها الى هارون . فاخذ ذلك من ايديهم وصوره بازميل وصنعه عجلا مسبوكا . فقالوا هذه الهتك يا اسرائيل التي اصعدتك من ارض مصر . فلما نظر هارون بنى مذبحا أمامه . ونادى هارون وقال غدا عيد للرب . فبكروا في الغد واصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامه . وجلس الشعب للاكل والشرب ثم قاموا للعب) .

هذا النص يلصق بهارون عليه السلام ـ وهو نبي من انبياء بني اسرائيل في معتقدهم . (١) تهمه بشعه وهي صنعه العجل الذي عبده بنوا اسرائيل .

ولست ادري كيف يصبح داعيه التوحيد صانع اوثان ؟ وكيف يبقى عليه الله كرامه النبوه بعد ان اخذ الها غيره عجلا جسدا له خوار ؟ .

---

(١) الادله على نبوه هارون . انظر ص ٣٠٢

ولقد جاء فى التوراة عقب هذا النص مباشرة انباء الله موسى بضلال قومه (فقال الرب لموسى اذهب انزل لانه قد فسد شعبك الذى اصعدته من ارض مصر • زاغوا سريعا عن الطريق الذى اوصيتهم به • صنعوا لهم عجلا مسبوكا وسجدوا له وذبحوا له • وقالوا هذه الهتك يا اسرائيل التى اصعدتك من ارض مصر • وقال الرب لموسى رأيت هذا الشعب واذا هو شعب صلب الرقبه فالان اتركنى ليحمى غضبى عليهم وافنيهم) ••

ففى هذا النص يوجه الرب اللوم الى شعب اسرائيل وكان الاجدر ان يوجه لومه وسخطه على هارون الذى اضل قومه بصنع العجل ولا يقال ان هارون لم يضلل قومه بل استجاب لطلبهم اذ استجابته لطلبهم هى عين الاضلال اذ لو لم يستجب لضل الامر رغبة فى نفوس بنى اسرائيل لم تخرج الى حيز الوجود كحالهم يوم ان طلبوا من موسى عليه السلام ان يجعل لهم الها كآلهة القوم وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهه قال انكم قوم تجهلون) (١)

وهذا هو الموقف الطبيعى من انبياء الله عندما يطلب منهم ما يغضب الله مما يدلنا على ان نسبة صنع العجل لهارون ان هو الامحض اختلاق من اخوان القردة والخنازير ••

وبقى — للامانة العلمية — ان نقول :—

انه قد جاء فى كتاب البدايه لابن كثير ما يلى (فعمد رجل منهم — اى من بنى

---

(١) سورة الاعراف اية ١٣٨ ••

اسرائيل ـ يقال له هارون السامري فاخذ ما كان استعاره من الحلى فصاغ منه عجلا) (١) ٠

وعلى هذا فهارون التى نسبت اليه التوراة صنع العجل هو هارون السامرى لا هارون اخو موسى عليه السلام وان كان لا بد من تقرير ان التوراة لم تفصل بوضوح هذا الامر بل نسبت صنع العجل الى هارون دون نسبه فحق للقارئ أن يتعرف .. ذهنه الى من اشتهر بهذا الاسم وهو هارون اخو موسى ٠

ثم أن معرفتنا بنظرة بنى اسرائيل الى انبيائهم تجعلنا لا نستبعد أن يكون مقصودهم هو هارون نبى الله ٠

سيما وقد ذكر ابن القيم فى اغاثة اللهفان أن السامرى الذى صنع العجل اسمه موسى بن ظفر (٢) ٠

---

(١) البدايه والنهايه هـ : ١ ص : ٢٨٦ ٠٠

(٢) المصدر المذكور هـ : ٢ ص : ٣٠٠

المبحث السابع

افتراؤهم على داود عليه السلام

ما زال اخوان القردة والخنازير يحرفون التوراة ليصبوا مقتهم وحقدهم على انبياء الله فهاهم يجعلون انبياء الله اولاد زنا ولقد لخص ابن القيم محاولتهم جعل داود عليه السلام ابن زنا فقال وفيها (ان يهوذ ابن يعقوب النبى زوج ولده الاكبر من امرأه يقال لها تامار فكان يأتيها مستدبرا فغضب الله من فعله فاماته ، فزوج يهوذا ولده الاخر بها فكان اذا دخل بها امنى على الارض علما بأنه ان اولدها كان اول الاولاد مدعوا باسم أخيه منسوبا الى اخيه ، فكره الله ذلك من فعله فاماته فامرها يهوذ باللحاق ببيت ابيهما الى ان يكبر ولده شيلا ويتم عقله ثم ماتت زوجة يهوذا وذهب الى منزله ليجز غنمه فلما اخبرت تامار لبست زى الزوانى وجلست على طريقه فلما مر بها خالها زانية فراودها فطالبته بالاجره فوعدها بجدى ورهن عندها عصاه وخاتمه فدخل بها فعلقت منه بولده من هذا الولد كان داود النبى)

فقد جعلوه ولد زنا كما جعلو المسيح ولد زنا ولم يكفيهم ذلك حتى نسبوا ذلك الى التوراة وكما جعلوا ولدى لوط ولدى زنا ثم نسبوا داود وغيره من انبيائهم الى ذينك الولدين) .(١)

---

(١) هدايه الحيارى ص: ١٠٧ ـ ١٠٨ .

جاءت هذه القصه فى التوراة سفر التكوين الاصحاح ٣٨ وفيها اختلاف فى الالفاظ ..

وجاء في التوراة صموئيل الثاني الاصحاح الحادي عشـــر

(وكان عند تمام السنه في وقت خروج الملوك أن داود ارســل يوآب وعبيده معه وجميع اسرائيل فاخربوا بني عمون وحاصروا ربه .

واما داود فاقام في اورشليم وكان في وقت المساء ان داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فراى من على السطح امراه تستحم . وكانت المرأه جميلـــه المنظر جدا فارسل داود وسأل عن المرأه فقال واحد اليست هذه بشبع بنــت اليعام امرأه اوريا الحثي . فارسل داود رسلا وأخذها فدخلت اليه فاضطجع معها وهي مطهره من طمثها ثم رجعت الى بيتها . وحبلت المرأه فارسلت واخبرت داود وقالت اني حبلى) .

وتستطرد التوراه في بيان محاولة داود ستر جريمته بان يستدعي اوريـــا زوج المرأه من ساحه الحرب لكـــي يذهب الى زوجته ويضطجع معها فـــاذا ولدت نسب الجنيـــن اليه لكن اوريا يمتنع من الذهاب الى بيته ويؤثر المبيت على ابواب قصر داود اذ لا يرتضي أن ينعم باهله بينما قائده وزملاؤه يعانـــون شظف العيش في الصحراء .

وفي الليله الثانيه يسكره داود لكيمـــا يذهب الى امرأته لكنه يأبـــى كالليلة الاولى ولما لم تجد محاولة داود هذه ارسل رسالة الى قائد الجيش الذى تحته اوريا يامره فيها أن يجعل اوريا في مقدمه الجيش حتى يقتل، ويتحقق ماطلبه داود فيبتهج لذلك ثم يضم امرأه الرجل الى حريمه ..

فكيف يتطلع الى امرأة احد رعاياه بل احد جنــــده الذين خرجوا للجهاد ثم يسترسل مع هواه فيستدعيها من بيتها ويضاجعها ..
وانه لمن الغريب ان تصور التوراة اوريا الحثى وفيا لقائده وزملائه من الجنــد فيأبى أن يذهب الى بيته رغم اصرار داود عليه ثم تحايله باسكاره كى يذهب الـى امرأته ..
اقـــول :

انه لمن الغريب ان يكون هذا الجندى على هذا القدر من الترفع عــن الشهوه المباحه فى سبيل المبدأ ثم يكون النبى المرسل المصطفى مسترسلا مـع شهواته المحرمه لا يكفه عن ذلك وزاع من دين أو يقظـة من ضميـر .

ولقد ناقضت التوراة المحرفه نفسها ففى حين وصمت داود عليه السلام بابشـع الجرائم نراها تتحدث عن اخلاصه لربه واتباعه الكامل لــه جاء فى سفـر الملـوك الاول الاصحاح الحادى عشر (ولم يكن قلبه أى سليمان كاملا مـع الرب الهه كقلب داود ابيه)
كما جاء فى نفس الاصحاح (وعمل سليمان الشر فى عين الرب ولم يتبع الـرب تماما كداود أبيه)
هكذا تناقض التوراة المزيفه نفسها وهذا دليل اختلاق القصه وكونها مفتراه

ثم ما هذا الجزاء الذى انزل بداود عليه السلام على جريمته التى اختلقتها التوراة المزيفه ؟

الجزاء هو اباحة نساء داود لقريبه يزنى بهن فى وضح النهار كما جاء فى النص الذى سبق ان نقلناه ويالهمن جزاء اقبح من جرم ولقد احسن الدكتور محمد ابو النور الحديدى فى تعقيبه على هذا الجزاء اذ قال (ومن حقنا بعد ان نقرأ هذا فى العهد القديم ان نسأل المؤمنين به ما عقوبه الزانى عندكم

هو الرجم " ومن زنى بامرأة صاحبه أو زنى بامرأة لها رجل فليقتل الزانى والزانيه " ولماذا لم ينفذ هذا الحد فيه لو صح وقوع هذه الجريمه منه ؟

ان الشرائع لا تفرق فى احكامها وعقوبتها بين حاكم ومحكوم ولا بين امير وحقير .. ثم ما ذنب البريئات زوجات داود حتى يكن موضع الانتقام .... ثم متى عهد فى الشرائع المعاقبه على الفاحشه بفاحشه مثلها وافضح منها) (١)

---

(١) عصمة الانبياء والرد على الشبه الموجهه اليهم ص : ٢١٧ ..

المبحث الثامن

تهمهم على سليمان عليه السلام

جاء فى سفر الملوك الاول الاصحاح الحادى عشر ما يلى

(واحب الملك سليمان نساء غريبه كثيره مع بنت فرعون موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات من الامم الذين قال عنهم الرب لبنى اسرائيل لا تدخلون اليهم وهم لا يدخلون اليكم لانهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبه وكانت له سبعمائه من النساء السيدات وثلاثمائه من السرارى فأ مالت نساؤه قلبه . وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه املن قلبه وراء آلهة اخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الرب الهه كقلب داود أبيه .

فذهب سليمان وراء عشتورث الهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين وعمل سليمان الشر فى عين الرب ولم يتبع الرب تماما كداود ابيه حينئذ بنى سليمان مرتفعه لكموش رجس الموآبيين على الجبل الذى تجاه اورشليم ولمولك رجس بنى عمون وهكذا فعل لجميع نساءه الغريبات اللواتى كن يوقدن ويذبحن لالهتهن . فغضب الرب على سليمان لان قلبه مال عن الرب الهة اسرائيل) .

وهذه فريه جديده تلصقها التوراة المحرفه بنبى من انبياء الله هو سليمان بن داود فترميه بتهمة هى ابشع من تلك التى رمت اباه بها

فهي ترميه بما يلـــي :ـ

أولا : وقوعه في المعصيه عندما دخل على من نهاه الله عـن الدخـــول عليهـــم .

ثانيا : استرساله مع هوى نساءه وضعفه ازاء معتقداتهن الباطله .

ثالثا : تشييده المعابد لالهتهن الباطله وحسبي في ابطال هذه التهـــم ما جاء في التوراه ذاتها من قول الرب لسليمان في سفر الملـــوك الاول الاصحاح الثالث (هو ذا اعطيك قلبا حكيما ومميزا حتى أنه لـم يكـــن مثلك قبلك ولا يقوم بعدك نظيرك) .

فاذا كان الرب قد منح سليمان الحكمة التي لم يعطها لاحد من قبله ولا مـــن بعده فكيف يصدر منه وهو الحكيم ان يعظم الاوثان ويشيد لها المعابد . ان انقياد اى رجل وراء نسائه وأهوائهن يصمـه بالسفاهة وقلة الراى ولا يرتضيه عاقل لنفسه فكيف يرتضيه سليمان الحكيم بل كيف يرتضى ما هو اسواء من ذلـك وهو ان يسترسل مع اهوائهن حتى يقع في براثين الشرك والوثنيه .

بل كيف يفعل ذلك نبي يدعو الى التوحيـــد ؟ ...

هـذا وبعد ان تجولنا بين نصوص التوراه المحرفة استخرجنا من بينهـــا نصوصا تصور فيها الانبياء نخبة الصفوة من الخلق تصويرا مشوها فهم اهـــل عربدة وسكر اهل مكر وخديعة سفاحون لا يتورعون عن المكر والخديعة ميدؤهـم الغايه تبرر الوسيله حتى ليسلكون الى النبوة طريق القتل والخداع كما وضـح لنا ذلك فى قصـــة يعقوب عليه السلام ..

والواقع ان هذه الصوره التى رسمها بنوا اسرائيل لأنبيائهم ليست الا مرآه لخبث نفوسهم وصدق الشاعر اذ يقـــول

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه * وصدق ما يعتاده من توهـــم

والباحث يتساءل اذا كانت هذه صورة الأنبياء المثل والقدوه فى نظر اليهـــود فكيف يكون فساقهم واهل المجون منهـــم.

وان الباحث ليرى ان ثمة قصدا أو تخطيطـا من وراء رسم تلك الصورة المشوهه للرسل والأنبياء كي ينعدم الاحساس بالذنب لدى الناس فاذا كـــان الانبياء وهم من هم قد صدرت منهم الموبقات من سكر وعهر وقتل فلا حرج علـى من هم دونهم مكانه وفضلا ان يغرقوا فى حمأة الرذيله والشهوه..

الفصل الثاني

=======

موقف النصارى من عصمة الأنبياء ودحض أباطيلهم

======

الفصـــل الثانـــــي

موقف النصـــارى من عصمـة الأنبيـــاء

لكى نعرف موقف النصارى من عصمة الانبياء فانه لا بد لنا من مقدمـــة نبين فيها موقف النصارى مما جاء فى التوراة التى نقلنا منها نصوصا كثيره تلصـــق بانبياء الله ابشع الجرائم والمنكرات .

اصول الديـــانه النصرانيه :ـ

من المعروف أن الكتاب المقدس عند المسيحيين يشمل (العهد القديم) و (العهد الجديد) فهم يقسمون الكتب التى يؤمنون بها الى قسمين : (قسم منها يدعون انه وصل اليهم بواسطه الانبياء الذين كانوا قبل عيسى عليه الســلام وقسم منها يدعون أنه كتب بالالهام بعد عيسى عليه السلام فمجموع الكتب مــن القسم الاول يسمى بالعهد العتيق ومن القسم الثانى بالعهد الجديد .... وينقسم كل من العهدين الى قسمين قسم اتفق على صحته جمهور القدماء مــن المسيحيين وقسم اختلفوا فيه أما القسم الاول من العهد العتيق فثمانيـــه وثلاثون كتابـــا) (١)

---

(١) اظهار الحـــق ـ ١ / رحمة الله الهندى ..
ص = ٤٧

وقد اورد صاحب اظهار الحق أسماء تلك الكتب وحسبى هنا أن اقـــرر أن ما نقلته من نصوص من التوراة تقدح فى عصمه الانبياء هى من الكتب الـتى اتفق على صحتها جمهور القدماء من المسيحيين وهى سفر التكوين سفر العدد سفر الخروج سفر صموئيل الثانى سفر الملوك الاول .

وعلى هذا فـايمان النصارى بتلك الاسفار من العهد القديم واعتبارهـم اياها جزءا من كتابهم المقدس وهى التى تصم الأنبياء بتلك الجرائم والمنكـرات أقـول : ان ايمانهم بها يرينا حقيقة موقفهم من عصمة الأنبياء فهم كاليهـود لا يعتقدون العصمة فى الانبياء والرسـل .

يقول ابن حزم : (اختلف الناس فى هل تعصـى الانبياء عليهم السلام ام لا فذهبـت طائفه الى ان رسل الله (صلى الله عليهم وسلم) يعصون اللـه فى جميع الكبائر والصغائر عمدا حاشى الكذب فى التبليغ ... وهو قول اليهـود والنصارى) (١) .

ويقول صاحب اظهار الحق : (ان المسيحيين يدعون ان الانبياء انمـا يكونون معصوميـن فى تبليغ الوحى فقط ... وأما فى غير التبليغ فليسوا بمعصومين لا قبل النبوة ولا بعدها فيصدر عنهم بعدها جميع الذنوب قصدا فضلا عن الخطأ والنسيان فيصدر عنهم الزنا بالمحارم فضلا عن الأجنبيات ويصدر عنهم عبـادة

---

(١) الفصل جـ : ٤ ص ٢ [illegible]

الأوثان وبناء المعابد لها ولا يخرج عندهم نبي من ابراهيم الى يحيى عليهم السلام لا يكون زانيا أو من أولاد الزنا اعاذنا الله من امثال هذه العقائد الفاسده فى حق الانبياء) (١)

ولقد اورد الشيخ رحمه الله نصوصا اختارها من كتاب للقسيس وليم اسمث من علماء البروستنت كتبه باللغة الاردية ونشر فى احدى بلاد الهند سنة ١٨٤٨م واسم الكتاب (طريق الاولياء) ولقد أبان ذلك القسيس عن موقف النصارى من عصمة الأنبياء فهو على سبيل المثال يذكر أن آدم أذنب ولم يعترف بذنبه .... ولم تثبت توبته عندهم الى آخر حياته حتى ليقول ذلك القسيس (يا أسفى على أنه لم تثبت توبته ـ اى أدم ـ وعلى أنه ما استغفر الله لذنبه مرة واحده أيضا .) (٢)

كما يذكر ذلك القسيس أن ابراهيم عليه السلام كما جاء فى كتابه (لا يعلم حاله الى سبعين سنه من عمره وهو تربى فى الوثنين ومضى اكثر عمره فيهم ويعلم أن أبويه ما كانا يعرفان الاله الحق ويحتمل ان ابراهيم ايضا كان يعبد الاصنام ما لم يظهر الله عليه ثم ظهر عليه وانتخبه من ابناء العالم وجعله عبدا خاصا) انتهى .. (٣)

---

(١) اظهار الحق ص : ٦٤٨ .

(٢) اظهار الحق ص : ٦٤٩ جـ : ٢ ..

(٣) " " جـ : ٢ ص : ٦٥٠

وقال الشيخ رحمت الله معلقا :فظهـــــر أن المظنون عند المسيحيين ان ابراهيم الى سبعين سنة من عمره كان يعبد الأصنام أقول كونه عابد الاصنام الى أن بلغ السبعين سنة قريب اليقين نظرا الى أصولهم لأن اهل العالـــم فى هذا الوقت عندهم كانوا وثنيين وهو تربى فيهم وأبواه ايضا كانا منهم ولـم يظهر عليه الرب الى ذلك الوقت والعصمة عن عبادة الأوثان ليست بشــــرط بعد النبوة فضلا عن ان تكون شرطا قبل النبوة .....) (١) .

ويذكر عن ابراهيم فى كتابه المذكور سابـقا (لعل ابراهيم لما انكر كـــون ساره زوجة له فى المرة الأولى عزم فى قلبه انه لا يصدر عنه مثل هذا الذنــــب لكنه وقع فى شبكه الشيطان السابقه مرة اخرى بسبب الغفله) .

وقال ايضا (لا يمكن أن يكون ابراهيم غير مذنب فى نكاح هاجر لانه كان يعلـم جيدا قول المسيح المكتوب فى الانجيل أن الذى خلق من البدء خلقهما ذكـرا وانثى

وقال من اجل هذا يترك الرجل اباه وامه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدا واحـــدا)

قال الشيخ رحمت الله معلقا (ومثل هذا النكاح مساو للزنا عند علماء بروتستنت فليزم ان يكون ابراهيم عليه السلام زانيا قبل النبوه وبعدها ويكون اولاده كلهـــم من ساره اولاد الزنـا ..... لكنه يلزم على أصلهم الفاسد أن هذا النبـــى

---

(١) اظهار الحق ٦٥٠ . ج : ٢

أبا الانبياء كما كان كاذبا فكذا كان زانيا من أول عمره الى آخره ومع هـــذا كان خليل الله أيكون خليل الله مثله ؟) (١) .

وقال ايضا صاحب طريق الاولياء : عن لوط عليه السلام (,اله حــرى ان يبكى عليه ونحن بعد التأسف والخوف والخشيه على انفسنا فتعجب منـه اهو الذى بقى نقى الثوب عن جميع شرور سادوم وكان قويا فى السلوك علـــى صراط الله وبعيدا عن جميع نجاسات تلك البلده غلب عليه الفسق بعدمـــا خرج الى البر فاى شخص يكون مأمونا فى بلد اوبر اوكهف) انتهى ..
وقال الشيخ معلقا (فلما بكى القسيسون على حاله فلا حاجة لنا الـــى الاطالـــه وبكاؤهم يكفى) (٢) .

وقال صاحب طـريق الاولياء عن يعقوب : " قال يعقوب قولا هـــو نهاية الكفران ارادة الله كانت انى وجدت الصيد سريعا " وقال ايضا " نـــحن

---

(١) اظهار الحق (ص) : ٦٥٢ جـ : ٢ .
(٢) اظهار الحق جـ : ٢ ص : ٦٥٣ ..

لا نعتذر من جانب يعقوب فى هذا الامر بعذر ما وليتنفر كل صالح وليفر عن مثل هذا الامر وقال ايضا " خلاصة الكلام انه اساء ليحصل الخير وفى الانجيل يجب الجزاء على مثله .

وقال ايضا " كما اذنب يعقوب اذنبت امه ..." (١) .

وعلق الكاتب المسيحى سمشعلىقصة يعقوب التى سبق ذكرها فى اليهوديه وهى سرقته للنبوه قائلا : " ولا نجد بحال من الاحوال وسيلة لقبول تصرفات يعقوب فقد كان واضحا انها غير عادلة وكان يسلك مختلف السبل وينتهز كل الفرص لينال حقوق اخيه كان مستعدا ان يستعمل اساليب المكر والختل والحيل ليحقق اهدافه ، فيعقوب بهذا يعتبر نموذجا حقيقيا لاخلاق اليهود ، وعلى هذا نعتبر تسميتهم باسمه ميراثا دقيقا فقد ورثو عنه اكثر مما ورثوا عن ابراهيم الذى كان رجل عقيده وايمان اكثر منه رجل ختل ودنيا " (٢) .

وبعد المكر والاحتيال الذى وصفت التوراة به يعقوب هرب يعقوب خوفا من اخيه عيسو الى بيت خاله لابان ثم خطب يعقوب ابنة خاله الصغرى (راحيل) وكان مهرها أن يعمل لابيها سبع سنين وبعد العمل ادخله على الكبرى (ليئه) غضب يعقوب على هذا الخداع فطلب خاله منه ان يعمل سبع سنين اخرى مقابل ان يزوجه على (راحيل) ففعل وجمع بين امرأتين . (٣)

---

(١) اظهار الحق جـ : ٢ ص : ٦٥٧ ـ ٦٥٨ .

(٢) مقارنه الاديان اليهودية احمد شلبى ص : ١٦٨ .

(٣) انظر سفر التكوين اصحاح ٢٩ ..

وهذا عند المسيحيين لا يصح ولا يجوز فيكون احد النكاحين باطـــــلا والمرأه التي نكاحها باطل يكون اولادها اولاد زنا ولهذا يقول صاحب طريـــق الاولياء (الظاهر ان يعقوب ان لم يخادعه لابان لم يتزوج غير راحيل ولا يستدل بها على جواز تعدد الزوجات لانها كان يحكم الله ولا يرضا يعقوب) •
وعلق صاحب اظهار الحق قائلا (اقول هذه العذر البارد لا يسمن ولا يغـــنى ولا يحصل النجاة ليعقوب عليه الصلاة والسلام عن الحرمه لانه ما كان مكرهـــا ومجبورا على النكاح الثاني وكان عليه ان يكتفى بزوجة واحده) •
ثم قال (فانظروا الى ديانة المسيحيين انهم لا جل صيانة اصولهم الفاســده كيف يتهمون الانبياء وينسبون القبائح اليهم على ان هذا العذر الاعرج لا يمشى في زلفا وبلها اللتيـــن تزوجهما يعقوب باشارة ليا وراحيل كما هو مصــــرح به في الباب الثلاثيـــن من سفر التكوين واولادهما كانه تكون أولاد زنا علــــى أصولهم) (١)

وبعد هذا العرض السابق نجد أن النصارى كاليهود تماما لا يوقـــرون الانبياء بل يلحقون بهم النقائص والعيوب فلوثة اليهوديه قد أصابتهم ولحقت بهم •

---

(١) اظهار الحق ص: ٦٥٦ ـ ٦٦٠ ••

الخاتمــــــه

وبعد فهذه اهم النقاط التى توصلت اليها فى هذا البحث المتواضــــع

(١) وضع تعريف صحيح للعصمه يدخل جميع افرادها ويمنع دخول افراد اخـرى وهو ما يعبر عنه بكلمه (جامع مانع) .

(٢) معرفتنا للفرق بين النبى والرسول وترجيحنا ان الفرق هو كل رسول نبـــــــى وليس كل نبى رسول يثبت العصمه للرسول من باب أولى .

(٣) وقوع بعض المخالفات والأخطاء . التى ذكرها القرآن عن الأنبياء لا تتعارض مع مفهوم العصمه الصحيح .

(٤) منهج السلف فى جميع القضايا الاعتقاديه وغيرها هو المنهج السليم .

(٥) نعت الأنبياء بتلك النعوت التى جاءت فى التوراة دليل بحد ذاته علـــــى تحريفها .

(٦) تحريف اليهود للتوراة وتشويههم للأنبياء عمل مقصود وهو ارادة انحراف البشريه .

(٧) تمكن اليهود من جر النصارى الى حبائلهم فى عملية التشويه ......

هذا ماتيسروصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . .

========

فهرس المراجع والمصادر

(١) الاحكام في اصول الاحكام

تأليف : سيف الدين على بن ابى على بن محمد الآمدى

دار الكتب العلميه بيروت سنه ١٤٠٠ هـ

(٢) ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم

تأليف : ابى السعود محمد بن محمد العمادت سنه ٩٥١هـ

احياء التراث العربى بيروت ـ لبنان

(٣) ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الاصول

تأليف : محمد بن على بن محمد الشوكانى سنه ١٢٥٥هـ

الطبعة الاولى

مصطفى البابى الحلبى واولاده

١٣٥٦هـ / ١٩٣٧

(٤) اصـــول الديـــــن

تأليف: الامام عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي ت ٤٢٩

دار الكتب العلميـــه ـ بيروت ـ لبنان

(٥) اضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن

تأليـف : محمد الامين محمد المختار الشنقيطـــي

مطبعة المدنـــــي

(٦) اظهـــــار الحـــــق

تأليـف : الشيخ رحمت الله بن خليل العثماني

تعريف وتحقيق: محمد كمال فراج

توزيع الاهرام ١٣٩٨ على الاستنسل
١٣٧٨

(٧) الاعتقاد

تأليف : ابو القاسم بن محمد الراغب الاصفهاني

رسالة ماجستير

تحقيق : ا. عزجمال القمان

اشراف : د . محي الدين الصافي

(٨) اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان

تأليف : ابي عبدالله محمد بن ابي بكر الشهير بابن قيم الجوزيه
٦٩١ ـ ٧٥١ .

تحقيق : محمد سيد كيلاني

شركة مصطفى البابي

(٩) الأمالي

تأليف : الشريف ابي القاسم علي بن الطاهر بن احمد الحسين ٤٣٦

الطبعة الاولى ١٣٢٥

مطبعة السعادة

محافظة مصر

(١٠) الانصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال

تأليف : الامام ناصر الدين احمد المالكي

دار المعرفه

بيروت

(١١) انوار التنزيل واسرار التأويل

تأليف : ناصر الدين ابن سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي .

مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع

بيروت

(١٢) الايمان

تأليف : شيخ الاسلام ابن تيميه

دار الطباعه المحمديه

بالأزهر بالقاهره

(١٣) البدايــة والنهايــه

تأليف : ابو الفداء الحافظ ابن كثيــر ٧٧٤

الطبعة الاولى ١٩٦٦

مكتبة المعـارف ـ بيروت

(١٤) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز

تأليف: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادى ٨١٧ هـ

طبعه المجلس للشؤون الاسلاميه القاهره ١٣٨٩

(١٥) بيــن الاسلام والمسيحيــة

تأليف: ابى عبيده الخزرجــى ٥٨٢

حققه د . محمــد شامــه

مطبعة المدنى

القاهــره

(١٦) تأويل مختلف الحديث

تأليف : الامام ابن قتيبه الدينورى ت / ٢٧٦ هـ

دار الكتاب العربى

بيروت ـ لبنان

(١٧) تحفة الاحوذى شرح الترمذى

ضبط ومراجعة : عبدالرحمن محمد عثمان

مطبعة الفجالة الجديده / ١٣٨٧

الناشر : محمد عبد المحسن

(١٨) تحفه المريد على جوهرة التوحيد

تأليف : الامام الشيخ ابراهيم البيجورى

طبع بالمطبعه العامره الشرفيه / ١٣١٤

(١٩) تفسير القرآن العظيـــــم

تأليف : عماد الدين ابى الفداد اسماعيل بن كثيـــر ٧٧٤

دار احياء الكتب العربيـــــــه

عيسى البابى الحلبـــــــى

(٢٠) التفسير الكبيـــــــر

تأليف : فخـــر الديـــن الرازى ت / ٦٠٦

الطبعه الثانيـــــه

الناشـــر

دار الكتب العلميه ــ طهـــــران

(٢١) التفسير الموضوعى للقرآن الكريـــم

تأليف : د . احمد السيد الكومـــــى

د . محمد احمد يوسف القاسـم

الطبعة الاولى ١٤٠١هـ

دار الهـــــدى للطباعـــــة

شارع النوادى السيده زينـــــــــــــب

(٢٢) تفسير النسفي

تأليف : عبدالله بن احمد بن محمود النسفي

الناشر

دار الكتاب العربي

بيروت ـ لبنان

(٢٣) تنزيه القرآن عن المطاعن

تأليف : عماد الدين ابى الحسن عبدالجبار بن احمد

دار النهضه الحديثه

بيروت

(٢٤) تيسير التحرير

شرح العلامه محمد أمين امير باد شاه

مطبعه مصطفى البابى الحلبى ١٣٥٠هـ

(٢٥) جامع البيان على تأويل اى القرآن

تأليف : ابى جعفر محمد بن جرير الطبـــــــرى / ٣١٠

مصطفى البابى الحلبى

الطبعه الثالثه ١٣٨٨

(٢٦) جامـــــع الرسائــــــل

تأليف: شيخ الاسلام ابى العباس تقى الدين احمد بن تيميه

تحقيق: محمد سشاد سالـــم

الطبعه الاولى ١٣٩٨ــ ١٩٦٩

(٢٧) حاشيه عصام الديـــن / ٩٤٣

على شرح العقائــد النسفيه لسعد الدين التفتازانى / ٧٩١

مطبعة كردستان العلميــــــه

بدرب السمط ١٣٢٩

(٢٨) روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى

تأليف : شهاب الدين محمود الالوسى ت / ١٢٧٠

احياء التراث العربى

بيروت ـ لبنان

(٢٩) روضه المحبين ونزهة المشتاقين

تأليف : العلامه شمس الدين محمد بن ابى بكر بن قيم الجوزيه

دار الكتب العلميه

بيروت ـ لبنان

(٣٠) الروض الباسم فى الذب عن سنة ابى القاسم

تأليف : ابى عبدالله محمد بن ابراهيم الوزير ت ٨٤٠

دار المعرفه ١٣٩٩

بيروت ـ لبنان

(٣١) زاد المعاد في هدى خير العباد
تأليف : الامام الحافظ ابى عبدالله بن القيم الجوزيه
الطبعه الثالثه ١٩٧٣ ـ ١٣٩٢

(٣٢) سليمان الحكيم
تأليف : توفيق الحكيم

(٣٣) شرح الاصول الخمسه للقاضي عبدالجبار
تحقيق : عبدالكريم عثمان
الناشر : مكتبة وهبه
طبعه ١٣٨٤ هـ

(٣٤) شرح الطحاويه في العقيده السلفيه
تأليف : قاضي القضاه صدرالدين على بن على بن محمد العز الحنفي
٧٣١ ـ ٧٩٢
تحقيق : احمد محمد شاكر
مكتبة الرياض الحديثه

(٣٥) شرح الكوكب المنير

تأليف : العلامة محمد بن احمد بن عبد العزيز الفتوحي الحنبلي ٩٧٢

تحقيق: د . محمد الزحيلي – د . نزيه حماد

دار الفكر بدمشق سعد الله الجابري ص ٩٦٢

١٤٠٠ – ١٩٨٠

(٣٦) شرح مطالع الانظار على طوالع الانوار

تأليف : شمس الدين الأصفهاني ت ٧٤٩

المطبعة الخيريه

الطبعة الاولى ١٣٢٣

(٣٧) الشرح والابانه على اصول السنة والديانة

ومجانبة المخالفين ومباينة اهل الاهواء المارقين

تأليف : ابى عبد الله عبيد الله بن بطة العكبرى ت/ ٣٨٧

رسالة ماجستير

تحقيق : رضا نعسان

اشراف : د . عثمان عبد المنعم / ١٣٩٩ – ١٩٧٩

(٣٨) الشفا بتعريف حقوق المصطفى

تأليف: القاضي عياض بن موسى اليحصبي الاندلسي
تحقيق: محمد امين اسامه الرفاعي

موءسسة علوم القرآن

دمشق — ص.ب : ٤٦٢٠

(٣٩) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمه والتعليل

تأليف : الامام شمس الدين بن ابي عبدالله محمد بن الشيخ
ابي بكر الشهير بابن القيم الجوزيه / ٧٥١

تحرير : الحساني حسن عبد الله .

الناشر

مكتبه : دار التراث : ٢٢ شارع الجمهوريه ــ القاهره

(٤٠) صحيح البخاري

للامام : ابي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري

المكتبه الاسلامي

محمد اوزدمير استانبول ــ تركيا

ج : ٤

(٤١) صحيح مسلم

للامام ابى الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى

مكتبة الجمهورية العربية

لصاحبها : عبد الفتاح مراد

(٤٢) صحيح مسلم بشرح النووى

الطبعة الثانية ١٣٩٢

دار الفكر - بيروت - لبنان

(٤٣) صفوة التفاسير

تأليف : محمد على الصابونى

دار القرآن الكريم

بيروت : الطبعة الاولى / ١٤٠٠

(٤٤) عصمة الأنبياء

تأليف : فخر الدين الرازى / ٥٤٣ - ٦٠٦

(٤٥) عصمة الانبياء والرد على الشبه الموجهه اليهم
تأليف : الدكتور محمد ابو النور الحديدى
مطبعه الامانه ـ ١٣٩٩ـ١٩٧٩

(٤٦) غرائب القرآن ورغائب الفرقان
تأليف : نظام الدين الحسن بن محمد النيسابورى
تحقيق : ابراهيم عطوه عوض
مطبعه مصطفى البابى ـ مصر
الطبعه الاولى ١٣٨١

(٤٧) فتح البارى بشرح صحيح الامام ابى عبد الله محمد اسماعيل البخارى
للامام : الحافظ احمد بن على بن حجر العسقلانى / ٧٧٣ ـ ٨٥٢
المطبعه السلفيه ـ ومكتبتها
٢١ شارع الفتح بالروضه تليفون ٧٩٨٣٦
القاهره ١٣٨٠

(٤٨) الفتح الرباني لترتيب مسند الامام احمد بن حنبل الشيباني
تأليف : احمد عبد الرحمن البنا
دار الحديث ـ عطفه الرسام بالغوريـــــه
القاهـــــره

(٤٩) فتح القدير الجامع بين فن الروايه والدرايه من علم التفسير
تأليف : محمد بن علي بن محمد الشوكانـــــي ت / ١٢٥٠
مطبعه مصطفى البابي ـ الطبعه الثانيه
١٣٨٣ ـ ١٩٦٤

(٥٠) فتح المعبود في الرد على ابن محمود
تأليف : حمـــود بن عبد الله التويجـــــري
الطبعه الاولى ـ مطبعه المدينـــه
١٣٩٩ ـ ١٩٧٩

(٥١) الفصل في الملل والأهـواء والنحـــل
تأليف : ابي محمد علي بن حـزم الاندلسي الظاهري/ ٤٥٦
مكتبة المثنــــى

(٥٢) فواتـــح الرحمـــوت

تأليف : العلامه عبد العلى بن نظام الديـن الانصـارى

مكتبة المثنى ـ دار احياء التراث العربى

بيروت ـ لبنـــان

(٥٣) القامـــوس المحيــــط

تأليف : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزاباذى الشيرازى

(٥٤) القرطبيـــــــن

تأليف : ابى عبد الله محمد بن احمد بن مطرف الكنانـــى

دار المعرفه للطباعه والنشر

بيروت ـ لبنـــان

(٥٥) الكتـــاب المقـــدس

اى كتب العهـــد القـــديم ـ والعهد الجديـــد

تصدرها دار الكتاب المقدس فى العالـــم العربـــى

(٥٦) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل
تأليف: ابى القاسم جار الله الزمخشرى الخوارزمـــى / ٤٦٧ـ٥٣٨ه
دار المعرفه ـ بيروت

(٥٧) لباب التأويل فى معانى التنزيــــل
تأليف : علاء الدين على بن محمد المعروف بالخازن
دار المعرفه ـ بيروت

(٥٨) لســـان العـــــرب
تأليف : ابى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بــن منظـــور
دار صادر ـ بيـــروت

(٥٩) مجموع فتاوى شيخ الاسلام احمد بن تيميــه
جمع وترتيـــب عبد الرحمن بن محمد بن قاســـــم
مكتبة المعارف
الرباط المغرب ص . ب : ٢٣٩

(٦٠) مختصر الفتاوى المصريه لشيخ الاسلام ابن تيميه

تأليف : نور الدين ابى عبد الله محمد بن على الحنبلى الرحيلى / ٧٧٧

صححه وعلق عليه : محمد حامد فقى

دار نشر الكتب الاسلاميه ـ كوجر انواله ـ باكستان ١٣٦٨

(٦١) المستصفى من علم الاصول

تأليف : ابى حامد محمد بن محمد الغزالى

دار احياء التراث العربى

بيروت ـ لبنان

(٦٢) مسند الامام احمد بن حنبل

شرح : احمد محمد شاكر

الطبعه الثالثه

دار المعارف للطباعه والنشر بمصر / ١٣٦٨ـ١٩٤٩

(٦٣) المغنى فى ابواب التوحيد والعدل
القاضى ابى الحسن عبد الجبار بن احمد الهمذانى / ٤١٥
تحقيق : د . محمود الخضيرى ، د . محمود محمد قاسم
الدار المصريه للتأليف والترجمه
طبع بمطبعه عيسى البابى / ١٣٨٥ ـ ١٩٦٥

(٦٤) مقارنة الأديان
تأليف : د . احمد شلبى
الطبعه الخامسه / ١٩٧٨ ـ مكتبة النهضه المصريه
حسن محمد واولاده ـ ٩ شارع عدلى باشا ـ القاهره

(٦٥) مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين
تأليف : شيخ اهل السنه والجماعه ابى الحسن على بن اسماعيل الاشعرى ٣٣٠
تحقيق: محمد محى الدين عبد الحميد
الطبعه الثانيه ١٣٩٨ ـ مكتبة النهضه المصريه

(٦٦) الملل والنحل
تأليف : الامام ابى الفتح عبد الكريم الشهرستانى / ٥٤٨
مكتبة المثنى ـ ببغداد

(٦٧) منهاج السنه النبويه فى نقض كلام الشيعه والقدريه
تأليف : شيخ الاسلام : ابى العباس احمد بن تيميه الحرانى / ٧٢٨
الطبعه الاولى – المطبعه الكبرى – الاميريـــــه
ببولاق – مصر – ١٣٢١

(٦٨) مناهـــج العقـــول
تأليف : الامام محمد بن الحسن البدخشـــى
مطبعه محمد على صبيح واولاده

(٦٩) المواقـــف فى علـــم الكلام
تأليف : عضـــد الله والدين القاضى عبد الرحمن بن احمد الايجى
عالم الكتـــب – بيـــــروت

(٧٠) النبــــــوات
تأليف : شيخ الاسلام احمد بن تيميـــــه / ٧٢٨
دار الفكـــر